

العلام من الأدباء والشاعر

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com



الْكَمِيدُ زَيْلَكَ الْكَسْتَ

الشَّاعِرُ السِّيَاسِيُّ

إعْتِدَاد

سَأْرُونَ بْنَ مُحَمَّدِ الدِّينِ الْفَنَانِ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الكتاب الذي يدخلك
الشاعر السياسي

إعداد
مأمون بن حمبي الدين العنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مكتبة لسان العرب
www.lisanarab.com

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتاب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤ - ١٩٩٤م.

دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ - ناكس: Le 41245
هاتف: ٦٠٢١٢٢ - ٣٦٦١٣٥ - ٨٦٨٠٥١ - ٨٦٥٥٧٣
فاكس: ٦٠٢١٢٣٠٠٠ / ٤٧٨١٢٧٢ / ٩٦١١/٦٠٢١٢٣٠٠٠

الأهـــــاء

إلى ابنتي الحبيبة
إشراقة النور
غناء الطبيعة
عقب الزهر
ترنيمة الحب
دنيم

مأمون الجنـــــان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الشعر العربي في عمومه وعلى تعدد مضمونيه واختلاف صوره ومظاهره، يعتبر من ثروتنا الأدبية التي نفخر ونعتز بها، مما يجمعنا في توحد دائم الاتصال والترابط، هذا التوحد يتحول إلى قوة ناجية مفيدة متغيرة في الوقت نفسه، مما يجعل لهذه القوة مدلولات حيوية مساعدة في إلقاء الضوء على هذا الشاعر أو ذاك.

ولقد حاول بعض النقاد والشراح السابقين، بطرقهم الخاصة رصد شعر الكمبيت ودراسته وتتبع أخباره وسيرته، وقد استطاعوا أن يتقطعوا المواطن التي كان فيها مادحًا أو هاجياً. وقد عوّلت في هذه الدراسة على كثير من كتبهم القيمة، غير أن الكشف عن الكمبيت لا ينتهي عند هذا الحد، فقد حاولت التقرب من شخصيته ونفسيته، لمعرفة بعض مواقفه من الحياة، ولنرى ماذا رسبته التجربة في ذهنه. ولعل هذه الدراسة فرصة مواتية ونهزة سانحة أغمتنها لأوجه كل الشكر والامتنان للذين سبقوني في دراسة هذا الشاعر، كما أن دراستهم كانت لي عوناً في كشف الغطاء وفضح الغبار عن تراثنا الأدبي العظيم.

والكميت لم ينل حصته من البحث والتعقب، ولم يكتب المؤرخون له كما فعلوا مع المثلث الأموي [جرير والفرزدق والأخطل]، إما لظروف سياسية أو عقائدية، أمما دفعني إلى أن أشير إلى الحقبة المهمة من حياة شاعرنا، وهي الحقبة التي ارتبط اسمه بالشعراء السياسيين. فقد توزع شعره في مدحبني هاشم وبني أمية وهما على طرقين. وهذا يبدو غريباً من رجل عرف أن الشيء الواحد يمكن أن يقبل الوصفين في طرفيين مختلفين؟!

وهكذا أجده نفسي مجبراً على القول بأن في الحقيقة هناك ما يجذب في شعر الكميٍّ ويأسر الناس إليه، إنه صورة تعتبر للباحثين والدارسين أدباً أصيلاً وعريقاً، وجديراً بكل اهتمام ورعاية.

إن هذا العمل أظهر أن الكميّت قد أسلّم في إثراء تراثنا الأدبي من واقع ظروفه، وبيته وتطورها السياسي والاجتماعي، والشيء الوحيد الذي نجح فيه الكميّت، أنه ترك للآخرين مصدراً دائماً ينطوي في الوقت نفسه على متعة حقيقة لا وهو شعره... .

وفي هذه الدراسة اعتمدت طريقة شبه موسعة ومتعددة الجوانب حول شاعرنا وما يتصل به من معالم جديدة، وحول الدوافع الخلفية التي شكلت بالضرورة تكوينه الذهني والتفسي وتركيبته الذاتية، إضافة إلى ما يحويه شعره من مقتضيات العقل ونتائج الفكر العربي.

وقد تمت على عدة فصول:

- الفصل الأول: أشكال الحياة في عصره.

- الفصل الثاني: مدخل نحو الشعر الاموي وأغراضه - الشعر السياسي ونشأته ومجمل خصائصه .

**الفصل الثالث : نسبة وحياته وخصائصه النفسية - علاقة الكميّت
بالدولة الاموية.**

**- الفصل الرابع: أغراضه الشعرية والهاشميّات - الخاتمة وبعض
نماذج من أشعاره وأخباره.**

وقد جعلت كتاباً بأسماء المصادر والمعارج التي استعنت بها في إخراج هذه الدراسة، مرتبأ حسب التسلسل الأبجدي في آخر هذا الكتاب ووثقته، بأسلوب علمي متدرج (مما يفيد القارئ، والدارس مبتدئاً كان أو متبحراً). هذا ما حاولت صنعه ولا أدعى أنني بلغت في هذا كمالاً، فالكمال لله وحده، ولكنها محاولة أمل أن يجد فيها القارئ ما يصبو إليه وأن أكون قد وفقت في المساهمة ببناء صرح المكتبة العربية الشامخ.

وإن كان ثمة شيء يذكر، فهو ثانٍ على أسمائتي الذين منهم تعلمت وعلى كتبهم عزلت ومن آثارهم افتبت، غفر الله لهم ولـي آمين.

مأمون الجعنان

١٩٩٣/٤/٢٦

الفصل الأول

الحياة السياسية:

تأثرت الأوضاع السياسية في الحكم الأموي بتجدد الخصومات القبلية بين القحطانية والعدنانية أو بين اليمنية والقيسية، وتميز الحكم الأموي أيضاً بشكل ظاهر بالعصبية عامة، فقد كان هناك عصبية العرب ضد العجم والموالي مثلاً، وبينبني أمية علىبني هاشم، والقبائل التي كانت موالية للأمويين على المناوئة لهم كعصبية تغلب ضد القيسية.

ويعتبر هذا العصر عصر الاضطراب السياسي وأحوالها ونشوء الأحزاب والصراع في ما بينها. واشتد هذا الصراع اشتداداً عنيفاً اضطر معه الأمويون إلى اللجوء إلى البطش والقوة والتهديد والمخادعة والرشوة لاكتساب أكبر عدد ممكن من القبائل إلى جانب الخلافة. كل هذا أدى إلى اختلاف الآراء السياسية وفي الحكم، وإلى نشوء أحزاب، يتمسك كل حزب بمذهب أو عقيدة يعمل على الترويج لها والنضال في سبيلها وتجميع الناس حولها، وخاصة في

الحجاج والمرافق.

كما تميز الحكم الأموي بتحويل الخلافة إلى ملك وراثي مخالف لسياسة الراشدين التي كانت تعتمد على الشورى، مما جرّ ويلات كثيرة على المسلمين وأشاع بينهم الفرقة والانقسام.

غير أن هناك أمراً جديراً بالذكر، هو أن عدداً من الخلفاء الأمويين كانوا فعلاً رجال دولة وسياسية بالمعنى الصحيح. فكان لديهم الدهاء والذكاء، وقوة الشخصية، وسعة الصدور والحزم والجد، والقدرة على تحمل أعباء الحكم وحسن التصرف في الأمور العظيمة.

وكان حكم الأمويين للدولة حكماً مركزياً، يعود الولاة إلى الخليفة في مختلف الشؤون؛ وهو يحكمون الأقاليم باسمه كزياد^(١) والحجاج^(٢) وأل المهلب^(٣) وسواهم، وليس لهم سياسة شخصية

(١) هو زياد بن أبيه أمير من قادة الفاتحين، من كبار رجال الدولة الأموية أصله من الطائف أمه «سمية» يكتنف الغموض نسبه. ناصر علياً ضد الأمويين حتى إذا توفي على الحقه معاوية بحسب أبي أبي سفيان بعد أن استدعاه إلى دمشق وولاه الكوفة. توفي بالطاغون (٥٣ هـ) في الكوفة.

(٢) هو الحجاج بن يوسف الثقفي توفي في واسط (٩٥ هـ). قائد وخطيب عربي ولد في الطائف، واشتهر بولاته للبيت الأموي، ولأه عبد الملك بن مروان إمرة حيث قضى على ابن الزبير وابن الأشعث وتولى مكة والمدينة والطائف وال العراق وقضى على الخوارج. عنى بأمور الري والإصلاح الندي، اشتهر بالخطابة والشدة في الحكم.

(٣) تعود هذه النسبة إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي أمير خراسان، وأولاده العشرة نسبة وولاء. انظر الأنساب للسعاني ٤١٨/٥ طبعة دار =

خاصة، بل كانوا يتقيّدون بالسياسة الأموية العامة، ويسيرون وفقاً للخط الذي رسمه الخليفة.

وفي مقدمة الأحزاب التي حاربتبني أمية في الحكم كان الشيعة والخوارج والزبيريين، في الحجاز والعراق وأما في الشام فقد كان أقل الأقطار الإسلامية اضطراباً وأكثرها تأييداً للأمويين بفضل السياسة التي اتبعها معاوية^(١) في استمالة هذا القطر منذ ولادته عليه زمن الراشدين، ولذا كانت بلاد الشام منطلق السياسة الأموية ومعقل حزبهم ومركز دولتهم.

وقد نجم عن هذه الصراعات بين الحزب الحاكم والأحزاب المناوئة له، آراء مختلفة في السياسة والحكم. وراحت الفئات المتصارعة تجمع الرأي العام الإسلامي حولها وتتجهد في الدعاية لمذاهبها والترويج لنظرياتها في السياسة.

وقد ساعد هذا على أن يتلون الأدب شعره ونثره باللون هذه النظريات السياسية، وحرص كل حزب على أن يكون له دعاته من الشعراء والخطباء، يحركون عواطف الناس ويشرون حماسهم من ناحية ويستميلون أفكارهم بالإقناع والمحاجة من ناحية ثانية. فما هو الدور الذي لعبته الأحزاب على مسرح الحياة السياسية في العصر الأموي؟ وما هي الآراء التي تعرض لها الخطباء والشعراء؟ إليك أولاً عزيزي القارئ التعريف بالأحزاب وارائها ولنبدأ أولاً:

= الجنان.

(١) هو معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، توفي سنة (٦٠ هـ).

- الحزب الشيعي:

وهم حزب علي القاتلون بنظرية الوراثة وقد سمو شيعة لأنهم شابعوا وتحزبوا له. وكانوا يؤمنون منذ وفاة النبي ﷺ بحق علي بالخلافة على أساس أنه الإمام الوريث لابن عمه، وأنه أصل سلالة آل البيت النبوى، وليس أحد أولى منه بزعامة المسلمين بعده، معتمدين في ذلك على نصوص تقول بأن النبي أوصى قبل وفاته لعلي. وحصروا منصب الإمامة في بنيه.

إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فصبروا حتى كانت فتنة في عهد عثمان فعملوا لعلي وبابيعوه وقاتلوا معه، ولكنهم صدموا بخدعة التحكيم، واستئثار بنى أمية بالسلطة، الأمر الذي زاد فيهم النفة.

وحاربوا الأمويين مرات عديدة إلى أن كان مقتل الحسين في كربلاء ترك ذيولاً سياسية بعيدة المدى عظيمة الأثر وأذكى التشيع إلى أقصى حد، وعمل على توحيد الشيعة وإضرام الحماسة في صدورهم.

وأصبح التشيع عقيدة متغلقة في النفوس ونهضوا بثارات الحسين، وغدت حادثة كربلاء الملطخة بدماء ابن بنت الرسول مثاراً للحزن والنفة والحماس ضد بنى أمية لا بين الشيعة وحدهم بل بين جميع المؤمنين، وإن لم يكونوا من الشيعة.

ومن أشهر فرق الشيعة «الكيسانية»^(١) التي تدعى ابن الحنفية^(٢)، ومن زعمائها الكبار المكونين لآرائها المختار الثقفي^(٣) والكيسانية صاحبة نظريات متطرفة في التشيع، إذ تقول بالتناسخ وتعتبر النبوة مستمرة في البيت العلوي، وتقول كذلك بالرجعة، أي عودة الإمام المهدي، الذي هو ابن الحنفية، وأبرز شعراء الكيسانية كثير بن عبد الرحمن^(٤) الذي يقول في ابن الحنفية:

(١) انظر عن هذه الفرقه: «التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفرايني» صفحة ٣٠ و «المملل والنحل للشهرستانى ١٩٦١» و «المملل والنحل لأبي حزم ٤/١٧٩» و «مروج الذهب للمسعودي ٣/٨٧» و «الفرق بين الفرق ٢٨» وقد نسبهم إلى كيسان مولى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه.

(٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية (٢١ - ٨١ هـ) من زوجته خولة. رأى بعض الشيعة إمامته بعد مقتل الحسين وعرفوا باسم الكيسانية ثم انقرواها. عاش في المدينة وتوفي بها.

(٣) هو ابن أبي عبد المختار الثقي، من زعماء الثائرين على بن أبي أمية اشتراك في ثورة مسلم بن عقيل فسجنه عبد الله بن زياد ونفاه، ثم ثار في الكوفة طلباً بثأر الحسين انتصر قاتله إبراهيم بن مالك الأشتر على الجيش الأموي في معركة الخازر حيث قتل عبد الله بن زياد. قتل في محاولة يائسة سنة ٦٧ هـ للدفاع عن الكوفة وقد حاصره فيها مصعب بن الزبير.

(٤) هو كثيرون عزة توفى (٧٢٣هـ) شاعر أموي أقام في المدينة. غالى في تشيعه وقال بالرجعة والتناسخ وبإمامية المهدي محمد بن الحنفية تغزل بعزة فسمى بها.

وإذا كانت «الكيسانية» من غلاة الشيعة فإن «الزيدية» عند المؤرخين من فرقها المعتدلة وهي تقول بإمامية زيد بن علي^(١)، ومن أهم مبادئها «مبدأ الوصاية» وهو أن النبي أوصى لعلي بن أبي طالب عند غدير خم^(٢)، على أن الزيدية ترفض ما نادت به الكيسانية من أمر الرجعة والتناصح، وتشترط أن يكون الأئمة من أبناء فاطمة، وأن يتميزوا بفضائل أهمها الورع والشجاعة. وأعظم شعراء الزيدية الكمي بن زيد الأسدي «موضوع دراستنا» وهو صاحب مجموعة قصائد في الذود عن مبادئ هذه العقيدة. وفي قضية الوصية يقول:

و يوم الذؤح دوح غدير خم
أبان لـه الولايـة أو أطـيـعا

والكمي يدحض حق بني أمية في الخلافة ويرد على مزاعمهم ويؤيد آل البيت، كقوله:

(١) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٨٠ - ١٢٢ هـ) دعا إلى الثورة في عهد هشام بن عبد الملك، وحدد منهاجاً ثورته أهـم ما جاء فيه: جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرورـين وقسمـ الفيء بين أهـلـه بالسواء وردـ المظلـالمـ. فـفشلـتـ ثـورـتهـ وـقتلـ. إـلـيـهـ يـنـسـبـ المـنـعـبـ الزـيـديـ الشـيعـيـ.

(٢) غدير خم: هو نبع في واد قريب من الجحفة على الطريق بين مكة والمدينة، تقول الشيعة: إن النبي توقف عنده أثناء عودته من حجة الوداع وسمى علياً خليفة له. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/٣٩٠، دار صادر د. ت. ومعجم البكري ٢/٥١٠ عالم الكتب بيـرـوـتـ ١٩٨٣ـ.

وفـالـوا: ورـثـاـهـاـأـبـانـاـوـأـمـاـ
 وـمـاـوـرـثـهـمـذـاكـأـمـوـلـأـبـ
 يـرـونـلـهـمـفـضـلـأـعـلـىـالـنـاسـوـاجـبـ
 سـفـاهـاـ،ـوـحـقـالـهـاشـمـيـنـأـوجـبـ
 هـمـشـهـدـاـبـدـرـأـوـخـيـرـبـعـدـهـاـ
 وـيـوـمـخـيـنـوـالـسـدـمـاءـتـصـبـبـ
 فـإـنـهـيـلـمـتـصـلـحـلـحـيـسـوـاهـمـ
 فـإـنـذـوـيـالـقـرـبـيـأـحـقـوـأـفـرـبـ

والـشـعـرـاءـالـمـادـحـونـلـآلـالـبـيـتـفـيـهـذـاـالـعـصـرـكـثـرـمـنـهـمـ
 الفـرـزـدـقـ^(١)ـوـأـبـوـالـأـسـدـالـدـؤـلـيـ^(٢)ـ،ـوـابـنـمـفـرـغـالـحـمـيرـيـ^(٣)ـ.

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدارمي التميمي من شعراء المهد الأموي ولد في البصرة (نحو ٦٤١ وتوفي ٧٣٢) قضى حياته في مدح الناس وهجوهم، له نفس قوي ولغة وافرة للألفاظ والتعبير. اشتهر بالهجاء الذي دار بينه وبين جرير. له ديوان دونه محمد بن حبيب النحوي البصري. ونقائض جرير والفرزدق.

(٢) هو أبو الأسود الدؤلي شاعر من قبيلة «دبيل» من أنصار علي بن أبي طالب حضر معركة صفين، إليه ينسب أصول النحو العربي. انظر كتاب إحياء الرواية للقطبي ٤٨/١، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٦.

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن مفرغ الحميري أبو هاشم أو أبو عامر: شاعر إمامي متقدم وقد أهل ذكر الحميري وصرف الناس عن رواية شعره لما فيه إفراط في النيل من بعض الصحابة وأزواج النبي، وكان يتعصب لبني هاشم تعصباً شديداً. ولد في نعمان (١٠٥ وتوفي ببغداد وقيل بواسط ١٧٣ هـ) له ديوان مطبوع جمعه وحققه شاكر هادي شكر.

ويرجع بعض الدارسين بذور التشيع لآل البيت إلى الفترة التي تلت موت النبي ﷺ. ولئن لم تظهر هذه العقيدة قوية في خلافة أبي بكر وعمر، إلا أنها غدت واضحة جلية في زمن عثمان، وظهرت بعد بيعة علي الذي اتخد الكوفة مركزاً لنصرification سياسته.

ومما دعا إلى تعاظم شأن الشيعة في العراق وفارس مساواة الإمام علي بين العرب والموالي. فلما آل الحكم إلى الأمويين وتعصب هؤلاء للعنصر العربي شعر الأعاجم بالحرمان ونقموا على بني أمية وأذكروا نار الثورة عليهم. ولقد أفلق الحزب الشيعي دولة بني أمية ويرز إلى ميدان القتال، فكانت ثورة التوابين أيام عبد الملك^(١)، ثم ثورة المختار الثقفي. غير أن الشيعة لما منوا بالهزيمة، راحوا يعملون سراً ويتبحثون الفرص ليتزعموا الخلافة و يجعلوها في أبناء علي، وقد جمعوا معهم الفرس الذين نقموا على بني أمية بسبب تعصّبهم للعنصر العربي، وما لاقوه من معاملة سيئة ساعدت فيما بعد وكانت عاملاً مهماً في إسقاط الدولة الأموية.

- الحزب الأموي أو الحزب الحاكم:

لم يكن لبني أمية من المكانة في الإسلام ما كان لآل البيت

(١) هو عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٢٦ هـ) الخليفة الأموي الخامس ولد في المدينة وتوفي بدمشق وحد الإمبراطورية بعد أن قضى على مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله منافس البيت الأموي على الخلافة. حارب الخوارج وأوقع بهم أضخم ثورة عبد الرحمن بن الأشعث في دير الجمامجم. أنشأ البريد. عرب دواوين الدولة. وصل النقود الذهبية.

وأنصارهم، وما استيلاؤهم على الحكم إلا نتيجة لسياسة دنيوية تقوم على الحنكة والمخادعة لا على الشريعة. لهذا كان لا بد لهم من نظرية يجاهبون بها عقيدة الشيعة فزعموا أنهم ورثة عثمان وأن الله اصطفاهم من بعده للخلافة وانتدبهم للثار من قتلته.

وذهبوا إلى أن خلافتهم من عند الله وليس من عند الشعب. ومن هنا، فإن الله وحده يحاسبهم وليس على الشعب إلا القبول بما قضاه الله وقدره.

وقد لجأوا في ذلك إلى شيء من التمويه المبني على منطلق ديني هو الإيمان بقدرة الله وإراداته التي لا ترد، فقد زعموا أن الله لو لم يكن راضياً عن خلافتهم لانتهى الحكم إلى سواهم. وأطلقوا على هذه العقيدة تسمية «الحق الإلهي» التي اندفع ولادة بني أمية وشراوهم يروجون لها، ويعلنونها على الملا في كل المناسبات، وكان هؤلاء يحيطون بالخلفاء الأمويين بصور من المهابة والإجلال على ما كان يذهب شعراء الشيعة في نعت أئمتهم. وقد ازداد ما سماه «حقهم الإلهي» بالخلافة رسوحاً بعد معركة صفين^(١) والتحكيم. وفي ذلك يقول شاعرهم الأخطل^(٢):

(١) صفين: موضع على الحدود السورية على شاطئ الفرات الأيمن بين الرقة واسكي سكتة. عنده تلاحم جيشاً على ومعاوية سنة (٣٧ هـ). وبعد هذه موقعة استوقف القتال الذي انتهى بالتحكيم.

(٢) هو غيث التغلبي الأخطل (٩٦٤ - ٩٧١) هكذا لقب لطول لسانه أو لارتفاعه أذنيه كان نصراوياً من بني تغلب المنوفيزيين. اتصل بالأمويين فغدا شاعرهم الخاص ينصرهم بلسانه كما ينصرهم قومه برجالهم فيபس بمدحهم ويندفع في هجو أعدائهم حتى جاء بفن يجدر أن يسمى بالشعر السياسي -

وَيَوْمَ صَفِيرَنَ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةُ
أَمْلَأُهُمْ إِذْ دَعَوْا مِنْ رِبِّهِمْ مَدْدُ

وتعودت الخصومة بين الأمويين ومعارضיהם الخلاف في الرأي إلى الشتيمة والسباب، وكان الشعراء من الفريقين يجتمعون فيبارون بالتهاجي والتفاخر، ثم يتجالدون بالسيوف، وعلى رأس هذا الفريق سديف^(١) شاعر بني هاشم، وشبيب^(٢) شاعر بني أمية.

وقد دفعت هذه الاعتبارات البيت الأموي إلى الاهتمام بالشعر وأصنفانه الشعراء، فأنفقوا الأموال بسخاء لإثبات حقهم في السلطة، واستخدمو الشعرا وخطباء لكي يؤيدوا ملكهم، فدخل الهجاء السياسي عصره الذهبي بفضل الحزبية العارمة آنذاك.

وكما شهد العصر الأموي نهضة الشعر السياسي شهد كذلك نهضة الهجاء الأدبي بين شعراء القبائل الذين لم يقفوا بعيداً عن ميدان الصراع. ومن أبرز مظاهر هذا الهجاء الذي تناول العصبية القبلية ما

= ديوانه كبير مشهور دون قصائده أبو سعيد السكري ومحمد بن عباس البزيدي اهتم بنشر مخطوطاته الأب انطون صالحاني اليسوعي بين ١٨٩٠ - ١٩٣٨ في بيروت.

(١) هو سديف شاعر حجازي من أهل مكة توفي (٧٦٣) كان معصباً لبني هاشم وفي أيام السفاح كان يغضبه على بني أمية، ثم تحزب لمحمد بن عبد الله بن الحسن على المنصور العباسي فأمر المنصور بذبحه حبا.

(٢) هو شبيب بن يزيد ابن البرصاء من شعراء الدولة الأموية وترجمته طويلة في الأغاني ٦/١٣٨ توفي نحو (١٠٠ هـ).

دار بين جرير^(١) والفرزدق والأخطل، والذي عرف عند الأدباء باسم
النفانض^(٢).

- حزب الخوارج:

وقد سموا كذلك لخروجهم عن طاعة علي يوم التحكيم بعد
قبوله وقف القتال في صفين. والتزول على مبدأ التحكيم وكانوا
يذهبون في مبادئهم إلى أن الخلافة يمكن أن تكون في قريش أو
غيرها. ويحجبون أن لا يكون في العالم إمام أصلاً. وإن احتاج إليه
فيجوز أن يكون عبداً أو حراً، نبطياً أو فرشياً، رجلاً أو امرأة. وهم
يعتبرون شرط الخلافة هو الإسلام والتقوى. وذلك بالاستناد لقول
النبي ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى...»^(٣) قوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة»^(٤).

وقد عرفوا في بادئ الأمر «بالحرورية» نسبة إلى بلدة

(١) هو جرير (٩٦٥٣ - ٧٣٣) شاعر أموي ولد في بادية اليمامة كنيته أبو حزرة
امتنى بالهجاء لا سيما هجو خصمه الأخطل والفرزدق وقد تكون معهم ما
سمى بالمثلث الأموي. له ديوان يتضمن الفنون التقليدية من مدح وهجاء
ونثر وغزل ورثاء جمعه أبو جعفر بن حبيب.

(٢) النفانض: جمع النفيضة: وهي قصيدة ينقض بها شاعر قصيدة شاعر آخر. أي
يبطل ويفسر ما جاء فيها بالرد عليه ودحض ما يقول ويدعى ويكون لها وزن
قصيدة الخصم وقافيةها.

(٣) رواه أحمد بن حنبل ٤١١/٥.

(٤) سورة الحجرات الآية: ١٠.

«حروراء»^(١) قرب الكوفة التي لجأوا إليها بعد تخليلهم عن نصرة الإمام. وكانوا يسمون أنفسهم «الشراة» استناداً لقوله تعالى: «من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله» الآية^(٢).

ولقد أخذ الأمويون الخوارج بشدة وإرهاب، وعمدوا إلى إخماد ثورتهم بالفتوة وسفك الدماء. أما هم فقد استماتوا في سبيل عقيدتهم، وكانت يُلقون بأنفسهم في حومات الموت ويناضلون نضالاً رائعاً معتقدين أنهم يذهبون بذلك شهداء. وقد تعددت فرق الخوارج ومن أشهرها: «الأزارقة»^(٣) و «الإباضية»^(٤)، و «الصفرية»^(٥)

(١) حَرَرَوْاء: بفتحين وسكون الواو. يجوز أن يكون مشتقاً من الريح الحرورة وهي العارة. وكانه أنتظروا إلى أنه بقعة. وقيل: هي قرية بظاهر الكوفة. وقال ابن الأنباري: حَرَرَوْاء كُورَة، وقال أبو منصور: الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج. انظر معجم البلدان ٢٤٥ / دار صادر.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٠٧.

(٣) الأزارقة: هم فرقа من الخوارج تسب إلى نافع بن الأزرق استولوا على الأهاوز وكرمان انتخبوا قطرى بن الفجاءة قضى عليهم المهلب بن أبي صفرة. قالوا: «إن مخالفיהם من المسلمين يشركون وإن من لم يعتنق مذهبهم يستحلل دمه ودم نسانه وأولاده».

(٤) الإباضية: فرقاً من الخوارج تسب إلى عبد الله بن إباض وتنقابل الأزارقة والصفرية. قاموا بثورات متعددة ضد الأمويين أعندها ثورة عبد الله بن يحيى (٧٤٧) بسطوا فيها نفوذهم على اليمن وحضرموت كما ثاروا على السفاح في عمان (٧٥١) فقضى على حركتهم دون أن يقتفي على تأثيرهم الديني والفكري الذي انتشر انتشاراً واسعاً بين البربر أسوا الدول الرستمية (٩٠٨ - ٧٦١).

(٥) الصفرية: وهي فرقاً من الخوارج الأزارقة والإباضية وهم أتباع زيد بن =

و «التجديفة»^(١) وهم رغم تعدد فنائهم وكثرة فرقهم يرجعون في عقيدتهم إلى أساس واحد وهو «لا حكم إلا لله» وقوام نظرتهم السياسية «المساواة» بين المسلمين كافة ورفض الوصية ومبدأ الوراثة. فالخلافة في نظرهم ليست لفترة في الإسلام دون أخرى وإنما هي حق لكل مسلم كفء، وشروط الكفاية عندهم التقوى والزهد.

وقد حارب الخوارج في البداية علي بن أبي طالب، بعد تكفيرهم إياه للأسباب التي تقدمت، كذلك حاربوا الأمويين زمن معاوية ويزيد بن عبد الملك بن مروان. وقد تمكنا من توسيع رقعة نشاطهم في فارس، وحضرموت^(٢)، واليمامة والبحرين والموصى، وشمال العراق.

وقد أضعف الحجاج شوكتهم بحملاته المستمرة عليهم، لكنهم

= الأصفر وقولهم كقول الأزارقة في فساقه هذه الأمة ولكنهم لا يبيحون قتل نساء مخالفتهم ولا أطفالهم.

انظر التبصير في الدين للإسپراني^٣ صفحه ٥٣ عالم الكتب ١٩٨٣.

(١) النجادات العاذريه: وهم فرقة من الخوارج أصحاب نجدة بن عامر العنفي وقيل عاصم. استولى على اليمامة والبحرين سنة (٦٦ هـ) وفي سنة (٦٩ هـ) قتلها أصحابه. انظر العبر ١/٧٤ والمثلل والنحل للشهرستاني ١/١٦٥ والتبصير في الدين للإسپراني^٤ صفحه ٥٢.

(٢) حضرموت: ناحية واسعة في شرقى عدن (اليمن) بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأخافف. وبضم العين لغة هليل وأنشد لأبي صخر:
حدثَ مَرِيَةَ مَرِيَةَ حَدَّتْ مَرِيَةَ مَرِيَةَ
ضَجَّوْجَ لَهُ مَهَا مُلَّ وَحَالَبَ

انظر معجم البلدان للحموي ٢/٢٧٠ ومعجم البكري ٤٥٥/٢ عالم الكتب.

ظلّوا يثورون على الأمويين حتى أواخر دولتهم. ومن أشهر قادتهم شبيب الشيباني^(١)، والضحاك بن قيس^(٢)، وأبو حمزة الخارجي^(٣)، الذي دخل المدينة وخطب فيها خطبه المشهورة وقيل بل كانت الخطبة في مكة.

ومن أبرز شعراء الخوارج عمران بن حطان^(٤)، والطرماح بن الحكيم^(٥)، وكانا يصوران مبادئ هذا الحزب تصويراً دقيقاً صادقاً، ومن أهمها الخروج للجهاد في سبيل الله وفي شعرهم معان من القرآن وصور مستمدة من آياته. ونفحات من الإخلاص لعقيدتهم والإيمان

(١) هو شبيب بن يزيد الشيباني زعيم خارجي وثار على الأمويين قاوم جبوش الحاج سير الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان جيشاً لنجدته الحاج قفهر شيئاً عند نهر الدجيل حيث غرق وتوفي (٧٧ هـ).

(٢) هو الضحاك بن قيس الشيباني زعيم الخوارج العروبة استولى على الكوفة واتخذها مركزاً لردع هجمات مروان الثاني آخر الخلفاء الأمويين احتل الموصل قتله مروان في نواحي مارددين سنة (١٢٩ هـ).

(٣) هو المختار بن عوف الأزدي أبو حمزة ولد في البصرة خارجي إياضي ثار على الأمويين ودعا إلى مبايعة عبد الله طالب الحق في حضرموت حارب الدعوة العباسية، قتل بأمر من مروان الثاني سنة (١٣٠ هـ) وانظر جمهرة خطب العرب ٢ / ٤٦٧.

(٤) هو عمران بن حطان السدوسي شاعر فصيح من أهل البصرة اشتهر بطلب العلم والحديث أدرك صدراً من الصحابة روى عنهم وروي عنه، تزوج امرأة من الخوارج أمل هدايتها لمنتبه فحروله لمنتبها فنداً من أشد دعاء الخوارج، طورد فتنقل في البلاد متوارياً ومات في تواريه سنة (٨٤ هـ).

(٥) هو الطرماح بن الحكيم الطائي توفي حوالي (٧٢٣) من شعراء صدر الإسلام، سافر إلى الكوفة وإيران واعتنق مذهب الخوارج فنداً من كبار شعرائهم له ديوان.

بها والإقبال على الموت في سبيلها، يقول الطُّرماح:

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له
إن لم أفز ففوزة تنجي من النار
والنار لم ينج من رواعتها أحد
إلا المنينب بقلب المخلص الشاري^(١)
وهنا يذهب الطُّرماح إلى أن النجاة من النار يوم القيمة لا تكون
إلا بالرجوع إلى الله والموت في سيله.

- الحزب الزبييري:

أما حزب الزبييريين فقد بدأ بالظهور زمن معاوية، وكان هذا الحزب يعارض معاوية فيأخذ البيعة لابنه يزيد^(٢)، لكن معاوية تمكّن من غرضه بالحيلة والدهاء. ولقد كان على رأس الزبييريين عبد الله بن الزبير^(٣) أحد زعماء قريش الذي وقف في وجه الأمويين

(١) يشير في البيت الثاني إلى الآية التي وردت في سياق الكلام على عقبة الخارج.

(٢) هو يزيد الأول الخليفة الأموي الثاني ابن معاوية وميسون الكلبية (٦٤ - ٢٥ هـ) اشتراك في حياة والده في حملة على القسطنطينية، في عهده قتل الحسين بن علي في كربلاء (٦١ هـ) أرسل حملة إلى المدينة ومكة بقيادة مسلم بن عقبة والحسين بن التمير لإخضاع منافسه ابن الزبير، انصرف إلى الظهر والخمرة. غير أنه أصلح الإدارة والمالية توفى «بحواريين» من أرض حمص.

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام (١٧٣ - ١٩٦ هـ) وأمه اسماء كبرى بنت أبي بكر =

ودعا بالخلافة لنفسه بعدها صانع معاوية طيلة عهده وبايع يزيداً ولكنه نقض بيعته بعد مقتل الحسين، وأعلنها ثورة فعلية، فاستجاب له كثيرون وبايعوه بالخلافة، فحاربه يزيد دون أن يتمكن منه.

وبعد موت يزيد استقر الأمر لابن الزبير وأشتد فاستولى على الحجاز بكامله وعلى العراق واليمن ومصر، وكان قد أرسل أخاه مصعباً^(١) إلى العراق ليأخذ له البيعة من أهله، وقسم من بلاد الشام، وساعدته القبائل القيسية وكاد أمر الخلافة يقول إليه، حتى أن مروان بن الحكم^(٢) همّ بمعايعته فرده عن ذلك عبد الله بن زياد. ولكن انتصار مروان بن الحكم بمعارضة القبائل اليمنية في معركة مرج

= وأخت عائشة زوج النبي. اشتراك في فتوحات فارس ومصر وشمالي إفريقيا حارب إلى جانب عائشة في معركة «الجمل»، عاش في المدينة وعارض خلافة يزيد الأول ابن معاوية. ثار على ولادة الأمويين في الحجاز وأعلن نفسه خليفة حافظ على نفوذه في العراق بعد معركة «مرج راهط» قضى عليه الحاجاج وأخضع مكة والمدينة لنفوذ البيت الأموي.

(١) هو مصعب بن الزبير (٢٦ - ٧١ هـ). أخو عبد الله بن الزبير. ناب عن أخيه في العراق. قاوم الخوارج بشدة وحارب المختار التميمي وتقصى عليه (٦٨٧).

خرج إليه عبد الملك بن مروان بنفسه على رأس جيشه وعرض عليه الأمان وولاية العراقيين. على أن يرجع عن القتال، فأبى. قتل في المعركة عند دير الجاثليق. اشتهر بشجاعته وكرمه.

(٢) هو مروان بن الحكم (٢٠ - ٦٥ هـ) الخليفة الأموي الرابع به انتقلت الخلافة من السفيانيين إلى المروانيين. دافع عن عثمان وأشترك في معركة الجمل. بويع بالخلافة في الجایة ثم في دمشق. انتصر على القيسيين أنصار ابن الزبير في معركة «مرج راهط» واستولى على مصر. ضبط المقاييس والموازين. مات بالطاعون في دمشق.

راهط^(١) كان ينذر بالقضاء على زعامة ابن الزبير. وحين انتقلت الخلافة إلى عبد الملك سير جيشه إلى العراق فقتل مصعباً ثم أرسل الحجاج ليتولى شأن أخيه عبد الله في الحجاز فحاصره الحجاج في مكة وقتل ابن الزبير وأنصاره بعد أن قضى عليهم الحجاج قضاء مبرماً.

وكان الزبيريون يستندون في دعوتهم إلى:

(أ) – إن الخلافة حق لقريش وحدها، وقد أعلن أبو بكر ذلك يوم السقيفة^(٢) وعبد الله بن الزبير من كرام قريش وزعمائها وحفيد أبي بكر من ابنته اسماء فلماذا لا تكون الخلافة له؟ لا سيما وأنه بعد موت معاوية أصبح أكثر القرشيين كفاءة وعلماً وفضلاً وتقى، بينما يزيد خليفة معاوية مشهور بالخلاعة والمجون.

(ب) – إن عبد الله نشا في بيت النبي ﷺ، وقد رأته عائشة، وشهد كثيراً من الواقع، وسماه الرسول حواريه «أي تلميذه»^(٣) وهو

(١) مرج راهط: موضع في سوريا شمالي دمشق. اشتهر بالمعركة التي انتصر فيها مروان بن الحكم على القيسين وقادتهم الفسحاك سنة (٦٨٤). ووُحدَّد أركان الخلافة الأموية.

(٢) يوم السقيفة: هو يوم بيعة الصديق: حين اجتمع الأنصار بعد موت النبي ﷺ على سعد بن عبادة في سقيفةبني ساعدة ليبايعوه، فذهب إليهم أبو بكر ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة. وروى لهم أن النبي ﷺ قال: «لا يصلح هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش» فرجعوا إلى قوله وبايده عمر ثم بايده الناس. انظر فتح البلدان للبلاذري صفحة ٣٣ وما بعدها - دار الكتب العلمية.

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة بباب فضائل أصحاب رسول الله (١١) رقم الحديث ١٢٢ وهو عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ يوم فربطة: «من يأتينا بخبر القوم؟». فقال الزبير: أنا. قال الزبير: أنا.

أحد الستة الذين اختارهم عمر للشوري؛ وهو الذي أمره عثمان على داره حين حاصره الخصوم، ولهذه الأسباب كان الاعتقاد بأن الخلافة من حقه لا من حق أحد سواه.

ومن الشعراء الذين اتصلوا برجال هذا الحزب عبيد الله بن قيس الرقيات^(١) الذي التحق بمصعب وأكثر من مدحه ونال من الأمورين بغزله الفاحش وتعرضه فيه لأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك^(٢). على أن ابن قيس الرقيات لم يكشف في شعره عن ملامح بينة في سياسة الحزب الزبيري، ولم يكن داعبة صريحاً لمعتقداتهم السياسي^(٣).

= ثلاثة. قال النبي ﷺ: «لكل نبىٰ حواريٰ، وإن حواريَّ الزبير». ورواه أيضاً البخاري بباب الجهاد ٤١ - ومسلم في فضائل الصحابة ٤٨ - وأحمد بن حنبل ٨٦/١

(١) هو عبيد الله بن قيس الرقيات توفي نحو (٧٠٥) شاعر قرشي. ناصر الزبيريين ثم والي الأمورين «ديوانه» يحيى اشعاراً سياسية تاريخية.

(٢) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان (٤٨ - ٩٦ هـ) أبو العباس: من ملوك الدولة الأموية في الشام في زمانه امتدت حدود الإمبراطورية الأموية إلى بلاد الهند، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام. وكان نقش على خاتمه: «يا وليد إنك ميت». انظر الأعلام ١٢١/٨.

(٣) إذا تأملنا قصائد الشاعر في مدح مصعب لم نجد فيها عرضاً لمبادئ الحزب الزبيري أو تأكيداً لعقيدة زبيرة. فقد كان يعظم قربش ويشيد بامجادها حتى اعتبر بحق شاعر قربش، والقصيدة المهزية في مدح مصعب من قصائد الدالة على ميزة شعره ونزعته السياسية ومنها:

أفترت بعد عبس شمس كداء
فكدي فالرركن فالبطحاء
وحسان مثل الدمى عثيميا

- حزب الأنصار:

كانت عداوة الأنصار لبني أمية شديدة بدأت في حياة النبي ﷺ حين حاربوا إلى جانبه ضد أبي سفيان^(١)، وقويت أيام عثمان حين تسلط الأمويون على شؤون الدولة وأساموا إلى حرمة الأنصار ومصالحهم. ولما تولى علي الخليفة كان الأنصار أخلافه، ساعدوه في معركة الجمل^(٢)، وحققوا له النصر، كما ساعدوه في وقائع كثيرة ضد معاوية حتى ضيّع معاوية من بطشهم وقال: «ما سالت عن فارس مات من أهل الشام إلا قيل لي قتلته الأنصار».

لقد أخذ الأنصار يشفون ما في صدورهم من غلّ نتيجة كرههم الشديد للأمويين، فقد اندفع شعراوهم بهجوم بني أمية بالسنة حداداً، وينغلون بنساء الأمويين كيداً لهم، لكن دهاء معاوية وسياساته كانا

ت عليهنْ بهجة وجاء
لا يعن العياب فسي مرسوم النا
س إذا طاف بالعياب النساء

(١) هو صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان (توفي ٣١ هـ). ثري مكي من قريش كان من أشد المناوين للإسلام. قاد المشركين ضد المسلمين في أحد والخندق. أسلم يوم فتح مكة وقاد جيش المسلمين. ولد معاوية مؤسس الدولة الأموية.

(٢) جرت بين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة سنة (٣٦ هـ) سميت كذلك لأن عائشة كانت تثير حماس المناوين لعلي وهي على جملها. أسرت ثم أطلق سراحها.

كفيلاً بياسكات الأنصار، فلما قام الحزب الزبيري انضم قسم إليه وانضوى القسم الآخر إلى التشيع.

تلك صورة عن الحركات السياسية في العصر الأموي. أما النظام السياسي الذي أشرنا إليه في مطلع هذا الفصل، فقد كان نظام الخلافة العوروثة وكان معاوية أول الخلفاء الأمويين، وهو الذي حول الحكم في الإسلام من الشورى إلى ملك وراثي توارثه أولاده معتمدين على القوة والدهاء. وكان الأمويون يستعينون في تصريف أمور الدولة بأراء ذوي الحنكة الذين هم بمثابة وزراء. وقد أطلق بالفعل لقب الوزير على زياد بن أبيه في عهد معاوية وعلى روح بن زنباع^(١) زمن عبد الملك.

وقد وسع الأمويون نظام الكتابة في دولتهم نظراً لشعب الوظائف آنذاك وكان عدد الكتاب في نظامهم خمسة، أرفعهم شأناً كاتب الرسائل، والأربعة الباقون يتولون على التوالي شؤون الخارج، والجند، والشرطة والقضاء، وأشهر كتاب الرسائل سالم كاتب هشام بن عبد الملك وعبد الحميد^(٢) كاتب مروان بن محمد.

(١) هو روح بن زنباع بن سلامة الجذامي أبو زرعة توفي (٨٤ هـ) أمير فلسطين كان عبد الملك بن مروان يقول عنه: جمع طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز. الأعلام ٣٤/٣ دار العلم للملابين ١٩٩٠.

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري المعروف بالكاتب. يضرب به المثل في البلاغة وعنده أخذ المترسلون، أصله من قيسارية سكن الشام، واختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية. وبقال: «فتحت الرسائل بعد الحميد وختمت بابن العميد». له رسائل تقع في ألف ورقة طبع بعضها. توفي (١٣٢ هـ) في بوصير (مصر). انظر أمراء البيان ٢٨/١ والأعلام =

ومن الوظائف السياسية الهامة زمن الأمويين وظيفة المحجوبة، فقد اتّخذ معاوية حاجباً يمنع أحداً من الدخول عليه إلا بعد استئذانه. أما من حيث الإدارة فقد وسع الأمويون نظام الدواوين. قال الماوردي في تعريفه: «والديوان موضوع لحفظ ما يتعلّق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيش والعمال»^(١).

وكان عمر بن الخطاب أول من اتّخذ الديوان في الإسلام. ولفظة ديوان فارسية الأصل، وتعني السجل، وقد أطلق هذا اللفظ على المكان الذي تحفظ فيه الدفاتر والسجلات. وقد كانت أعمال الدولة الأموية الإدارية تستند إلى أربعة دواوين وهي: الرسائل والخارج والإيرادات، وديوان الخاتم الذي تحفظ به أوامر الخليفة وهو أعظم الدواوين^(٢).

وقد ظلت الدواوين تعتمد على الأساليب الدخلية، من رومية وفارسية، وأول من أمر بنقل الديوان إلى العربية عبد الملك بن مروان. فزاد هذا من تعزيز العرب وساعد على تطور لغتهم، وإقبال الأعاجم على إتقانها والبراعة فيها.

وكان الخليفة الأموي يُعين الولاة على الأنصار. وقد بلغ عدد الولايات في ذاك العصر خمساً تنتظم رقعة الدولة من الهند إلى

= ٢٩٠ / ٣ والوزراء والكتاب ٧٢ - ٨٣ .

(١) انظر كتاب مواقف في الأدب الأموي د. عمر فاروق الطباع صفحة (٢٧) دار القلم بيروت ١٩٩١ .

(٢) وهذا الديوان استحدثه معاوية .

المحيط الأطلسي والأندلس^(١). ونظراً لاتساع الدولة مما كانت عليه في صدر الإسلام، فقد أدخل معاوية نظام البريد مقتبساً إياها عن الفرس والروم لربط مركز الحكم بسائر الأقاليم والأنحاء، وقد أصاب هذا النظام الكثير من التقادم في خلافة عبد الملك الذي كان لا يمتنع عن حامل البريد في الليل أو النهار. وكما شهد العصر الأموي العناية بالأنظمة السياسية والإدارية، فقد عرف أيضاً الاهتمام بأنظمة العمالية، والحربية والقضائية^(٢).

الحياة الاجتماعية:

تغيرت الحياة الاجتماعية في عصر بنى أمية مما كانت عليه في صدر الإسلام. فبدأت تبعد عن البداوة وتأخذ بأسباب جمة من التحضر بفضل اتساع الفتوحات واتصال العرب بسكان الأقاليم المفتوحة، ودخول غير العناصر العربية في الإسلام. وقد كان لامتزاج بين هذه العناصر أثره الواضح في ازدهار الاقتصاد والعمارة والسياسة التي اتبّعها الخلفاء الأمويون في تسخير دفة الحكم، أبرز

(١) بلغت الدولة الإسلامية أوسع حدودها في زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد. وباتت تشمل بالإضافة إلى أقاليم الحجاز ومصر والعراق والشام، بلاد ما وراء النهر فوصلت شرقاً إلى حدود الصين وضمت بلاد السندي وبعض بلاد البنجاب. واجتاحت شمالاً أرمينيا وأذربيجان متقدمة الأناضول حتى القسطنطينية. أما في الغرب فقد افتحت العرب شمالي إفريقيا إلى المحيط الأطلسي واجتازوا البحر إلى إسبانيا أو «فاندلوسيا» التي عرفت باسم الأندلس.

(٢) انظر بهذا الصدد كتاب الأحكام السلطانية للماوردي.

الآثار في تطوير الحياة الاجتماعية.

واختلفت مظاهر هذا التغيير بين قطر وقطر وبيئة وأخرى من القطر نفسه، فالقطر الحجازي الذي كان مهد الإسلام ومركز الخلافة في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين لم يعد كذلك في عهدبني أمية، إذ انتقلت الخلافة إلى الشام وغلب على الحجازيين تياران: تيار المهو والغناء، والتيار الديني.

- وقد وصف الجاحظ^(١) دولة بنى أمية فقال: «إنها عربية أعرابية» وهذا الوصف يصح من ناحيتين:

١ - كون العنصر العربي، هو العنصر السائد في هذا العصر. فقد خالف الأمويون تعاليم الإسلام. وميزوا بين العرب والأعاجم، فخصوا العنصر العربي بالمرتبة الأولى في هذا المجتمع وعولوا عليه في تنفيذ سياستهم، وإدارة شؤون دولتهم، مع أن تعاليم الدين تدعو إلى المساواة وتعتبر التقوى أساساً في كلّ مفاضلة كما في قوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَا كُمْ»^(٢).

٢ - اتبع الأمويون سياسة التفريق بين العرب تلك السياسة التي كان لها اليد الطولى في إحياء العصبية القبلية من جديد. وخاصة في العراق. فانبثى الشعراء في هذا القطر يعيدون تراث الجاهلية على

(١) هو عمرو بن محيا أبو عثمان الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ) رئيس الفرقه الجاحظية من المعزلة. مولده ووفاته في البصرة. له تصانيف كثيرة منها «الحيوان» و «البيان والتبين» و «البخلا». انظر الأعلام ٧٤ / ٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

صفحة الشعر بمعاشر قبائلهم وما تأثرهم من ناحية، ومثالب خصومهم من ناحية ثانية، وباتت سوق المربد في البصرة والكتنasa في الكوفة منبراً للعصبيات المتنافرة، التي أذكت نار الحمية البدوية من جديد.

هذا مظهران يؤكدان ما ذهب إليه الجاحظ ويكشفان عن الطابع العربي في الدولة الأموية. غير أن هذا الطابع يكاد يقتصر على الجانبين السياسي والأدبي في هذا المجتمع أكثر مما يمثل العامة، لأن الاتصال بسكان الأقاليم المفتوحة ودخول العناصر غير العربية في الإسلام والامتزاج بين هذه العناصر بفعل التجاور والاختلاط والتزاوج والمصاهرة.

فحقيقة المجتمع الأموي إذاً كونه مجتمعاً عربياً في صميمه وطبيعته، ولكنه مجتمع عربي أخذ بتصيب وافر من مراحل التمدن وأزياء الحياة المدنية، باستثناء البيئة الاجتماعية في بطاح نجد وببراديتها.

فالحياة في مدن الحجاز وخاصة في مكة والمدينة، كانت على جانب ملحوظ من الإغراق في معطيات الشراء العريض، والغنى الموفور. انجرف له قسم كبير من سكان مكة والمدينة التي شاعت سياسة بني أمية أن تصرفهم عن الحكم، وأن تحولهم شطر الرفاه في العيش. فهي حياة رخية ناعمة تجد مسرحها في محافل الغناء، وندوات اللهو والطرب. فأغدقوا عليهم النعم وجعلت الأموال تنصب على مدنهم من التجارة والفنانين والفنانات والمعاشات الضخمة التي وظفتها لشباب قريش بعد أن فرضت عليهم الإقامة الجبرية في الحجاز لا يرثونه إلا بإذن الحاكم أو الخليفة. فتبسط الحجازيون على العيّم، وعكفوا على مترافق العيش يغترفون منها ما بوسعهم، ويتملون

من ملذات العمر. يعصف بهم في ذلك ظرف في طبائعهم، ووداعة في نفوسهم، ورقة في مشاعرهم، وفصاحة ولسن وميل إلى الطرف واللهو والعيش المنعم.

وبفضل هذه الحياة ازدهرت مجالس الغناء وأصبح الحجاز متجمعاً للمغنيين والمعنيات كابن سريج^(١)، والغريض^(٢)، ومعبد^(٣) وحباة^(٤)،

(١) هو عبد الله بن سريج من أشهر المغنيين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام (٩٨ - ٢٠ هـ) كان يغني مرتجلاً فيأتي باللحن المبتكر وهو من أهل مكة وأول من ضرب بها على العود بالغناء العربي، انظر الأعلام، الأغاني /١، ٢٤٨، وورد اسمه في نسخها مختلفاً عبد الله، وعبد، وعبد الله.

(٢) هو عبد الملك مولى العبيالت من مولدي البربر: من أشهر المغنيين ومن أحذقهم في صناعة الغناء سكن مكة وغنى سكينة بنت الحسين. وكان يضرب بالعود وينقر بالدلف، ويروع بالقصيب. كنيته أبو يزيد أو أبو مروان. ولقب «الغريض» لجماله ونضارة وجهه. توفي نحو (٩٥ هـ). انظر الأعلام، الأغاني /٤، ١٥٦، ٣٥٩/٢.

(٣) هو معبد بن وهب أبو عباد المدنى، نابعة الغناء العربى فى العصر الأموي. نشأ فى المدينة يرعى الغنم وربما اشتغل فى التجارة. ولما ظهر نبوغه فى الغناء أقبل عليه كبار المدينة. ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه. وكان أدباً فصيحاً، وعاش طويلاً إلى أن انقطع صوته. ومات فى عسكر الوليد بن يزيد سنة (١٢٦ هـ). انظر الأعلام /٧، ٢٦٤، والأغاني ٣٦/١.

(٤) هي حباة: جارية يزيد بن عبد الملك مغنية، من الحزن من روى في عصرها، ومن أحسن الناس وجهاً وأكملاً عقلًا وأفضلهم أدباً. قرأت القرآن وروت الشعر وتلمنت العربية. وهي مولدة كانت لرجل من أهل المدينة يعرف بابن رمانة خرجها وأدبها. فأخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز وطبقتهما، فاشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار، فغلبت على عقله وشغل =

وسلامة^(١)، وطوير^(٢)، وقد كان لهؤلاء وأولئك أثر قوي في ازدهار الغناء وتحضر الشعر الغنائي في هذا العصر. وقد حفل كتاب «الاغاني» لأبي الفرج الأصفهاني^(٣) بذكر المغنين والمغنيات وإقبال الناس على مجالسهم.

وهكذا وجد المجتمع الحجازي في هذه الأجواء الغنائية منصرفًا له عن إخفاقه السياسي، فاذاب همومه في السَّماع ونال من خلجلات الأوتوار، وغناء الحناجر، ما خفف به أجيج السخط ولظى النسمة على السلطان الأموي. وقد أدى مجتمع المجنون واللهو هذا إلى تطور في الحياة الاجتماعية وفي الأخلاق وسبل العيش والأنظمة والماكل والمشارب والملابس والمساكن. فما عاد الحجازيون ذوي خشونة

= بها. ثم ماتت سنة (١٠٥ هـ) فحزن عليها ومات بعدها بأربعين يوماً. انظر الأعلام /١٦٣، أعلام النساء /١٩٥.

(١) هي سلامة القدسية شاعرة من مولدات المدينة، أخذت الغناء عن معد وطبقته شفف بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي (من قراء مكة) الملقب بالقس لكترة عبادته فنسب إليه توفيت (نحو ١٣٠ هـ) الأعلام /٣٠٧.

(٢) هو عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم مولىبني مخزوم أول من غنى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع. ولد في المدينة (١١ هـ) وتوفي في السويداء (٩٢ هـ) وفيه ضرب المثل (أشمام من طويس) لما يقال من أنه ولد يوم وفاة النبي ﷺ. وفطم يوم مات أبو يكر وختن يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان و ولد له يوم قتل علي. انظر الأعلام /٥٠٥، وفيات الأعيان /١٤٠.

(٣) هو علي بن الحسين بن محمد أبو الفرج الأصفهاني من آئمة الأدب (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ). عارف في التاريخ والأسباب والسير والأثار واللغة والمخازي، ولد في أصفهان. ونشأ وتوفي في بغداد له (الاغاني) جمعه في خمسين سنة لم يعمل في بابه مثله. الأعلام /٤٢٧٨، بيضة الدهر /٢٧٨، تاريخ بغداد /١١٣٩٨.

ولا أهل شظف، وإنما رُقِّ عيشهم، وسكنوا القصور، وأقبلوا على الدنيا وتعلقوا بجانب من حضارة الأمم المغلوبة وأساليب حياتهم واقتنوا الجواري الروميات والفارسيات والهنديات، وشاع بينهم العبث وشرب الخمر.

إلى جانب تيار اللهو والغناء الذي غلب على حواضر الحجاز، قام جماعة من المتدينين هم بقية الصحابة وتابعوهم. وكانت مكة قبلة المسلمين ومزار حجتهم، والمدينة مدفن النبي ﷺ والصحابة مقصداً لوفود طالبي العلوم الدينية. فأحدث ذلك حركة دينية تجلت في ثلاث نواحٍ:

- أولاهما: دراسة القرآن وتفهمه وتفسيره.

- والثانية: روایة الحديث وغربلته والتثبت من صحته وجمعه.

- والثالثة: استنباط الأحكام من القرآن والحديث والسنّة لتطبيقها على جميع الناس في كل ما يصدر عنهم من أعمال وأقوال دينية أو دنيوية وهذا ما سُمي بالتشريع.

وهكذا نشطت العلوم الدينية في الحجاز فكان من نتيجتها ظهور أول مذهب من مذاهب الفقه هو المذهب المالكي لصاحبه مالك بن أنس^(١) وأول كتاب في هذا الموضوع هو كتاب الموطأ لمالك نفسه.

(١) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبهاني الحميري أبو عبد الله إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية مولده ووفاته في المدينة (٩٣ - ١٧٩ هـ). أصله من أمراء حمير له: «الموطأ» الذي هو أساس المذهب «الرد على القدرية»، «الرسالة إلى الرشيد»، «المدونة الكبرى».

ولم يكن جميع أهل الحجاز يحييون حياة الترف في عصر بنى أمية وإنما كان منهم معدمون، لم تبلغهم غنائم الفتوح، ولا أرباح التجارة ولا أعطيات بنى أمية. ونخص بالذكر سكان البوادي، والضاربيين في بطاح نجد. هؤلاء ظلوا على بدوتهم يعيشون مما تدره عليهم مواشיהם ويتنقلون بخيامهم في سيل انتاجع الماء والمراعي. عاداتهم ظلت أقرب إلى عادات الجاهلية من حيث محافظتهم على الشرف، ومنعة العرض. لكنَّ الصراع القبلي بينهم قد خف وضعف. وما عاد لهم مثل أعلى أو شيء يفخرون به في الحياة كما كانوا يفخرون في أيام الجاهلية. بعد واقعة مرج راهط التي دارت رحاها بين القيسية من جهة والتي كانت ضد الأمويين وتغلب وبكر من جهة ثانية وكانت الغلبة فيها لتفلب.

أما مجتمع الشام، فقد أُلف بين أهل الذمة ونزلته غالبية عظمى من القبائل اليمنية التي التأمت حول البيت الأموي وناصرته ضد خصومه والتأثيرين عليه فتعمت هذا القطر بكثير من هبات الحاكمين وفاز بأسباب الرعاية والاستقرار لبعده عن مواطن الفتنة والثورات في العراق وخراسان.

وقد كانت الشام مركزاً حضارياً قديماً، وحين افتحها الرومان في القرن الأول قبل الميلاد قاموا بترتيب الإدارة والتنظيم فيها واهتموا بتجهيز أنابيبها وخاصة أنطاكية ودمشق وتدمير، ويتوسّع نطاق تجاراتها وصناعتها فتحولوا كثيراً من البقاع إلى جنات ومزارع. وقد أصبحت صادراتها الزراعية من حبوب وخمور وزيوت وفواكه، ومنتجاتها الصناعية من نسيج القطن والحرير والكتان وأنية النحاس والزجاج تنقل إلى كافة المعمورة.

وقد ضمت بيته الشام المشتغلين بالجدل الفلسفى والنقاش الكلami والأدباء الواقفدين على البلاط طمعاً بالجوائز والأموال. ومع هذا المجتمع الذى كان مركز النشاط الإداري والسياسي، ومنه تنطلق أوامر الخلفاء إلى العمال والولاة في أرجاء الدولة الواسعة، فقد وجد سبيله إلى حياة الرخاء. ولم تحرم الخاصة فيه من حياة الترف ووسائل الترفيه. وكان من الطبيعي أن تنتقل دنيا الغناء إلى قصور الخلفاء والأمراء التي عنيت بمحالس الطرف وحفلات بضرورب من الفن الغنائي وتنافس الأمراء في افتتاح الجواري والمعنىات. فقد هام يزيد بن عبد الملك «بجابة» وفتن بها كما شغف بصاحبها «سلامة» وراجت تجارة القيان. وما ساعد على توفير هذا الجو حالة الاستقرار النسبي التي سيطرت على الشام آنذاك فقد كان بين الأمويين وببلاد الشام علاقات طيبة منذ أن كان معاوية والياً عليها، ولذلك لم تنشب فيها ثورات، ولا تشدد الأمويون على أهلها، فانتظمت أمورها وانصرف أهلها إلى نشاطاتهم الاجتماعية من تجارة وصناعة وعمران وزراعة.

أما مجتمع العراق فكانت الحياة فيه ملأى بالاضطراب والثورات طيلة العهد الأموي، وقد تميز عن المجتمع السابق بحياة الجد إذ كان مركزاً لحزبين من الأحزاب المعاشرة هما الشيعة والخوارج. ويعيش في ربوعه جماعات متباعدة الأهواء والتزعّمات، لذلك ساد المجتمع العراقي الصراع السياسي، ولم يفز كالأقليمين السابقين بقدر كبير من الحياة اللاحية، ولم تغزه أفنين الغناء التي عمّت بيته الحجاز المتحضرة. وقد اصطبغت الحياة الأدبية في هذا القطر بواعظ هذه الحياة الاجتماعية فكانت الخطابة الحزبية والشعر السياسي ميداناً

لقرائح البلغاء ومذاهب الأفذاذ من الشعراء . . .

ومن خلال هذه الصور المجملة للحياة الاجتماعية في ثلاثة أقاليم من الدولة الأموية يتضح أن سكان هذا المجتمع كانوا طبقات عدّة:

- ١ - طبقة الخاصة من الأسر القرشية صاحبة الرئاسة وحاملة لواء الحكم والسيادة وهي الطبقة التي جمعت عزّة الغلبة إلى شرف المكانة والثورة، فهيمنت على شؤون الإدارة والسياسة ونعمت بخض العيش وتاهت بما للنبلاه من شرف فكانت أعلى طبقات هذا المجتمع وأرفعها منزلة وأعلاها حكمة.
- ٢ - طبقة أهل الذمة من نصارى ويهود وقد أعطتهم الدولة عهداً بحماية أرواحهم ومتلكاتهم لقاء جزية يدفعونها.
- ٣ - طبقة الموالي وهم المسلمون من غير العرب وكانوا في الأصل أسرى حرب بمنزلة الرقيق، ثم أسلموا فعتقروا فأصبحوا الموالي. ولaci الموالي الكثير من الاحتقار في عهدبني أمية حتى كان يقال: «لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: كلب أو حمار أو مولى». وكانت حالتهم الاجتماعية من حيث الحقوق والواجبات أحاط من طبقة العرب^(١). ولكن ذلك لم يمنع وصول جماعة منهم إلى الوظائف العامة، ولتن

(١) كانوا يساقون إلى الحرب مثأة، ولا يحق لهم الزواج من عربية ولا ينالون نصبياً كاملاً من الرزق والعطاء. انظر الحضارة العربية الإسلامية لعلي الخربوطلي، صفحة (١٢٤).

لم يصل الموالي إلى متزلة العرب في فنون الأدب فقد كان لهم من تراث أممهم الغابر وثقافاتهم الأصيلة ما ساعدتهم على النبوغ في الكتابة والعلوم.

٤ - طبقة الرقيق والرقيق لغة: حرمان الفرد من حرية الطبيعية بحيث يصبح ملكاً للغير. وكان العرب يسترثرون حاميات المدن التي تقاومهم مقاومة عنيفة. ثم زاد عدد الرقيق إثر الفتوحات الإسلامية أيام الوليد بن عبد الملك وخلفائه، وأصبح هناك أسواق للنخاسة، حتى صار لبعض العرب عشرات بل مئات من العبيد.

والرقيق نوعان خصيان: وهم يستعملون للخدمة في دور النساء خاصة، ويقال إن معاوية هو أول من اتّخذ الخصيان لخدمته؛ والجواري: ويستعملن للرقص والغناء والخدمة في القصور.

ولئن كانت السيادة في المجتمع الأموي للعرب دون غيرهم من الأمم والشعوب، ولئن اتسمت بعض جوانب هذا المجتمع بروح البداءة، فلا شك أن طوابع الحياة العامة، نتيجة التفاعل بين ثبات هذا المجتمع لم تبق مشدودة إلى الماضي، ولم تعد تستمد نماذجها من التقاليد الجاهلية. فقد اقتبس أمراء الدولة من أنظمة الروم التي كانت معروفة في حواضر الشام وظيفة «الحجابة» وابتناء القصور الأنique، والدارات الفخمة، وألوان الأطعمة، فتغيرت عادات العرب في المآدب وحفلت موائدتهم بأصناف المأكولات الجديدة. ومثل ذلك في اللباس وسائر التقاليد الاجتماعية، وكَلَفَ كبار القوم بالصيد فنام عن شفف زاد من العناية حتى بكلاب القنص ولباسها، فقد ألبسوها

الأنسجة وجعلوا أساور الذهب في أعناقها وخصّصت العيد لخدمتها والشهر عليها.

هذا قليل من كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر الأموي ولننتقل الآن إلى الحياة العقلية.

الحياة العقلية:

يقتضي الكلام على الحياة العقلية في العصر الأموي تعداد العناصر التي شاركت في هذه الحياة وعملت على تكوينها، فقد بدأ في هذا العصر تكون العلوم التي نمت ونضجت في العصر العباسي. فنشأت العلوم الإسلامية من شرعة ولسانية، أما الشرعية فأهمها:

- قراءة القرآن: فقد اختلف الناس بعد موت النبي ﷺ في قراءة بعض الآيات، مما دعا إلى تنظيم هذه القراءات على أساس دقة.

- التفسير: عمد الصحابة إلى ضبط التفسير بعد أن كانوا يتناقلونه شفهياً طيلة القرن الأول للهجرة.

- الحديث: ويأتي الحديث بعد القرآن في الأهمية.

- الفقه: احتاج الخلفاء إلى نظم وشريائع يقضون بها بين رعاياهم فرجعوا إلى القرآن والحديث يستخرجون منها القوانين التي يطبقونها في تنظيم حكمتهم وفي ضبط شؤون الناس بأحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية.

وأما العلوم اللسانية فهي التي ترجع إلى ضبط اللغة العربية

كالنحو والصرف والحركات والأعجم بالعرب أدى إلى فساد اللغة قراءةً وكتابةً، مما حمل جماعة من العرب عرفاً قواعد اللغتين السريانية واليونانية، على وضع قواعد اللغة العربية فكان أبو الأسود الدؤلي أول من انشأ علم النحو عند العرب (نحو ٦٩ هـ).

وقد استفاد العرب في وضع علومهم الشرعية واللسانية وتطويرها من العلوم الدخيلة التي عرفوها عند السريان والفرس والهنود واليونان والتي بدأوا بنقلها إلى العربية. ولكن هذا النقل ظل محدوداً في العصر الأموي.

وبعد دراسة العناصر التي شاركت في صنع الحياة العقلية في العصر الأموي يمكن القول بأن من ساعد على تطور هذه الحياة يعود إلى أمور ثلاثة:

١ - الفكر العربي الأصيل الذي يتجلّى في آداب الجاهلية، لغةً وشعرًا وخطابةً وقصصاً وأمثالاً.

٢ - الفكر الإسلامي الذي هو من ثمار العقيدة الإسلامية، وقد شمل القرآن والحديث والتفسير والفقه، وعلم القراءات، وما نشأ من العلوم اللسانية كاللغة والنحو والبيان وعلم الحركات والأعجم، والتي كانت في البدء أداة لفهم أغراض الدين وتعاليمه.

٣ - الفكر الدخيل وهو هذه العلوم العقلية التي كانت معروفة في الأمصار المفتوحة والتي أخذت تغزو الفكر العربي، سواء عن طريق المجاورة والاختلاط، أو بسبب حركة النقل

والترجمة، وفي مقدمتها: الطب والكيمياء والفلك.

وكان للنشاط العقلي مراكزه أولها العراق: الكوفة والبصرة؛ حيث لم يكن في الأول الهجري مدينة تستطيع منافستهما، ففيهما وضعت علوم العقائد والفقه، وفيهما نشأت مذاهب النحويين واللغويين. وفي البصرة قامت مجالس تناقش فيها المسائل السياسية والدينية^(١). كما قام سوق المربد حيث يجتمع الشعراء والخطباء، يتناشدون ويتناقشون، والمربد في العصر الأموي كسوق عكاظ في الجاهلية.

أما مدن الحجاز كالمدينة المنورة ومكة فقد كانت مراكز لعلوم الحديث والتفسير بالنظر لوجود الصحابة والتابعين فيها.

وقيل: لا يمكن أن نغفل أثر الثقافات الدينية وفلسفاتها التي سبقت ثقافة الإسلام والتي ساعدت في تطوير الحياة العقلية الإسلامية، ونشأة الجدل الديني الفلسفى الذي بدأ يتكون في ظل الدولة الأموية والذي عمقت جذوره وامتدت أصوله وتفرعه في عهد الدولة العباسية.

(١) «مسألة القضاء والقدر... ومسألة ذات الله وصفاته».

الحياة الأدبية:

أثرت البيئة الأموية في الأدب من جميع النواحي، وانعكس هذا التأثير على الأدب، فقد راج الشعر بعد أن كان خافت الصوت في أيام النبي ﷺ والراشدين، ووتب ثبات كبرى حتى شغل جمهور الناس به من الخلفاء إلى الولاة والقواد، إلى الأئمة والفقهاء ورجال الدين، إلى مختلف طبقات الشعب رجالاً ونساء. فخالف في ذلك ما كان عليه بهذه الدعوة الإسلامية، وعادت إلى الشاعر مكانته وتنادى الناس قصائده وسارت بها الركبان، فإذا أشعار عمر بن أبي ربيعة^(١)، والأخطل والفرزدق وجرير وسواهم تحظى بسيرورة كبرى وتطير على السنة الناس غناً وامتداحاً ومفاخرة وتغلاً وهجاء.

وكان من أسباب ازدهار الشعر في العصر الأموي قيام الأحزاب السياسية والتناحر الذي حصل بينهما مما أثار العصبية العربية وقد أدى هذا إلى فورة الشعر السياسي، وانتشار الغناء وحياة اللهو والترف من أسباب ازدهار الشعر أيضاً. وأدى الغناء إلى ازدهار شعر الغزل.

وخطا النثر خطوات واسعة نحو التقدم، بفضل القرآن والأحداث السياسية من جهة، وبفضل الدواوين وتطور الحياة العامة وتمازج

(١) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أبو الخطاب أرق شعراء عصره (٩٣ - ٢٢ هـ) لم يكن في قريش أشعر منه نفاه عمر بن عبد العزيز إلى (دهلك) ثم غزا في البحر فاحتربت السفينة به وبينما معه فمات فيها غرقاً له «ديوان شعر».

الشعوب من جهة أخرى.

هذا التقدم ظهرت ملامحه في الخطابة إذ بلغت في عهد بنى أمية قمة ازدهارها وطبعت سائر الفنون بطبعها. حتى أن الشعر تحول قسم منه نحوها، فكان هنالك شعر خطابي يلقى أصحابه بين أيدي الخلفاء والأمراء. ولعل المنازعات السياسية هي التي ساعدت أكثر من سواها على تقدم الخطابة وازدهار الشعر السياسي لكون اللسان كان أفعل من السيف وأمضى منه في الخصومة والصراع.

أما الفن الشري الذي عرف ازدهاراً في العهد الأموي، ففن الرسائل وذلك بعد أن أنشئ للرسائل ديوان خاص، واختير له الفصحاء والبلغاء وأصحاب الثقافة والذكاء والحنكة الإدارية، فقد أخذ كتاب الرسائل يفتون في تدبيجها، ويسعون إلى جعلها مؤثرة بحسن أسلوبها. وفي ديوان الرسائل خطٌ مستقبل الشر العربي الغني على يدي سالم مولى هشام، وعبد الحميد الكاتب، وابن المقفع^(١)، الذي أدرك العباسي ومات في أيام المنصور . . .

وأما الفن القصصي فقد ازدهر بفعل الدين وحاجة الناس إلى تفسير القرآن والتبسيط فيما أوجده من قصص. وكان المسجد مسرح

(١) هو عبد الله بن المقفع (١٠٦ - ١٤٢ هـ) من آئمة الكتاب وأول من عني بترجمة كتب المتنق في الإسلام أصله من الفرس ولد في العراق مجوسياً (مزدكاً) وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح) ترجم عن الفارسية كتاب «كليلة ودمنة» وهو من أشهر كتبه. اتهم بالزندة فقتلته في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي. الأعلام /٤، ١٤٠، أمراء البيان ٩٩ - ١٥٨، معجم المطبوعات ٢٤٩.

القصص الدينية ومقرّ الإخباريين والقصاصين والنسابين، ولعل أشهر من عني بالقصص الدينية تميم الداري^(١). وإذا أضفنا إلى هذه الفتون ما رأينا من حركة فكرية وعلوم، أمكننا الاستنتاج أن النهضة الأدبية والفكرية لم تنشأ في العصر العباسي كما يزعم كثير من الدارسين، بل الصحيح أن نشأتها واتجاهاتها، قد انطلقت من عصربني أمية ثم اكتملت وتوسعت في أيامبني العباس حتى بلغت عهدها الذهبي.

وفي العصر الأموي نستدلّ على مدى تطور اللغة وعلومها واتساع مدلولها وكثرة ما استحدث فيها من مصطلحات، بمقتضى التطور الذي أصاب مجتمع الناس في سياساته وشؤونه الإدارية والمالية والفكرية ومعطياته الثقافية والعقلية، مما لا نقع عليه في معجم الألفاظ الجاهلية.

وكان لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم أثر في هذا التطور الذي أصاب لغتهم، كذلك كان له خطر على فصاحة اللسان العربي، وقد تدارك العرب هذا الخطر بالإسراع إلى وضع علم النحو. يقول جرجي زيدان: «أمّا استعجال العرب في تدوين النحو فإنه تابع لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين، لأنّ الفتح دعّت إلى الاختلاط بالأعاجم والاختلاط دعا إلى فساد اللغة»^(٢).

(١) هو تميم بن أوس بن خارجة الداري أبو رقية (توفي نحو ٤٠ هـ). صحابي أسلم سنة (٩ هـ) سكن المدينة ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان. مات في فلسطين. انظر تهذيب ابن عساكب ٣٤٤/٢، صفة الصفة ١/٣١٠، الأعلام ٨٧/٢.

(٢) راجع بهذا الصدد تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٢٦١/١ وما بعدها.

مر بنا أن العصر الأموي كان عصر نهضة أدبية كبرى تجلّت في كلٍ من الشعر والثر والخطابة، وقد زاد في اتساعها عوامل كثيرة أهمها:

- ١ - سياسة الدولة الأموية، فقد كان لهذه السياسة أثر مباشر في الشعر السياسي والخطابة والتدرير، وفي المدح والرثاء والهجاء والغزل.
- ٢ - صراع الأحزاب الذي أدى إلى حرب كلامية شعراً وخطابة، وامتداحاً وهجاء وإثارة وتحريضاً ودفعاً ومجادلة.
- ٣ - امتداد رقعة الإمبراطورية فقد أدى هذا إلى تمازج في الشعوب واحتلاط الأجناس والعادات والتقاليد والأزياء واللغات. فكان لذلك أثره في الحياة الاجتماعية التي انعكست في الأدب، وأثره في الحياة الفكرية وفي اللغة التي فرضت على جميع الشعوب التي فتح العرب بلادها أن تكلم بها، وأن يجعلها لغة العلم والأدب والدين والكتابة وغير خفي ما لذلك من انعكاس على الأدب.
- ٤ - تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمانية الذي أسهم في تطوير الشعر الغزلي والوصفي، الوجданى، الخمرى والمجنونى.
- ٥ - الحياة الدينية التي أثرت من وجوهين: وجه الاهتمام ووجه الاستخفاف، فالاهتمام الجدي بالدين ساعد على اتساع الدارسات الدينية وتعقّلها من تفسير القرآن إلى علم القراءات إلى الفقه إلى الجدل وعلم الكلام، إلى روایة الحديث

وتفسيره إلى القصص والوعظ والإرشاد والخطابة الدينية والمناظرات.

وأما الاستخفاف بشعائر الدين وأصوله فقد أدى وبالتالي إلى تفسي المعجون واللهو والعبث وشرب الخمور، وارتكاب الموبقات وطلب اللذائذ المحرمة، والتغنى بها على نحو ما نجد في شعر الوليد بن يزيد والفرزدق واين الرقيات والغزل الحضري إجمالاً والعمري بنوع خاص.

٦ - تطور الدولة وتنظيمها اللذان أديا إلى إنشاء الدواوين وتعريفها وتطور فن الرسائل والكتابة الفنية إجمالاً، وضبط سجلات الدولة، وما إلى ذلك.

٧- يقطة العصبيات التي أذكت شعر السياسة القبلية والهجاء والنقائض.

٨ - عناية الخلفاء بالأدب واللغة، وعقدهم المجالس للتمر والتندر والشعر والتسلية. فقد كانت مجالس الخلفاء الأمويين تعج برواية الشعر، والمحدثين، والنسابين، واللغويين والشعراء والخطباء من أهل الفصاحة واللسان وزاد في ذلك أهمية كون الخلفاء أنفسهم من كبار الملئين بالأدب واللغة ومحاسن الكلام، يحرصون كل الحرص على ألا تخلو مجالسهم من حوار ونقاش وتنافس، مما دفع بأرباب الكلام إلى تجويده والعناية به، وبالرواية إلى التنافس في كثرة المحفوظ وجودته، وحسن عرضه.

وكان عبد الملك بن مروان سيد تلك المجالس بلا منازع، فهو سياسي بارع، ورجل دولة من الطراز الأول وهو عالم بالدين

والشريعة والأحكام، شاعر أديب فصيح بلين خطيب مفوه، حافظ للأشعار والأخبار والحديث والتاريخ، فمن آية جهة نظرت إليه وجدته بارعاً متفوقاً.

وقد ساعد الهدوء النسبي في عهده واستقرار أمور الدولة على ازدهار المجالس الأدبية فكان لذلك كله كبير الأثر في الأدب شعراً ونثراً وخطابة وكتابة.

الفصل الثاني

مدخل نحو الشعر الأموي وخصائصه:

استعاد الشعر في زمن بنى أمية مكانته العالية التي كانت له في الجاهلية، وأخذ الناس يلهجون بالشعراء ويروون شعرهم ويفاضلون بينهم وظل بيت الشعر في عهد الدولة الأموية يرفع قوماً ويخفض قوماً؛ وقد أدرك الخلفاء والولاة أهمية الشعر فقربوا أصحابه، وأفاضوا عليهم جزيل الأعطيات.

وشعر الأمويين لا يختلف في شيء كثير عن شعر الجاهلية، وإنما هو امتداد لها، مع كونه أكثر أهمية وخطورة. والسبب في ذلك يعود إلى أن الخلفاء الأمويين كانوا من العرب يعجبون بأساليب القدماء، وأن الذوق العام كان ما يزال عربياً متألاً إلى ما ألهه من الأساليب القديمة.

وهكذا ظل الشعر جزل العبارة، قوي الأسلوب، فضيع التركيب

بعيداً عن اللحن، محافظاً على نظام القصيدة العربية التي تتناول عدة أغراض لا غرضاً واحداً وتلتزم وزناً واحداً وقافية واحدة باستثناء الغزل الذي عرف وحدة القصيدة وتطور أكثر من سواه معنى ومبني ورقة الفاظه، وطفت عليه الرشاقة في الأوزان وأسلوب الحكاية والقصص.

وفي حقل المعاني لم يتطور الشعر الأموي كثيراً، رغم ما أشاعه الإسلام في تفكير الناس وأخلاقهم، لأن الفترة الزمنية لم تكن كافية لتطویر العقلية العربية من حيث الشعر والألفاظ وتعزيز الثقافة، وتوسيع أفقها.

ولا يحدث تطور في المعاني ذو قيمة إلا إذا تطورت الحياة العقلية، التي تحتاج في خطواتها هذه إلى مدة أطول مما امتد العصر الأموي. وقد حدث هذا التطور في العصر العباسي الأول، واستمر. لكننا مع ذلك نشاهد في شعر الأمويين اتجاهات نحو هذا التطور، ولا سيما في أواخر العهد الأموي إلا أنه بقي محدوداً لكون الشعراء والبيئة وسائر العوامل أقرب إلى البداءة منها إلى الحضريّة.

في هذا المجال نقع على تطور وعلى تغيير في الخصائص، ولعل أبرز مظاهر التجديد في الشعر الأموي تتجلى في ازدهار بعض الفنون، والإكثار من النظم فيها كالشعر السياسي والغزلاني وشعر المدح والفنر والهجاء؛ وفي ضعف فنون أخرى والإقلال من الاحتفال بها كالوصف والرثاء والحكمة.

والواقع أن العصر الأموي كان عصر الازدهار الشعري للعديد من الأسباب نذكر منها:

- قيام الأحزاب وحاجة كل منها إلى الشعر، لإثارة العواطف وتحريك المشاعر ونشر المبادئ والعقائد التي تدين بها الأحزاب.

وكان الحزب الأموي أكثر الأحزاب حاجة إلى الشعر ورغبة في استهواه الشعراء وكان من لوازم سياسته ما أورده جرجي زيدان بقوله: «تألف الشعراء بالمال فضلاً عن اضطرار الشعراء وغيرهم إلى استرضائهم خوفاً من قطع العطاء عنهم»^(١) وكان معاوية صاحب هذه السياسية: «فقد جعل تصرفه في العطاء وسيلة لاكتساب قلوب المسلمين حتى أشياع العلوين وغيرهم من أبناء الصحابة الذين كان يخاف قيامهم للمطالبة بالملك»^(٢).

- ومن هذه الأسباب عودة العصبية القبلية، وكانت عودتها من نتائج السياسة الأموية منذ عهد الخلاف الأول بين علي ومعاوية. وقد تفاقم شأن هذه العصبية حين انقسم البيت الأموي إلى فرعين: مرواني وسفياني. كل هذا افتضى الشعر وأدى إلى نفوذ الشعراء في الأحياء وعند سائر الزعماء من خلفاء وأمراء وولاة.

- وقد كان بنو أمية من ذوي الحفاظ على تراث العرب الأدبي وفي مقدمته الشعر. وقد كان أكثرهم مشهوراً بحفظ أشعار العرب والعناية بالنظم. وكان معاوية يقول: «اجعلوا الشعر أكبر

(١) انظر كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ١/٢٦٣.

(٢) نفس المصدر السابق ١/٢٦٣.

حكم وأكثر دابكم^(١). وفي الأغاني: «أن عبد الملك راسل عبد الله بن الزبير شعراً، ورد عليه الأخير بمثل ذلك»^(٢). ولم يقتصر بنو أمية على رعاية الشعراء فقد أحجوا مجالس الشعر، وأخبار الكتب الأدبية تدل على امتلاكهم ملكرة النقد. وقد بلغ من شرف الخلفاء الأمويين بالشعر أن استقدموا الشعراء من الأمصار، وكانوا يبعثون إلى عمالهم باستعجالهم إليهم.

- وقد كان لهضمة فن الغناء في الحجاز على يد الرقيق والموالي أمثال معبد وسائب خاثر^(٣)، وابن مسجح^(٤)، وابن سريج وجميلة^(٥) وعزة الميلاء^(٦) وحبابة وسلمة، ما أدخله هؤلاء

(١) انظر تاريخ أداب اللغة العربية لجرجي زيدان ١/٢٧٧.

(٢) انظر الأغاني ١٢١/١١.

(٣) هو سائب بن يسار الليثي بالولاء أبو جعفر أحد أئمة الغناء والتلحين في العرب كان حسن الصوت، وهو أستاذ معبد المغني وابن سريج وعزة الميلاء وأخرين وقيل في سبب تسميته «سائب خاثر»: أنه غنى صوتا ثقيلا فقال من سمعه: «هذا غناء خاثر». أي غير مخلوق فلخص به لقبا. قتل في الحرفة (ستة ٦٣ هـ). الأعلام ٦٨/٣ ونكت الهميان ١٥٣.

(٤) هو سعيد بن مسجح أبو عثمان أو أبو عيسى ملحن من كبار المغنيين كان أسود من أهل مكة، جعل لنفسه منتها في التلحين تبعه فيه الناس من بعد، توفي ستة (٨٥ هـ) وكان من تلاميذه ابن سريج، والغريض. الأغاني ٢٧٦/٣ الأعلام ١٠١/٢.

(٥) هي جميلة السلمية موسيقية ملحنة كانت من أعلم المغنيين والمعنفات في العرب، في صناعة الغناء، وضفت الحاناً تهافت الناس على سماعها، كانت نابعة الغناء والتلحين في عصرها توفيت ستة (١٢٥ هـ) الأغاني ١١٨/٧، الأعلام ١٣٩/٢.

(٦) هي عزة الميلاء أقدم من غنى غناءً موقعاً في الحجاز، إقامتها بالمدينة وهي =

من ألحان الروم والفرس، نتيجة ما أصاب أهل الحجاز من الغنى والثروة، وما نجم عن ذلك من ميل إلى حياة الدعة واللهو. وتناول الشعر الغنائي وخاصة ما لا مس منه العواطف ومعانى العزول.

- ومن دواعي هذه النهضة العارمة في الشعر الاموي اهتمام الرواية والتقاد به فأقبل الشعراء على فرائحهم يشحذونها ليكسبوا شعرهم الرواج فاشتتدت روح المنافسة بينهم. وقد لعبت سوق المريد في البصرة والكتابة في الكوفة دوراً مهماً في هذه المنافسة وأذكى وطيس التسابق بينهم.

⁽¹⁾ وفي نظر النقاد قد مرَّ الشعرُ الْأَمْوَى بِثَلَاثَةِ أَدْوَارٍ:

الأول: أقرب إلى روح البداوة وأكثره في الفصل بين خصومة العلوين والأمويين وشعراء هذا الدور جلهم من خصوم بنى أمية ومنهم من جاهر بخصومتهم فعلاً كالنعمان بن بشير^(٢) وابن مفرغ

= مولاة للأنصار، لقبت بالميلاه لتماثيلها في مشيتها، قال طوبيس: هي سيدة من
غنى من النساء مع جمال بارع وخلق كريم وإسلام لا يشبهه دنس، تامر
بالخير وهي من أهلها، وتنهى عن السوء وهي مجانية له. توفيت نحو
(١١٥ هـ). انظر الأغاني /١، ٣٧٨/، أعلام النساء ٢/١٠١٣، الأعلام
. ٤/٢٣٠.

(١) انظر كتاب تاريخ أداب اللغة العربية لجرجي زيدان /٢٧٧.

٢) هو النعمان بن بشير بن سعد أبو عبد الله (٦٥ - ٢٠) أمير خطيب شاعر من أجيال الصحابة من أهل المدينة له (١٢٤ حدبنا) ولـي القضاة بدمشق وولي اليمن لمعاوية ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر، قتلـه خالد بن خلي الكلاعي وهو فاراً من حمص، له ديوان شعر وهو الذي نسب إليه معركة النعمان، جمهرة الأنساب، ٣٤٥، أسد الغابة ٥/٢٢، معجم المطبريات =

الحميري وأبو الأسود الدؤلي.

الثاني: وهو أشهر أطوار الشعر الأموي، ويسمى طور الفحول في عهد عبد الملك وخلفائه من بنى مروان وفي مقدمة هؤلاء الفحول: الأختطل وجrier والفرزدق والراعي التميري^(١) وأبو النجم الأحوص^(٢) والثلاثة الأول أكثرهم سيرورة شعر وتنوع أغراض وقد غلبت السياسة على أدب هذه الفترة ودارت الفنون العديدة من مثل المديح والهجاء والغزل في الفلك السياسي.

الثالث: قل عدد الشعراء، وغلب على الشعر طابع الخلعة والمجون وتحليل هذه الظاهرة اتساع الدولة الأموية وتزايد أسباب الرخاء وفتور حدة الصراع القبلي، والهجاء السياسي.

أغراض الشعر الأموي:

خاص الشعراء الأمويون في الأغراض القديمة من فخر وحماسة

.٣٦ / ١٨٦١ ، الأعلام =

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل التميري. أبو جندل شاعر من فحول المحدثين لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل، وقيل كان راعي إبل من أهل بادية البصرة عاصر جريرا والفرزدق، كان يفضل الفرزدق وهو من أصحاب الملحمات سماه بعض الرواية حصين بن معاوية. توفي سنة (٩٠ هـ)، انظر الأغاني ١٦٨/٢٠، جمهرة أشعار العرب (١٧٢)، الشعر والشعراء ١٥٦ . الأعلام ١٨٨/٤ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عاصم الانصاري من بنى ضبيعة شاعر هجاء صافى الدياجة، من مكان المدينة، نفي إلى (دهلك) توفي في دمشق سنة (١٠٥ هـ). وكان حماد الرواية يقدمه في النسب على شعراء زمانه ولقب بالأحوص لتفيقه في مؤخر عينيه. له ديوان شعر واخباره كثيرة. الأغاني ٤٠ ، الشعر والشعراء ١٢٤ ، الأعلام ٤ / ١١٦ .

ووصف ورثاءً ومديح وهجاءً ولكنها أصابت على أيديهم، وخاصة عند الفحول منهم كثيراً من معالم التجديد والتحول.

وبفعل التحضر والسياسة وعوامل الثقافات ظهرتألواناً تحمل آفاقاً أوسع من آفاق الشعر الجاهلي: فمن الأغراض القديمة التي اتسعت مجاريها المديح والهجاء، ومن أعلامها الفحول الثلاثة، وقسم الشعر الشامخة في هذا العصر: الأخطل والفرزدق وجرير وقد تمixin الهجاء عند هؤلاء عن فن جديد هو فن التفاصن.

أما عن الأغراض الجديدة ظهر الشعر السياسي: وأبرز أعلامه الأخطل، والكميت بن زيد الأسدي موضوع دراستنا، وعبد الله بن قيس الرقيبات، وعمران بن حطان، والطرماح بن حكيم. الغزل العلري: وهو صورة لحياة المعجين في بيته البداؤة الإسلامية وأشهر زعمائه: جميل بن معمر^(١) وقيس المجنون^(٢). الغزل الحضري:

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاوي أبو عمرو شاعر من عشاق العرب افتقد ببيته من فنيات قومه، وفي شعره من صدق وبساطة التعبير ما حبيبه إلى المغننين، توفي في مصر سنة (٨٢ هـ) نحو (٧٠١ ر) الأغاني ٩٠، الشعر والشعراء ١٦٦، الأعلام ١٣٨/٢.

(٢) هو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري شاعر غزل من أهل نجد يعرف بمجنون ليلي نسبة إلى ليلي العامرية التي كان يعشقاً ورفض أهلهما أن يزوجوها به فهام على وجهه ينشد الأشعار إلى أن مات سنة (٦٨ هـ) نحو (٦٨٨ ر). اشتهر بحبه العذري جمع شعره في ديوان. فوات الوفيات ٢٠٨/٥، الأغاني ١/٢، الشعر والشعراء ٢٢٠، الأعلام ١٣٦/٢.

وهو مرآة لحواضر الحجاز المترفة وشبابه اللاهي ، وشاعراؤه عمر بن أبي ربيعة ، والعرجي^(١) والأحوص . ومن هذه الألوان الجديدة الزهد والمجون ووصف الطبيعة والأراجيز^(٢) وعلى هذا النحو يمكن أن نقسم الشعراء في العصر الأموي إلى طوائف حسب الألوان التي برعوا فيها والتي اشتهروا بها . فهناك شعراء الغزل والطبيعة والمجون والزهد والسياسة . وتتميز أساليبهم واتجاهاتهم الفنية حسب أصالتهم في البداوة أو نشأتهم في المدن أو كونهم من الموالي لكنهم جميعاً ساعدوا على تحويل أغراض القصيدة العربية ومعانيها وبفضلهم أصبح الشعر الأموي يتميز بخصائص وأساليب ستفنف عليها بعد عرض الشعر السياسي .

(١) هو عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان الأموي القرشي أبو عمر شاعر غزل مطبوع ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة كان مشغولاً باللهو والصيد وكان من الأدباء الظرفاء الأسخناء وهو من أهل مكة لقب بالعرجي لسكنه قرية «العرج» قرب الطائف توفي في السجن سنة (١٢٠ هـ) وهو صاحب البيت المشهور:

أَفَعُونِي وَأَيْ فَتَى أَفْسَعَا
لِيَوْمَ كَرِيمَةَ وَسَدَادَ ثَفَرَ

له: ديوان شعر: الأغاني ١/٢٨٣، ٢٢٤، الشعر والشعراء، الأعلام ٤/١٠٩.

(٢) الأراجيز جمع أرجوزة قصيدة على وزن الرجز تعتمد أصحابها الغريب والغير مألف من الألفاظ إرضاءً لعلماء اللغة وتعتبر هذه الأراجيز من باب الشعر التعليمي أو اللغوبي . وقد اشتهر بها على التوالي: أبو الأسود الدؤلي ، والوليد بن يزيد ، ذو الرمة ، ورؤبة بن العجاج والعجاجي .

الشعر السياسي ومجمل خصائصه:

الشعر السياسي هو أكثر أنواع الشعر رواجاً في عصر بني أمية اقتضته أحوال السياسة العامة، من صراع بين الأحزاب، إلى وراثة في الحكم، إلى نظريات سياسية جديدة، إلى عصبيات قبلية قيسية ويعنية، إلى صراع عرقي بين الموالي والعرب.

والسياسة لغة كما جاء في القاموس المعجيط: «ست الرعية سياسة، أمرتها ونهيتها»^(١). فالسياسة لغة هي الأمر والنهي، وهي صفة من صفات الرئاسة كما يتضح مدلول اللفظة. وقد جمع الباحثون في اللغة بين السياسة والتدبير، وقد جاء في نهاية الأرب: «إذا صحت السياسة تمت الرياسة»^(٢). والسياسة اصطلاحاً بالاستناد إلى المدلول اللغوي يتضح أن السياسة شرط في كل من انتدب للرئاسة وهي عبارة عن امتلاك شؤون الناس والتصرف فيها بالأمر والنهي، لتدبير أحوال الرعية، لذا عنى بها المحدثون في فن التدبير وطريقة الحكم^(٣).

ومجمل القول بأن المتبع لأطوار المجتمع الإنساني خلال المعصور، من البداوة إلى العمران، ومن حياة الأسرة والجماعة، إلى نظام القبيلة فالدولة، يلمس ارتقاء القافلة البشرية في وسائل العيش، وأنظمة الإدارة، وأصول المعاملة على أساس تقدم عوامل التدبير أو

(١) انظر القاموس المعجيط للقير وزبادي ٢/٢٣٠. دار الكتب العلمية.

(٢) انظر تاريخ الشعر السياسي لأحمد الشايب صفحة ٧٣.

(٣) انظر المرجع السابق صفحة ١٨.

السياسة. ومفهوم السياسة خلال هذه الأحداث، كان ولا يزال مرتبطة بمعنىه اللغوي الأول، ومن البدائي أن تتشعب وسائل التدبير، وتتعدد طرقه وتتعقد مراميه بمقتضى مستلزمات الحياة ونرميسها. وإذا نحن أمعنا النظر في تراث الإنسانية العقلي ومستبطانها الفكرية، في مختلف حقول المعرفة وسائر النواحي النظرية والعملية وجدناها منثرة دائمًا بهذا التحول الحيثي للمفهوم السياسي المشار إليه، إنها صدى تجارب الأمم الإنسانية مع متطلبات الوجود الإنساني لحفظ النوع، والعمل من أجل البقاء^(١).

دور الأدب في السياسة:

لقد كان للفنون والأداب القسط الكبير، والمساهمة الفعالة في إذكاء الصراع بين الإنسان والإنسان، وبينه وبين محظه وبنته، منذ فجر التاريخ، ولشنّ باتت الحياة السياسية اليوم عند الأمم والشعوب ذات قوانين وشرائع ودساتير، ولشن أصبحت السياسة علمًا وختصاصاً وسلكاً واتجاهًا، فلا تزال الآداب تقوم بنصيتها من الأعباء في هذا العيدان الخطير، دون أن تتنازل عن مهمتها في توجيه ضمير الإنسانية، واستثارته ودفعه إلى كل نوع من أنواع الكفاح والنضال.

ماهية الشعر السياسي:

تبين مما تقدم أن الغرض من السياسة في كل أطوارها التحكم في

(١) انظر كتاب مواقف في الأدب الأموي د. عمر فاروق الطيّاب صفحة ٤١ وما بعدها. طبعة دار القلم بيروت ١٩٩١.

علاقة الناس ببعضهم، في نطاق البيئة الاجتماعية من ناحية وتجاوز ذلك إلى التصرف في علاقة هذه البيئة باليثارات الأخرى، انطلاقاً من حياة الأسرة فالدولة والعمل على مراعاة أحوال التطور وفق الظروف الزمانية والمكانية وعلى هذا النحو يكون الشعر السياسي، هو هذا اللون من الشعر الذي يواكب وقائع المجتمع من زاوية هذه الروابط بين أفراد الجماعة وبين الجماعة وسواها من المجتمعات، هادفاً من ذلك في الأصل إلى ترسير مكانة الفتنة التي يتمنى إليها الشاعر السياسي.

ولكن كيف نفسّر هذا الارتباط بين الشعر والسياسة، ولكل منها ماهية خاصة؟ وعلى أي أساس خاض الشعراء في المجالات السياسية؟ وبأي أسلوب شاركوا في تدبير شؤون مجتمعهم؟ قد يكون ارتباط الشعر بالسياسة من الظواهر المخالفة لطبيائع الأشياء للفروق الأساسية بينهما في الطبيعة والموضوع والغاية. فالشعر فن جميل - والسياسة علم - أو على الأقل كانت ولا تزال تفرض في الذين يمارسونها خبرة خاصة، وإلماً بما يمس حياة الجماعة في تاريخها وعاداتها الغالية وتقاليدها الراسخة، وميول الأفراد وأخلاقهم فيها.

وما دام الشعر فناً متصلًا بالوجودان وموضوعه الإحساس والشعور ومجمل عواطف النفس البشرية، وغايته الإثارة والإيحاء، والارتفاع بالذات عن الواقع ورتابته بقيمه التعبيرية والجمالية.

أما السياسة لنصيبها من العلم فمتصلة بالفكرة وموضوعها الحقائق، وتأمل الواقع، وغايتها درامة أوضاع الحياة ومشكلاتها

لإيجاد الحلول الملائمة لها. فكيف يعني الشعراء بما ليس من اختصاصهم؟

هناك إمكانية لتحليل العلاقة بين الشعر والسياسة وبين مهمة الشاعر السياسي. فالسياسة في الأصل، لم تكن علماً له أصوله الثابتة بقدر ما كانت تجربة يعول فيها على سداد الرأي وسعة الجملة ورجاحة المنطق. ولما كان الشاعر في المجتمعات الإنسانية الأولى ومنها المجتمع القبلي متميزاً ببناهة الفكر والقدرة على البيان كان بوسمه بذوافع غيرته على الجماعة التي يتعمى إليها وتعصبه لها، أن يدرك حاجات قومه ويدافع عن مصالحها، متأثراً بالظروف ومؤثراً فيها.

على هذا الأساس ظهر الشعر السياسي في البيئات القديمة ومنها البيئة العربية وخاض الشعراء في مشاكل مجتمعهم بأسلوبهم وطريقتهم. فما هو هذا الأسلوب؟

لقد تصدى الشعر للمفاهيم السياسية بما لا يتنافي مع طبيعته وعناصره الفنية. فالشاعر لا يتعرض للاعتبارات السياسية من زاوية العلم ولا يعرضها بأسلوب العالم ومنطقه، وإنما يضفي عليها من فنه ليجعلها جزءاً من القوة الروحية في المجتمع ويكتسبها من حرارة قلبها وأعماقها لتنفع بها النفوس وتستجيب لمؤثراتها. فأسلوب الشعر السياسي إذاً هو الأسلوب الوجданى الباعث على التأمل، المحرك للعواطف، وهو لا يخاطب العقل بالقياس والمنطق، وليس غايته الإقناع بالجدل والبرهان، بل يسلك إلى ذلك سبيل التأثير الشعورى ويمتلك النفوس بالأخلة البينية، والصور البلغية، فيلجمـا إلى التضخيم والبالغة ويختار العبارة الذالة، مكتفياً بالإشارة والتلميح

دون الإحاطة والاستقصاء^(١).

لقد اتسم الشعر السياسي عند العرب منذ الجاهلية حتى اليوم بسمات مختلفة اقتضتها الأحداث الكبرى التي شغلت الناس في كل مرحلة من مراحله: فهو يتعلّق بالسياسة القبلية في الجاهلية، والسياسة الدينية في بدء الإسلام والسياسة الحزبية في العصر الأموي، وبالنزاع العنصري في العصر العباسي. ولقد تشعبت أغراضه في أدب النهضة الحديثة فتولى الدفاع عن الحقوق القومية والأهداف الوطنية، والعدالة الاجتماعية.

نشأة الشعر السياسي عند العرب:

لم تعرف الحياة القبلية نظاماً في الحكم له قانونه، سوى النظام القبلي القائم على العرف وهو ما تجمع عندهم من خبرة في الحياة، وما نزل من عاداتهم وتقاليدهم متزلة الشرائع.

وفي إطار هذا النظام، كانت سياسة القبيلة الداخلية والخارجية منوطبة برئيس فيه الحكمة والجرأة، وذوي الرأي من عقلاه القبيلة وشيوخها. وقد كان لشعراء القبائل، إلى جانب خطبائها أثر ملحوظ في سياستها. وقد ذهب كثير من الباحثين إلى القول بأن الشعراء كانوا أهل المعرفة في الجاهلية لما تميزوا به من إلمام بأخبار العرب وأنسابهم وإحاطتهم بالمناقب والمثالب وقدرتهم على التوجيه في الحرب والسلم.

(١) نفس المرجع السابق صفحة ٤٣ وما بعدها.

وقد كانت قصائد الشعراء في العصر الأموي تحدث فعلها في نفوس القوم، وتأثير في عواطفهم وأفكارهم تأثير الصحف والمجلات والإذاعات في وقتنا الحاضر. ولهذا السبب بالذات كان للشعر مكانة مرموقة عند العرب، وكان للشاعر أهمية بالغة في قبيلته. وقد نقلت إلينا كتب الأقدمين مختلف الأخبار ومتعدد الروايات عن طرق الاحتفال بالشعر، والابتهاج بنبوغ الشعراء، كما حفظت لنا الوقائع الكثيرة التي تشهد لهؤلاء بالتأثير في بيئتهم إذ كانوا قادرين على أن يرفعوا بشاعريتهم منزلة الخامل حتى يشتهر ويضعوا من مرتبة القوي حتى يضعف.

لم تعرف البيئة الجاهلية للعرب حرباً طويلاً كحرب «البسوس»^(١) التي احتدمت طويلاً بين تغلب وبكر منذ مقتل كلب، وحرب «داحس والغبراء»^(٢) التي قامت بين عبس وذبيان في أعقاب

(١) حرب جرت بين تغلب وبكر أبني وائل دامت أربعين سنة، قيل إنه كان للبسوس وهي حالة جتساس ناقة فراها كلب بن ربيعة قد كسرت يbis حمام في حمام فقتلها. فظل جتساس يترقب الفرص حتى اغتال كلبيا. ثارت تغلب بقيادة المهلل لدم كلب ونشبت الحرب وجتساس شقيق جليلة زوجة كلب، فلحقت جليلة بقومها وأبيها بعد مقتل كلب وكانت حاملاً فولدت اليهروس فرباه حاله جتساس، ولما شب واكتشف تسله لأبيه كلب قتل جتساساً ولحق بهم تغلب. ثم اعتزل المهلل الحرب، وقال لقومه: «قد رأيت أن تبقوا على قومكم فإنتم بحرون صلاحكم وقد أنت على حربكم أربعون سنة وفني الحياة». وهاجر إلى اليمن ثم عاد بعد زمن. وتوفي بين أهله وعشيرته. ولهذه الحرب أيام مشهورة من أيام العرب: أشهرها الذناب، عنيزة، واردات، قضة، القصبيات، التحالق. نهاية الأربع، ٤٠٥.

(٢) حرب السباق. وقعت بين عبس وذبيان لخلاف على سباق الخيل بين فرسين-

السباق المشهور وقد أثرت هذه الحروب في شعر عمرو بن كلثوم^(١) ، والحرث بن حلزة^(٢) وعترة^(٣) والتابعة^(٤) وتعتبر الأيام التي تضم وقائع الخصومة والمنافرة بين أحياء العرب من بواعث الشعر السياسي الهاامة في الجاهلية.

== وعرفت باسميهما: داحس والغبراء. استمرت أربعين سنة ذكرها زهير بن أبي سلمي في معلقته، أشهر أيامها: المريقب وبطله عترة بن شداد، وذي حسأ، واليعمرية، والهباءة، وفروق، وقطن. نهاية الأرب ٤٠٥.

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب من بني تغلب أبو الأسود شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في شمال جزيرة العرب في بلاد ربيعة، عمر طويلاً وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند. أشهر شعره معلقته التي مطلعها:
﴿أَلَا هَبِّي بِصَحْنِكَ فَأَصْبِحُنَا﴾

مات في الجزيرة الفراتية سنة ٤٠ قبل الهجرة - الأغاني ١١/٥٢ ، الشعر والشعراء ٦٦ ، الأعلام ٥/٨٤ .

(٢) هو الحرث بن حلزة من بني يشكر وكان أبرص. انظر الشعر والشعراء ٢٩/٠ .

(٣) هو عترة بن شداد بن عمرو بن فراض العبسي أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى أمه حبشية اسمها زبيبة. سرى إليه السود منها وكانت من أحسن العرب شيمه ومن أعزهم نفأً يوصف بالحلم على شدة بطشه وفي شعره رقة وعذوبة. كان مفترزاً بابنة عممه «عبدة» قتله الأسد الرهيب أو جبار بن عمرو الثاني سنة ٢٢ قبل الهجرة. ينسب إليه ديوان شعر: الأغاني ٨/٢٣٧ ، الشعر والشعراء ٧٥ ، الأعلام ٥/٩١ .

(٤) هو زياد بن معاوية أبو أمامة شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل العجائز كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصدته الشعراء وتعرض عليه أشعارها. شعره كثير جمع بعضه في ديوان صغير. عاش عمراً طويلاً توفي سنة (١٨ قبل الهجرة) ، الشعر والشعراء ٣٨ ، الأعلام ٣/٥٤ .

ومن الشعراء الذين اشتهروا في هذا الصراع القبلي النابعة الذيبياني
فقد رد على خصوم بنى ذبيان، وتراء يشيد بأحلاف قومه من بنى أسد
ويهدى من يبغى الإساءة إليهم، ذاكراً أيام ظفرهم ومواطن فخرهم
كقوله في الرد على زرعة بن عمرو:

إذا حاولت في أسد فجوراً
فإنني لست منك ولست مني
فهم درعي التي استلامت فيها
إلى يوم النصار وهم مجئي
وهم وردوا الجفار على تميم
وهم أصحاب يوم عكاظ إني^(١)
شهدت لهم مواطن صادفات
أتميم بسواد الصدر مني

ويتبع النابغة أمجاد بنى أسد، فيصف شدة بأسهم، ذاكراً قتلهم
لحجر والد امرئ القيس، وزحفهم على بنى غسان، ممتدحاً أبطالهم
المجريين في الوعى، مشبهاً إياهم فوق الخيول الضامرة باللبيث
الضاربة، أو الجن:

وهم ساروا الحجر في خميس
وكانوا يوم ذلك عند ظني^(٢)

(١) الجفار: ماء لبني تميم عنده كانت وقعة بين تميم وبكر - يوم عكاظ - وقعة
بين فريش وهوازن.

(٢) حجر: والد امرئ القيس وهو من ملوك كندة. الخميس: الجيش.

وهم زحفوا الغسان بـ زحف
 رحيب السرب أربعين مرجحن^(١)
 بكل مجرى كاللبث يسمو...
 على أوصال ذيال رفن^(٢)
 وضمـر كالقداح مسوـمات
 عليهـا معـشر أثـباء الجـن^(٣)

وفي هذه القصيدة يخطئ النابغة عبيدة في ما ذهب إليه ويصفه
 بالحمق وتقلب الأهواء:

كـأنـك من جـمال بـني أـقبـش
 يـقعـقـع خـلـف رـجـلـيـه بـشـن^(٤)
 تـكـون نـعـامـة طـورـا، وـطـورـا
 هـوي الـرـيـح تـنسـج كـل فـن^(٥)
 وـلـو أـنـي أـطـعـك فـي أـمـور
 قـرـعـت نـدـامـة مـن ذـاك سـتـي

(١) رحيب السرب: واسع الصدر. مرجحن: ثقيل.

(٢) ذيال: صفة للفرس الطويل الذيل. الرفن: بالمعنى السابق.

(٣) الفسر: صفة للخيل الضامرة. القداح: جمع قدح، سهم العيسير. مسوـمات: لها عـلـمة.

(٤) الشـنـ: القرـبة الـبـالـية، أو الشـيـء الـيـابـسـ.

(٥) شـبـهـ بالـنـعـامـة لـحـمـقـهـ، وـبـالـرـيـح لـتـقـلـبـ أـهـوـاهـ.

وهذه صورة من شعر النابغة في السياسة القبلية تظهر من خلالها خصائص هذا الفن وطبيعة أسلوبه.

فالشاعر في مخاطبته لعيينة الفزارى الذى دعا ذبيان إلى نقض حلفها مع بني أسد، يرعى مصالح قومه، ويرى الإبقاء على صداقه ببني أسد ضرورة من ضروريات عزتهم فيلجلأ إلى تهديد الخصم، وتدفعه نظرته النافذة في الأمور إلى مدح الأحلاف بما يتفق والمهام التي يتدبهم إليها، من نصرة ذبيان وخوض المعركة إلى جانبهم ويمعن في تجريح رأي الدخيل، والاستخفاف به، فإذا بالشعر السياسي إطار لعدد من الأغراض الشعرية. أما الأسلوب الذي اتبعه النابغة في هذا الشعر، فهو أسلوب الإثارة يتجلّى تارة في الوعيد وأخرى في الحماس وطوراً في الهجاء في كلّ هذه اللهجات على الجدّ الحازم والعمية والاندفاع وقوّة الشخصية.

ويقول الدكتور عمر فاروق العطاب: «إذا استقصينا هذه التزعة عند البارزين من شعراء هذا العصر، لمسنا دائمًا اتجاه الشاعر القبلي، لينصر فريقاً على فريق تعظيمًا وتحقيقاً، وذمًا وإطراء، بأساليب متباعدة تتفق مع المواقف وتتلامم مع مكونات هذه الشخصيات الشاعرة كما هي الحال عند الحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم في بلاط عمرو بن هند».

ومجمل القول فقد كان الشاعر الجاهلي يحاول أن يوفر في شعره كثيراً من القيم الصوتية والتوصيرية فتجد أن

زهيراً^(١) يعني بنماذجه عنابة شديدة وهو يوزع هذه العنابة في كل جانب، ولذلك كان يحقق لنماذجه وصوره كل ما يمكن من مهارة وبراعة لا تقف عند هذه الجوانب بل تتعذّها إلى جانب آخر مهم، وهو جانب الإغراب في التصوير على نحو ما نراه يصور الحرب في معلقته هذا التصوير الرائع :

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ
وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجُمْ
مَتَى تَبْشُرُهُمَا بِتُوْهَا ذَمِيمَةَ
وَتَضَرُّ إِذَا خَسِرُتِمَا بِهَا فَضَرْمَ
فَتَعْرِكُمْ عَرْكَ الرَّحْىِ بِثَقَالِهَا
وَتَلْقَحُ كَثَافَائِسَمْ تَسْجُفَتْسَمْ
فَتَغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تَفْلِلُ لِأَهْلِهَا
فَرِي بِالْعَرَاقِ مِنْ قَبِيزِ وَدَرْهَمِ

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربعة بن رياح المزنى من مصر حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي آئمه الأدب من يفضله على الشعراء كافة. ولد في بلاد امزينة بنواحي المدينة. وكان يقيم في الحاجز من ديار نجد. وكانت قصائده تسمى العوليات. أشهر شعره معلقته التي مطلعها:
«امن ام او فى دمنة لم تكلم».

له ديوان ترجم كثير منه إلى الألمانية. توفي سنة (١٣ قبل الهجرة)، الأغانى ٢٨٨/١٠، الشعر والشعراء ٤٤، الأعلام ٥٢/٣.

فإن الصور تزدحم في تلك الأبيات وليس هذا ما يلفتنا بل الصور الغريبة التي صور فيها الحرب نطول بل هي تغلى لهم غلة ليست كفلة أهل العراق ففيها الموت والهلاك، ولا شك أنه تعب قبل أن يصل إلى هاتين الصورتين في وصف الحرب ويقول في تصوير آخر وأكثر تعقيداً إذ يقول في حروب القبائل التي لا تخمد نارها:

رعوا مارعوا من ظمئهم ثم أوردوا
غماراً تسيل بالرماح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم أصلدوا
إلى كلام متوكلاً متوكلاً

فقد عبر عن سلمهم وحربهم وما يبلون منها بتلك الصور من الإبل التي ترعى مراعي وبيلة، فإذا أرادت أن تشرب لم تجد إلا تلك المياه التي تسيل بالرماح وبالدم.

أما في صدر الإسلام فقد كان للنبي موقف صريح من الشعر...
بحاربه ما دام وسيلة للتناقر وتحكيم العصبية، ويعجب بما فيه أحياناً من الحكم والبيان والبلاغة، وحين سمع بيت طرفة بن العبد^(١):

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الواثلي أبو عمرو نحو (٨١ - ٦٠ قبل الهجرة) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ولد في بادية البحرين، قتل المعكير شاباً في «هجر» قيل: ابن عشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين. أشهر شعره معلقته التي مطلعها: «الخولة أطلال بيرقة نهمد».

سبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال: «هذا من كلام النبوة، إن من البيان لسحراً». كذلك كان يرغب الشعر إذا جاء دفاعاً عن مبدأ عادل أو ذوداً عن حق، وأصدق كلمة قالها شاعر في نظره قول لبيد^(١):

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

ولما أثارت قريش شعراءها في هجاء الرسول وصحابه، والتهجم على العقيدة الجديدة أهاب النبي بشعراء الإسلام للرد عليهم، لعلمه بما للشعر من تأثير في نفوس العرب، وقد قال للأنصار يومذاك: «ما

= = = وجمع المحفوظ من شعره في ديوان صغير ترجم إلى الفرنسية كان هجاء غير فاحش القول. الشعر والشعراء ، ٤٩ ، الأعلام ٢٢٥/٣ .

(١) هو ليد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري. أحد الشعراء الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام ووقد على النبي ﷺ. وبعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم وترك الشعر ولم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً قبل هو:
ما عاتب المرء الكرييم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

سكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات ومطلعها:
عفت الديمار محلها فقامها
بنى، تابد غولها فرجامها

جمع بعض شعره في ديوان صغير ترجم إلى الألمانية توفي سنة (٤١ هـ).
انظر الشعر والشعراء ، ٢٣١ ، الأعلام ٥ / ٤٠ .

يمنع الذين نصروا رسول الله سلامهم أن ينصروه
بالمستهم^(١). فانبى حسان بن ثابت^(٢) وكمب بن مالك^(٣)
وعبد الله بن رواحة^(٤) يسفهون شعراء قريش أمثال
عبد الله بن الزبوري^(٥)، وأبي سفيان^(٦) وعمرو بن

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٣٦/٣ . وما بعدها.

(٢) هو حسان بن ثابت الأنباري أبو الوليد الصحابي شاعر النبي ﷺ . وأحد
المخضرين - أدرك الجاهلية والإسلام - وكان من سكان المدينة اشتهرت
مدائنه في الغسانيين وملوك العيرة قبل الإسلام (عمي قبيل وفاته) كان شديد
الهجاء توفي سنة (٥٤ هـ). الأغاني ١٣٤/٤ ، الشعر والشعراء ، ١٠٤ ،
الأعلام ١٧٥/٢ .

(٣) هو كعب بن مالك الأنباري السلمي صحابي من أكابر الشعراء من أهل
المدينة اشتهر في الجاهلية وكان في الإسلام من شعراء النبي ﷺ وشهد أكثر
الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان وأنجده يوم الثورة. عمي في آخر عمره.
توفي سنة (٥٠ هـ) له ٨٠ حديثاً و «ديوان شعر»، الأغاني ٢٩/١٥ ، الأعلام
٢٢٨/٥ .

(٤) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنباري أبو محمد صحابي يعد من الأمراء
والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من
الأنصار وكان أحد النقابة الاثني عشر وشهد بدراً وأحد والختن ووالعديبة
توفي في البلقاء من أرض الشام في موقعة مؤتة سنة (٨ هـ). انظر حلبة
الأولى ١١٨/١ ، والأعلام ٨٦/٤ .

(٥) هو عبد الله بن الزبوري بن قيس السهمي القرشي. أبو سعد شاعر قريش في
الجاهلية. كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة. فهرب إلى نجران.
فقال فيه «حسان» أبياتاً. فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح
النبي ﷺ فامر له بحله. توفي نحو (١٥ هـ). انظر الأغاني ١٤/٤/١ ،
طبقات الشعراء ابن سلام ٥٧ - وما بعدها، والأعلام ٨٧/٤ .

(٦) هو صخر بن حرب بن أمية. صحابي من سادات قريش في الجاهلية. وهو
والد معاوية رأس الدولة الأموية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام

العاصر^(١) ويهجونهم مفتدين أباطيلهم حاملين على مزاعمهم.

ولقد تميز الشعر السياسي في صدر الإسلام بمدح النبي ﷺ، والذود عن عقيدة الإسلام وهجاء أعداء الدعوة الإسلامية، وتبيان ما في الوثنية من الزيف والضلال. وقد عني شعراء تلك الفترة بتاريخ غزوات النبي كغزوة بدر، وأحد، والافتخار ببطولة المؤمنين، والتغنى بالظفر على قريش، ورثاء الصرعى من الشهداء. ولم يخل هذا الشعر من الحكمة المتأثرة بالثقافة الدينية المتضمنة بعض المعانى القرآنية. ومن هذا القبيل قول عبد الله بن رواحة يهجو قريشاً ويتعز بالإسلام:

نجالد الناس عن عرفنا سرهم
في نسا النبي وفي نسات نزل السور
وقد علمتم بآناليس غالينا
حي من الناس أن عززوا وإن كثروا

= عند ظهوره أسلم يوم فتح مكة وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن شهد حنبأ والطائف. قال ابن المسبب: «فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقرب. قال فنظرت فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابي يزيد». توفي بالمدينة وقيل بالشام سنة ٣١ هـ وكانت ولادته سنة ٥٧ قبل الهجرة). انظر الأغاني ٨٩/٦، نكت الهميان ١٧٢، الأعلام ٢٠١/٣.

(١) هو عمرو بن العاص بن وايل السهمي القرشي أبو عبد الله (٥٠ ق-٤٢ هـ) فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم أسلم في هذه الحديبية. ولأن النبي ﷺ إمرة جيش «ذات السلاسل» وأمده بأبي بكر وعمر، وهو الذي افتح قنطرین. وصالح أهل حلب ومنبج وإنطاكية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية. أخباره كثيرة. انظر الإصابة ٧٩/٥، والأعلام ٥٠١/٢.

يَا هَمَائِشَمُ الْخَبِيرِ إِنَّ اللَّهَ فَضَلَّكُمْ
 عَلَى الْبَرِّيَّةِ فَضَلَّ مَالَهُ غَيْرُ
 فَبَثَتَ اللَّهُ مَا أَتَاكُمْ مِّنْ حَسْنَ
 تَثْبِيتٍ مُّوسَى، وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
 وَهُذَا حَسَانُ بْنُ ثَابَتَ، شَاعِرُ النَّبِيِّ يَرْدُ عَلَى أَبِي سَفِيَّانَ وَيُعَرَّضُ

بِهِ :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجْبَتْ عَنْهُ
 وَعَنْ دَلِيلِ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضَيِ
 لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِّنْكُمْ وَقَاءِ
 أَنْهَجَوْهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفِيَّةِ
 فَشَرَكْمَا الْخَيْرَ كَمَا الْفَدَاءِ

وَمَا قَالَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يَوْمَ أَحَدٍ :
 فَجَتَنَا إِلَى مَوْجٍ مِّنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ
 أَحَابِيْشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْئَعٌ^(١)
 ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ
 نَلَاثَ مِثْيَنٍ إِنْ كَثَرْنَا وَأَرْبَعَ
 فَرَاحُوا سَرَاعِيْمًا مَوْجِيْنَ كَأَنَّهُمْ
 جَهَنَّمْ هَرَاقِتْ مَاءَ الرِّيحِ مَقْلُعَ

(١) الأحابيش: جماعة من قريش نسبت إلى جبل «حبشي» لأنهم انفقوا عنده. الحاسر: الذي ليس على رأسه خوذة.

ورحنـا وأخـرـا سـابـطـاء كـأـنـا أـسـودـعـلـى لـحـمـ بـيـشـةـ ضـلـعـ

و واضح من المقاطع السابقة، أن هذا اللون من الشعر في صدر الإسلام كان يتميز بالبعد والمبالغة، والميل إلى الدقة، والعناية بالوضوح في المعاني وجزالة الأسلوب وقوه البيان، وصدق الشعور.

وبانتصار الدعوة الإسلامية، وإذعان قريش لأمرها، ودخول كافة العرب ضمن دائرة الدين الجديد، انتهى الصراع بين شعراء قريش وشعراء النبي، وخدمت جذوة الشعر السياسي، واستمرت كذلك خلال عهد الراشدين، ولكنها عادت قوية ضاربة بعد مصرع عثمان، واحتدام الخلاف بين معاوية والإمام علي. وهكذا تجددت معركة الشعر بيده الشورات والفتن الدامية بين المسلمين، وشهد الشعر السياسي ذروة تطوره في العصر الأموي.

الشعر السياسي في العصر الأموي وأغراضه:

كان لأساليب الدهاء والخداع التي استند إليها معاوية وعمرو بن العاص في حادثة التحكيم أثر سىء في نفوس المسلمين عامة، وأآل البيت خاصة. ومع أن الأمور قد استتبّت لبني أمية وتمكنوا من استلام زمام المبادرة، فإن صفو المعارضين زادت قوه وشدة. وإذا كانت العصبية القبلية قد انخذلت شوكتها إبان صدر الإسلام، بفضل الرابطة الجديدة التي جمعت العرب ووحدت كلمتهم فإن تعزيز الأمويين

لقرיש، أيقظ هذه العصبيات النائمة، وأنار نعرتها، فنشأت الأحزاب السياسية.

وكان لظهورها الأثر القوي في تكوين الآراء والنظريات حول الخلافة وصاحب الحق فيها، وكان لا بد للشعر أن يخوض معركة الصراع بين هذه الأحزاب، وأن يدخل معرتك الجدل السياسي الذي احتم بين بنى أمية أصحاب الدولة آنذاك وخصومهم، وعلى هذا النحو بات الشعراء في كل من هذه التكتلات السياسية دعاة للعقيدة السياسية عند كل جماعة وعاد الشعر السياسي أكثر توقداً وازدهاراً وأوسع أفقاً مما كان عليه في المهددين السابقين. واعتبر الشعر السياسي هو أكثر أنواع الشعر رواجاً في ذاك العصر اقتضته أحوال السياسة عامة. من صراع الأحزاب، إلى وراثة الحكم، إلى نظريات سياسية جديدة، وإلى عصبيات قبلية قيسية ويمنية، وإلى صراع عرقي بين الموالي والعرب. ومن أبرز خصائص هذا الفن:

١ - إنه أصبح غرضاً يقصد لذاته وتتشد فيه القصائد حتى عُدَّ من الأغراض التي جئت في العصر الأموي. وقد امتد أثره فشمل كل الأغراض كال مدح والهجاء والفخر وحتى الغزل (تفزُّل ابن الرقيات بأم البنين).

٢ - إنه أصبح موزعاً بين الأحزاب. لكل حزب شعراوه الذين ينطقون باسمه ويدافعون عنه وينادون بحقه، ويردون على الأعداء ويهجرونهم ويمتدحون الشخصيات التي تتزعزع الأحزاب، ويربطون كل ذلك بالدين وتعاليمه وأئسنه.

٣ - إنه كان لشعر كل حزب خصائص تميّزه عن شعر الأحزاب

- الأخرى . فشعر الأمويين يمتاز بأنه :
- أ - يضفي على الخلافة الأموية هالة من الدين ، وينادي بما يزعم بمقولة الحق الإلهي في الحكم .
 - ب - يطالب بحق عثمان بالخلافة وحق الأمويين بإرثه .
 - ج - يحمل شعراؤه على خصومبني أمية ويكفرون بعضهم لأنهم يعصون الخلفاء الذين اختارهم الله على زعمهم ومنحهم السلطان والتأييد .
 - د - يشارك بعض شعرائه في السياسة الأموية نفسها ، من مناصرة أمير على أمير . كما فعل مسکین الدارمي^(١) حين روج لبيعة يزيد ، وكما فعل النابغة الشيباني حين أيد رأي عبد الملك في نزع الولاية عن أخيه ، وجعلها لابنه وجرير حين جاري الوليد بن عبد الملك في خلع أخيه وتولية ابنه .
- أما شعر الشيعة فيمتاز بما يلي :
- ١ - الإشادة بحب آل البيت ، إذ كان الشعراء يجدون في هذا الحب تبركاً ومثوبة .
 - ٢ - التفجع على القتلى من الطالبيين ، ورثاؤهم ورثاء أنصارهم .
 - ٣ - الاحتجاج للشيعة وإظهار ما زعموا حقهم بالخلافة .

(١) هو ربيعة بن عامر توفي (٨٩ هـ). انظر الأعلام ١٦/٣ .

٤ - الحملة على بني أمية لانتزاعهم هذا الحق وقسونهم على آل البيت
ومن يناصرهم.

٥ - المناداة برجمة الإمام المتضرر، لينشر العدل في الأرض ويعيد
إلى ربوعها السلام.

٦ - حرارة العاطفة في التفجع والبكاء والنسمة على الظالمين.

٧ - غلبة العاطفة الدينية على شعرهم.

وأما شعر الخوارج ففيه:

١ - تصوير لشجاعتهم وبطولتهم وتفانيهم في سبيل مبادئهم.

٢ - تصويرهم لما اعتقادوه تقوى وزهداً وقضائهم الليلالي في
الصلوة والتهجد، وانصرافهم في النهار إلى الجهاد وال الحرب.

٣ - حضُّ على الثورة وتاجُّع ضد الأميين أولاً والطاليبيين ثانياً.

٤ - اتصاف بشيء كثير من الجزلة الأسلوبية وقوة التعبير وخلو
من العصبية العرقية أو القبلية لأن مبادئهم قد وحدت بينهم
وطبعتهم بطابع التحاب والديمقراطية. لا يؤثرون عربياً على
عجمي ولا قريشاً على غير قريشي.

٥ - تشابه في المعاني والأسلوب والموضوعات، لاستقائهم من
نبع واحد، وتغنيهم بعاطفة واحدة.

أما في شعر الزبيريين فليس فيه مميزات خاصة، سوى الدعوة
إلى جعل الخلافة في قريش، والإشادة بعد الله بن الزبير والاحتجاج
له بأنه أكفاء القرشيين وأحقهم بالخلافة. ولقد عمد عبيد الله بن قيس

الرقيات إلى نوع من الكيد لبني أمية، بأن تغزل بأم البنين، وأفحش في ذلك ولم ينجه من العقاب سوى شفاعة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(١) وأم البنين نفسها.

ولقد كان الشعر في العصر الأموي يشتمل على مطالع غزلية ووصف للطلول، وعلى مدح وهجاء، وفخر ومحاجة، ووصف للمعارك والحروب، وإشادة بالانتصارات والأبطال الذين حققوها.

وتفرعت السياسة في الشعر إلى نوعين: حزبية وقبلية. أما السياسة الحزبية فكانت تلوذ بالأحزاب التي ذكرناها آنفاً. وأما السياسة القبلية فكانت تتناول حياة القبائل واتجاهاتها وعصبياتها وحروبيها، كما هي الحال بين القيسية واليمنية، وكما هي الحال أيضاً بين تعيم والأزد، وغطفان وتغلب وقبيل عيلان وغيرها. لكن العصبيات القبلية نفسها كانت أكثر الأحيان مشدودة إلى عجلة الخلافة والحزبيات، كما نرى في شعر الأخطل وجرير والفرزدق وسواهم.

كذلك حافظ الشعر الأموي على كثير من الأغراض القديمة كالفخر والحماسة والرثاء، والطريديات والمدح والهجاء. ولكن بعض هذه الأغراض لم تقف عند معالمها القديمة بل تعددت إلى آفاق رحبة من حيث المعاني والصور والأختيارات والقيم الشعرورية. وفي مقدمة هذه الفنون التي انساقت مع روح العصر واستجابت

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صحابي ولد بأرض الجبنة وهو أول من ولد بها من المسلمين (١ هـ) كان كريماً يسمى بحر الجود وللشعراء فيه مدائح وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم صفين. مات بالمدينة (٨٠ هـ). فوات الوفيات ٢٠٩/١، الأعلام ٧٦/٤.

لأحداته وظروفة المدح والهجاء. فالمدح قوي شأنه في العصر الأموي، وأقبل عليه الشعراء يتذمرون به وتشجعهم في ذلك هبات الأمويين وكثرة عطائهم. والمدح نوعان:

أ - مدح سياسي:

يدخل في نطاق شعر السياسة. معظمه كان تطوعاً وإيماناً بحق المدح بفضله، كامتداح شعراء الأحزاب لزعامتهم، وتفتيهم بفضلهم، ولا سيما ذلك المدح الذي كان يوجه إلى آل البيت؛ وأفضل مثال عليه ما قاله الفرزدق في مدح زين العابدين:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأنه
والبيت يعرفه، والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
يجده انياء الله فـ دخـ تـ حـ مـ وـ اـ
وليس قولك «من هذا؟» بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجز
كتـ ايـ دـ يـ هـ غـ يـ اـ ثـ عـ مـ نـ فـ هـ مـ
يـ سـ تـ وـ كـ فـ انـ ، لا يـ عـ رـ وـ هـ مـ اـ عـ اـ دـ مـ
سـ هـ لـ الـ خـ لـ يـ قـ ةـ لـ اـ تـ خـ شـ ئـ بـ سـ وـ اـ دـ رـ
يـ زـ يـ نـ هـ اـ ثـ انـ : حـ سـ نـ الـ خـ لـ قـ وـ الشـ يـ مـ
حـ مـ اـ لـ اـ نـ قـ اـ لـ اـ قـ وـ اـ مـ إـ ذـ اـ فـ دـ حـ مـ وـ اـ

حلوا الشمائيل تخلو عنده نعم
 ما قال: لا قط إلا في شهادة
 لولا الشهادة كانت لاء نعم
 عم البرية بالإحسان فما قشعت
 عنها الغيام، والاملاق والعدم
 إذا رأته قريش قال قائلها:
 «إلى مكرام هذا ينتهي الكرم»
 يغضي حياء ويغضي من مهابته
 فما يأكل أحياناً يتنسم
 يكاد يمسك عرفة ان راحته
 ركن الحطيم إذا ما جاء يستلزم
 الله شرفه قدمها، وعظمها
 جرى بذاك له في لوحه القلم
 مشتقة من رسول الله نعمته
 طابت مفارسها والخيام والشيم
 من عشر حبئيم دين وبغضهم
 كفر، وقربهم منجني ومحظى
 مقدم بعد ذكر الله ذكر هم
 في كل بده ومحظوم به الكلم
 إن عد أهل التقى كانوا أئمة
 أو قبل: «من خير أهل الأرض؟» قبل: «هم»

وقيل: إن هشام بن عبد الملك، حج إلى مكة في خلافة أبيه

فقام بالطواف وسعى إلى التماس الحجر الأسود، فمنعه زحام
الحجيج من بلوغه وفيما هو يتأمل الجموع مع نفر من رجاله، أقبل
علي بن الحسين الملقب بزين العابدين وكان قد طاف بالبيت الحرام
ورام الحجر الأسود، فأسرع الناس بإفساح الطريق له وانشققت
صفوفهم لتمكينه من استلامه. فسئل هشام بن عبد الملك: من يكون
هذا الذي أحاطه الناس بالتجلة والوقار؟ فأنكر هشام أمره وقال: لا
أعرفه، لثلا تجتمع القلوب حوله.

لكن الفرزدق أجاب السائل: «أنا أعرفه». فقيل له: «ومن هو يا
أبا فراس؟» فأنشد الفرزدق قائلاً:

هذا الذي تعرفه البطحاء وطأنه
والتيت يعرفه والحل والحرم

فأثار هذا المديح غضب هشام وأمر بحبس الفرزدق فهجاه
بقوله:

أتحبسني بين المدينة والنبي
إليها قلوب الناس يهوي منها
يقلب رأساً لـم يكن رأس سيد
وعين له حولاء بـاد عـربـها
فلما سمع هشام هذا الشعر سارع بإطلاق سراحه خوفاً من أن
يتماـدـىـ في هـجـاهـ.

ب - مدح تكسبي:

لم تراع فيه التزعـعـاتـ السـيـاسـيـةـ الـخـاصـةـ بـالـشـعـرـاءـ،ـ وإنـماـ كانـ

أصحابه يبيعونه من خلفاء بنى أمية وقادتهم ولاتهم مع أنهم في داخل أنفسهم يكرهون بنى أمية. ولسنا نقول إن جميع ما ورد من هذا المدح لم يكن مبنياً على الصدق والإخلاص، وإنما نقول: إن الكثير منه كان كذلك. والأمويون يعرفون حقيقة الأمر تمام المعرفة لكنهم يغضون النظر عن هذا، بل ويعتمدون استعمال الشعراه المعارضين إليهم كي يمدحونهم، لما في ذلك من دعاوة لهم، ولما فيه من تأليف قلوب الشعراء، وإسكاتهم عن هجاء بنى أمية والتعصب لأحزابهم. لذا تراهم قد استقدموا أكثر الشعراء الذين ظهروا في عصرهم وأجزلوا لهم العطاء واشتروا مدائهم.

ومن أبرز مذاحي العصر الأموي:

جرير، والأخطل، والفرزدق وراعي الإبل، والنابغة الشيباني^(١)، وأبو العباس الأعمى، وعبد الله بن قيس الرقيات. على أن عدد الشعراء الذين وفدوا على البلاط الأموي ولا سيما في أيام عبد الملك بن مروان بلغ عدة مئات.

- الهجاء:

من الفنون الشعرية التي شاعت كثيراً في العصر الأموي لأغراض سياسية ولعصبيات قبلية وأسباب شخصية خاصة بالشعراء. ويمتاز

(١) هو عبد الله بن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس من بنى شيبان: شاعر بدوي من شعراء العصر الأموي كان يفد إلى الشام فيدفع الخلفاء ويجزلون له العطايا. له في الوليد مدائع كثيرة، ومات في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٥ هـ (ديوان شعر). انظر الأغاني ١٠٦/٧، والأعلام ٤/١٣٦.

هجاء العصر الأموي ياقتاعه وإفحشه وامتلأه بالشتائم، ويزاءة الألفاظ، والصور الخبيثة التي كان الشاعر يسخر بواسطتها من خصمه ويحط من قدره بين الناس.

وأفحش الأهاجي ما قاله الفرزدق وجريير في ما سمي بالنقائض، ولكن جريير كان أشد قسوة من صاحبه وأكثر سخرية وأقدر على الإفحام، وقصيدته الدامغة^(١) في الراعي النميري وبني نمير مشهورة جداً.

ومنها قوله:

فما هبت الفرزدق قد علمت
وما حق ابن بروع إن يهابا^(٢)
أعد الله للشمراء مني
صواعق يخضعون لها الرقابا
قرنست العبد عبدبني نمير
مع القينين، إذ غلبا، وخابا
أنساني عن عرادة قول سوء،
فلا، وأبى عرادة ما أصابا^(٣)

(١) الدامغة: سميت بذلك لأن وقعا الشديد يبلغ الدماغ فيصيب مقتله.

(٢) بروع: اسم ناقة الراعي النميري. نسبه جريير إلى ناقته تهكمًا واحتقارًا.

(٣) عرادة: رواية الراعي النميري.

لئنْسَ الْكِتَبِ تَكُبَّهُ نَمِيرٌ
 إِذَا اسْتَأْنَوْكُ وَانتَظَرُوا إِلَيْابَا
 أَنْلَمَسَ السَّبَابِ بِنْوَنَمِيرٍ؟
 فَقَدْ وَأْيَهُمْ لَاقَوا سَبَابَا!
 أَنَا الْبَازِي الْمَذَلُ عَلَى نَمِيرٍ
 أَحْتَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انصِبَابَا؟
 إِذَا عَلَّتْ مَخَالِبَهُ بِقَرَنِ
 أَصَابَ الْقَلْبَ، أَوْ هَنَّكَ الْحَجَابَا
 تَرَى الطَّيْرُ الْعَنَاقَ تَظَلُّ مِنْهُ
 جَوَانِحَ لِلْكَلَاكِلِ أَنْ تَصَابَا^(١)
 فَلَا صَلَى إِلَيْهِ عَلَى نَمِيرٍ
 وَلَا سَقِيتْ قَبُورَهُمُ السَّحَابَا!
 وَفَدَ حَلَّتْ نَسَاءَ بَنَّي نَمِيرٍ
 وَمَا عَرَفْتَ أَنَامَلَهَا الْخَضَابَا^(٢)
 إِذَا حَلَّتْ نَسَاءَ بَنَّي نَمِيرٍ
 عَلَى تَبَرَّاَكَ خَبَثَتْ التَّرَابَا^(٣)

(١) الطير العناق: خيارها، الكلاكيل: ج كلكل، الصدر، جوانح: مائلات أي أن الطيور الكاسرة تخاف هذا البازي فتلتصق بالأرض أو تتجنبه بالابتعاد عنه.

(٢) جلت: لقطت الجلة. البرة، يقصد أن نساء بنى نمير لا يعرفن سوى القذارة يلتقطن بأيديهن بعر الدواب فتسخ ولسن كالنساء المكرمات اللواتي يخضبن أناملهن.

(٣) تبراك: ماء لبني العبر، أين أنهن يدنسن التراب المحيط بهذا الماء لأنهن مرذولات.

ولو وزنت حلـوم بنـي نـمير
 عمـى المـيزـان، ما وزـنت دـبـابـا^(١)
 فـصـبـرـاً يـاتـيـوـسـ بـنـي نـمير
 فـإـنـ الـعـربـ مـوـقـدـهـ شـهـابـا
 سـهـمـ حـائـطـيـ قـرـمـاءـ مـثـيـ
 قـوـافـ لـأـرـيدـ بـهـ اـعـتـابـا^(٢)
 دـخـلـنـ قـصـورـ يـشـرـبـ مـعـلـمـاتـ
 وـلـمـ يـتـمـرـكـنـ مـنـ صـنـعـاءـ بـابـا
 طـوـلـكـمـ جـبـالـ بـنـي تـيـمـ
 وـيـحـمـيـ زـارـهـاـ أـجـمـاـ وـغـابـاـ
 أـلـمـ نـعـنـقـ نـسـاءـ بـنـي نـميرـ؟
 فـلـاشـكـرـأـ جـزـيـنـ لـاـ ثـوابـاـ
 فـفـضـ الطـرـفـ إـنـكـ مـنـ نـميرـ
 فـلـاـ كـعبـاـ بـلـفـتـ وـلـاـ كـلـبـاـ
 أـنـعـدـلـ دـمـنـةـ خـبـثـتـ وـقـلـتـ
 إـلـىـ فـرـعـيـنـ قـدـكـثـرـاـ وـطـابـاـ
 فـيـاعـجـيـ أـنـوـعـلـنـيـ نـميرـ
 بـرـاعـيـ إـبـلـ يـحـترـشـ الضـبابـا^(٣)

(١) حـلـومـ: عـقـولـ، يـحـتـرـقـ بـنـي نـميرـ فـيـنـيـ عـنـهـمـ رـجـاجـةـ الـعـقـلـ. وـيـجـعـلـ عـقـولـهـمـ
لـخـفـتـهـاـ لـاـ تـواـزـيـ وـزـنـ ذـبـابـةـ.

(٢) قـرـمـاءـ: قـرـبةـ لـبـيـ نـميرـ.

(٣) يـحـترـشـ: الـاحـتـراـشـ. تـحـريـكـ الـيـدـ فـيـ جـحـرـ القـبـ فـإـذـاـ أـخـرـجـ ذـبـبـ شـدـهـ بـهـ،
تـحـقـيرـ لـلـرـاعـيـ وـاستـهـزـاءـ بـنـيـ نـميرـ الـيـ هـدـدـتـهـ بـهـ مـعـ أـنـهـ لـاـ يـتـطاـولـ إـلـىـ =

لعلك يا عبيد حسبت حربى
 تقلل دك الأميرة والعلايب^(١)
 إذا غضبت عليك بنو تميم
 حسبت الناس كلهم غضاباً
 أنسا أكثر الثقلين رحلاً
 بيطسن منى، وأعظمها قباباً
 لنا البطحاء تفعهم السواقى
 ولم يك سبل أوديتي شباباً
 فما أنتم؟ إذا عدلست فرورمي
 شفاشها وهافت اللعاباً^(٢)

وراعي الإبل عبيد بن حصين التميري أحد هؤلاء الشعراء الذين
 أخزاهم جرير، وإذا علمتنا بأن الراعي في نظر ابن سلام^(٣) أحد

= مكانه.

(١) الأصرة: جمع صرار، ما يشد خلف الناقة لثلا يرضعها ولدها. العلايب:
ج. علبة قدح كبير يحلب فيه.

(٢) عدلت: أمالت روؤسها، القروم جمع قرم سمة في أنف البعير، الشفاشق:
جمع شفاشقة ما يخرج من فم البعير إذا هاج، هافتت اللعاباً: أخرجت لعابها
من أفواهها، استفهم يقصد به الأذداء، فبني تمير دون جرير في المكانة.
فتبه نفمت وهجاءه بما تلفظ الإبل من لعابها أثناء الهياج.

(٣) هو محمد بن سلام بالشديد بن عبيد الله الجمحى أبو عبد الله إمام في الأدب
من أهل البصرة (١٥٠ - ٢٣٢ هـ) ألف كتاباً في طبقات الشعراء الجاهلين
والإسلاميين عنى بشره «فون جوزيف هل». كان يقول بالقدر فقال أهل
ال الحديث: «يكتب عنه الشعر أما الحديث فلا». فهرست ابن النديم ، ١١٣ =

شعراء الطبقة الأولى، بعد المثلث الأموي وأن أبي زيد القرشي^(١)
جعله من أصحاب الملحمات، اتفصح لنا مقدار رعنونه جرير في
الهجاء.

أما المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة فتتصل بسلسلة طويلة
من أهاجي جرير منها اضطرار الفرزدق للرد على جرير دفاعاً عن
قومه وكان هذا سبباً أو من أسباب تلاحم العمالقين. وكان راعي
الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفصله على الرغم من هجاء
الفرزدق عشيرته. فلما لقيه جرير قال له: «يا أبي جندل إن قولك
يستمع وإنك تفضل الفرزدق على تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومك وهو
يهجوهم، وهو ابن عمي ويكتفيك من ذاك إذا ذكرنا أن نقول كلاماً
شاعر كريم ولا تحتمل مني ولا منه لائمة». فسكت الراعي. ولكن
جندلأ قال لأبيه غاضباً: «لا أراك واقفاً على كلب من كلب، لأنك
تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً». ثم ضرب بغلة جرير بسوط كان
في يده فرمحته رمحة وقعت فيها قلنستوه. فأثار جريراً تهجم جندل
عليه وأقسم ليتقمّن من الراعي وابنه. فجاء منزله، وجلس في عليه
له، وطلب باطية من نبيذ وظل يباهم في شبه جنون، فما جاءه
السحر حتى أتم القصيدة، فصاح قائلاً: «أخزيته ورب الكعبة» ثم
خرج إلى العربيد وألقاها على مسامع الناس، والفرزدق والراعي وابنه
حضور. فلما أتى على تمامها قال الراعي لقومه: «ركابكم ركابكم،

= والوافي بالوفيات ١١٤/٣ ، الأعلام ١٤٦/٦ .

(١) هو محمد بن أبي الخطاب القرشي أبو زيد. راوية عالم بالشعر توفي
(١٧٠ هـ) صنف جمهرة أشعار العرب. طبع باعتماد سعيد عمون اللبناني.
انظر معجم المطبوعات ٣١٣ - الأعلام ١١٤/٦ .

فليس لكم هنا مقام، فقضحكم جرير. وأقسم بالله ما بلغه إنسٰي وإن
لجرير لأشياعاً من الجن^(١).

ولسنا نجد في الهجاء الأموي تطوراً مهماً في المعاني والأخيلة
والصور حتى ولا في الأسلوب إلا ما كان من شأن النقائض التي برع
بها شعراء المثلث الأموي: جرير والأخطل والفرزدق.

ولقد عرف العصر الأموي أغراضًا شعرية أخرى كانت أقل انتشاراً
مما ذكرنا، وأبرزها شعر الخمر واللهو والمجون الذي ينضوي جزء
منه تحت الغزل الحضري وما فيه من خلع للعذار، والجزء الأكبر
يتجلّى في خمريات الأخطل وكانت على شيءٍ من الرصانة والإتزان
وحسن الخلق. كما يظهر في خمريات الوليد بن يزيد^(٢) الذي خرج
على كل وصايا الدين، وانغمس في الخمر والغناء والمجون، وانتشر
صيته، بين الناس، فأحدث ذلك مشكلة سياسية لكون الوليد واحداً
من الأسرة الأمورية الحاكمة وولي عهد، وقد تولى الخلافة فترة قليلة
وانتهى ضحية الصراع السياسي.

ولكن شيئاً جديراً بأن يقال في هذا المقام هو أن خمريات
الأخطل والوليد بن يزيد قد أضفت على الشعر الخمري روقاً بعد أن

(١) انظر الأغاني لأبي الفرج ٣١/٨.

(٢) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو العباس (٨٨ هـ - ١٢٦ هـ) من
ملوك الدولة المروانية بالشام. يعبّ بالأنهماك في اللهو وسماع الغناء له
شعر رقيق وعلم بالموسيقى. كان مشهوراً بالالحاد متظاهراً بالعناد. قتله
 أصحاب يزيد في قصر النعمان بن بشير. انظر الطبرى ٦٥/٨، الأغاني
١٢٣/٨، الأعلام ٢٧٤/١.

كاد يدركه الفناء. وإذا كان الأخطل قد تلمذ للأعشى، ولم يتجاوزه كثيراً في شعره الخمرى، فإن الوليد قد قطع في ذلك شوطاً بعيداً وكان في خميرياته ممهدًا لأبي نواس ومسلم بن الوليد وسواهما من شعراء الخمرة في الأعصر العباسية.

وهذا التمهيد إنما يعني به الانصراف إلى حياة اللهو وجعل الخمرة لذة كبرى، وعنواناً للعيش الرغيد، والربط بين الخمرة والفناء والحب والمجون وتطور الحياة الاجتماعية والفكيرية والدينية، وتطور المعاني الخمرية والصور والأسلوب، بحيث أن كثيراً من شعر الوليد يشبه شعر أبي نواس حتى ليظن قارئه لأول وهلة أنه للنواسي.

أما سائر الأغراض التي كان لها نصيب ضئيل في العصر الأموي فالوصف والرثاء والحكمة، لكنها لم تنعدم كلية وإنما كانت قليلة فقط. وهناك نوعان شعريان لم يكونا نادرين في العصر الأموي، هما الفخر والرجز. أما الفخر: فمعظمها ورد في الشعر السياسي وفي شعر العصبيات القبلية والمناقض الهجائية والمديح.

وأما الرجز: وهو بحر من الشعر كان الشعراه يضمونه أغانيهم الشعبية في الأفراح والمحروب وغير ذلك فقد تطور حتى وقف جنباً إلى جنب مع الشعر الكلاسيكي المعروف؛ ومن أبرز شعرائه العجاج^(١)

(١) هو عبد الله بن رؤبة العجاج راجز مجيد من الشعراء ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك فقلج وأقعد وهو أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيدة وكان لا يهجو وهو والد رؤبة الراجز المشهور أيضاً. له ديوان في مجلدين (توفي سنة ٩٠ هـ). انظر الشمر =

وأبو النجم^(١) ورؤبة بن العجاج^(٢).

= والشعراء ١٤١، وقيل انه سمي العجاج بقوله: حتى يمعن عندها من عجعجا. وأخذ عليه قوله. انظر الأغاني ٤/١، الأعلام ٨٦/٤.

(١) هو الفضل بن قدامة العجلاني أبو النجم من أكابر الرجال ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر نفع في المصر الأموي. توفي سنة (١٣٠ هـ) انظر الأغاني ١٥٠/١٠، الشعر والشعراء ١٤٢، الأعلام ١٥١/٥.

(٢) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحاف أو أبو محمد راجز من الفصحاء المشهورين من مخضري الدولتين الأمورية والعباسية. كانوا يهتمون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. مات في الباذية (١٤٥ هـ) وقد أسن وله ديوان رجز، وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: «دفنا الشعر واللغة والفصاحة». وفيات الأعيان ١٨٧/١، البداية والنهاية ٩٦/١٠، الشعر والشعراء ١٤١، الأعلام ٣٤/٣.

الفصل الثالث

نسبة وخبره:

قال أبو الفرج الأصبهاني في نسبه هو: الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن وهب بن عمرو بن سبيع الأسدي أبو المستهل^(١). وقيل: هو الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس بن عمرو بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار^(٢).
ويذكر الأمدي اختلافاً آخر في نسبه ويذكره هكذا هو:

(١) انظر ترجمته: شرح شواهد المعني ١٣، الأغاني ٣/١٧، وجمهرة أشعار العرب ١٨٧، ومجمع الأمثال: في الكلام على مادر، والشعر والشعراء ٥٦٢، والشعر والشعراء ابن قتيبة ١٣٩ وخزانة الأدب ٦٩/١ وما بعدها، والأعلام ٥/٢٣٣، ومعجم المطبوعات ١٥٧٠.

(٢) انظر الأغاني ٣/١٧.

الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن ذؤبة بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد^(١). وقد أسقط الأمدي اسم سبيع. وانظر خلافاً آخر في كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشند^(٢) ويحمل اسم الكميـت شـعـراء ثـلـاثـة من بـنـي أـسـد وـهـمـ الـكمـيـتـ بنـ زـيـدـ،ـ والـكمـيـتـ الـأـكـبـرـ بنـ ثـعـلـبـةـ بنـ نـوـفـلـ،ـ والـكمـيـتـ بنـ مـعـرـوفـ بنـ الـكمـيـتـ الـأـكـبـرـ^(٣).

وقال ابن سلام: إن الكميـتـ بنـ مـعـرـوفـ «أشـعـرـهـمـ قـرـيـحةـ»،ـ والـكمـيـتـ بنـ زـيـدـ «أـكـثـرـهـمـ شـعـراـ»،ـ والـظـاهـرـ أنـ عـائـلـةـ الـكمـيـتـ لمـ تـكـنـ ذاتـ مـجـدـ عـرـيقـ،ـ وـلـمـ يـكـنـ فـيـ أـعـصـانـهـاـ مـنـ نـالـ قـيـادـةـ أوـ إـمـارـةـ.ـ وإنـ شـهـرـةـ الـكمـيـتـ اـعـتـمـدـتـ عـلـىـ شـخـصـيـتـهـ وـطـمـوـحـهـ الفـرـديـ.

وقد عـرـفـ التـارـيـخـ جـمـاعـةـ مـنـ أـهـلـهـ وـمـنـ ذـوـيـ قـرـيـاهـ مـنـهـمـ:

- عـمـهـ عـبـدـ الـواـحـدـ بـنـ قـيـسـ،ـ وـهـوـ وـالـدـ زـوـجـتـهـ حـبـيـبـيـ بـنـتـ عـبـدـ الـواـحـدـ وـكـنـيـتـهـ أـمـ الـمـسـتـهـلـ،ـ وـلـهـ أـخـ اـسـمـهـ وـرـدـ بـنـ زـيـدـ^(٤)ـ،ـ وـلـهـ مـنـ الـأـوـلـادـ حـبـيـشـ بـنـ الـكمـيـتـ وـالـمـسـتـهـلـ بـنـ الـكمـيـتـ^(٥)ـ وـهـوـ أـشـهـرـهـمـ.

ويـلـمـعـ الجـاحـظـ فـيـ رـسـائـلـهـ أـنـ لـهـ وـلـدـ آـخـرـ اـسـمـهـ عـمـارـةـ وـبـهـ

(١) انظر المؤتلف والمختلف ٢٥٧.

(٢) انظر نهاية الأرب للقلقشند ١٨١، رقم الترجمة (٦٤٠) بنو ثعلبة.

(٣) انظر المؤتلف والمختلف ٢٥٧، ومعجم الشعراء ٢٣٧ وما بعدها.

(٤) انظر الأغاني لأبي الفرج ١٧/٣٣.

(٥) المصدر السابق ٤٣/١٧ وله بنت اسمها ريا ذكرها أبو الفرج ٤٢/١٧.

كتاه^(١). وكان له جدتان أدركتا الجاهلية، وخلال الفرزدق كما يقول: المرزباني^(٢). وكان له مولى اسمه «صاعد»^(٣). وكان راويته محمد بن سهل^(٤).

وترك مؤرخو الآداب أو صافوا لمظهر الكميٰت وشخصيٰته ونفسيهٰ ويمكن أن نلخصها هنا كما وردت في الأغانى: «كان الكميٰت بن زيد طويلاً أصم ولم يكن حسن الصوت ولا جيد الإنشاد فكان إذا استند أمر ابنه المستهل فأنشد وكان فصيحاً حسن الإنشاد»^(٥).

وكان للكميٰت في عينيه عمش كما يظهر من كتاب زيد بن علي إليه «أخرج معنا يا أغبيش» ألسٰت القائل:
ما أبالي إذا حفظت أبا الفتا
سم فيكم ملامة اللؤام^(٦)

وأكيد صمه ابن فارس في مقاييس اللغة. قال:
«الأصلخ: الاسم - كان الكميٰت أصم أصلخ»^(٧). وذكره العالبي في الصم كذلك^(٨) وذكر المرزباني أنه كان

(١) انظر رسائل الجاحظ ١٣٦/٢.

(٢) انظر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ٦٥.

(٣) انظر الأغاني ٣٩/١٧.

(٤) المصدر السابق ٤/١٧.

(٥) انظر المصدر السابق ٣٨/١٧.

(٦) المصدر السابق ٣٦/١٧.

(٧) انظر مقاييس اللغة ٣٠٣/٣ «صلخ».

(٨) انظر لطائف المعارف ١٠٦.

أحمر^(١). ويبدو أنه استخرج من وصفه بأنه أحمر وبأنه أعمش أن شعره كان أبيض كلون شعور الذين يكونون ببعض البشرة عمش العيون. ولم يترك المؤرخون وصفاً لشعره لأنه لم يكن ليبدو من تحت عمامته أو لباس الرأس الذي كان يلبسه.

حياته ونشأته:

ولد الكمييت بالكوفة سنة ٦٠ هـ وكانت الكوفة عاصمة العراق، في السنة التي مات فيها معاوية، وقد ذكر أبو الفرج في السنة التي قتل فيها الحسين بن علي بن أبي طالب^(٢)، والمعروف أن الحسين بن علي قتل في سنة (٦١ هـ) أي بعد ولادة الكمييت بسنة واحدة^(٣)، وكان عمر الكمييت ستة وعشرين سنة حين مات عبد الملك، واستخلفه الوليد عام (٨٦ هـ) وكان عمره ستة وأربعين سنة حين استخلف هشام عام (١٠٥ هـ).

والجدير بالذكر أن الكوفة في تلك الحقبة كانت مركز إقامة حكام العراق وكانت تسامي دمشق عاصمة الدولة في العظمة والاتساع، وتسمو عليها، من الناحية العلمية والأدبية، حتى ملوكبني مروان يرجعون إلى علماء العراق فيما يشكل عليهم من مسائل العلم والأدب. وكانت الكوفة مهدًا للتشيع، كما كانت دمشق مهدًا للتشيع

(١) انظر معجم شعرا الشيعة . ٢٧٨.

(٢) انظر الأغاني . ٤٢/١٧.

(٣) انظر المتنظم ٥/٣٣٥، وشذرات الذهب ١/٦٦، والكامن في التاريخ . ٤٢٨/٣

الأموي، فلما قام معاوية بالشام ينawiء علي بن أبي طالب، انضم أهل العراق إلى علي فيما قام بينهما من حروب واستمروا على تشيعهم بعدما صار الحكم إلى الأمويين.

وهنا يقول الاستاذ عبد المتعال الصعدي: «وإني أرى أن هذا الخلاف السياسي بين العراق والشام ليس إلا أثراً لما كان بينهما من الخلاف في الجاهلية، إذ كان يقوم بالعراق دولة المناذرة، ويقوم بالشام دولة الغسانيين، وكان بينهما من الخلاف السياسي ما هو معلوم، ولعل علياً لم يترك المدينة إلى الكوفة إلا ليضم بذلك أهل العراق إليه، لما يعود عليهم من المصلحة بانتقال العاصمة الإسلامية إلى الكوفة، وقد كان في العراق من الرجال والخصب ما يضاهي الشام، فأراد أن يستعين بذلك في حربه لمعاوية، ويستغل ذلك الخلاف القديم بين العراق والشام في تأييد خلافته، ولو أنه بقي في الحجاز لم يجد فيه من الحاقدين علىبني أمية ما وجده في العراق»^(١).

وقد نشأ الكميـت بالكوفة وهي في هذه الحالة التي صارت إليها في العلم والسياسة وكان قومـه بها من بـني أـسد، فأخذـ على عـلمـانـها عـلـومـ الـدـينـ وـالـأـدـبـ، وـكـانـتـ جـدـتـاهـ تـصـفـانـ لـهـ الـبـادـيـةـ وـأـمـورـهـ وـتـخـبـرـانـهـ بـأـخـبـارـ النـاسـ فـيـ الجـاهـلـيـةـ.

فإذا شـكـ فيـ شـعـرـ أوـ خـبـرـ عـرـضـهـ عـلـيـهـماـ فـتـخـبـرـانـهـ عـنـهـ، فـاجـتمـعـ لـهـ

(١) انظر كتاب الكميـت بن زـيدـ شـاعـرـ العـصـرـ الـمـروـانـيـ لـعبدـ المـتعـالـ الصـعـديـ ١٦ / وما بـعـدـهـ.

بذلك ثقافتاً الإسلام والجاهلية، وذوقاً أهل الحضر والبادية، وحصل من ذلك كله على علم غزير بلغات العرب وغريبيها، وأشعارها وأياتها ومفاخرها ومثالبها، وألم بعلوم الإسلام كالحديث وغيره^(١).

ولم يقتصر الكميٰت في ذلك على دراسة العلم والأدب، بل كان يأخذ نفسه بفرض الشعر، ويجلس إلى الشعراء يستمع إليهم، ولكن اشتغاله بالعلم والأدب في نشأته، كان أكثر من اشتغاله بفرض الشعر.

وما زال بنو أسد بالكميٰت حتى صرفوه إلى قرض الشعر، فتفرغ له حتى وصل فيه إلى درجة الإجادـة، وكان يتشيع لأهل البيت مثل أهل الكوفة، ولم يكن للشيعة يومذاك شاعر ينافع عنها ويؤيد دعوتها، وكان أكثر الشعراء يتلقون بني مروان طمعاً في صلاتهم وجوائزهم، فاختار الكميٰت لنفسه أن يكون شاعر شيعة بني هاشم، واحتسبهم بمدحه وحارب أعدائهم من بني مروان وهجاهم بشعره، وقام في ذلك بما لم يقم به غيره من كأن يتعصب للشيعة.

وقد اشتغل الكميٰت بالتعليم الذي كان يغلب على ميله، فكان يعلم الصبيان بمسجد الكوفة، ولكن قومه بالكوفة كانوا يعرفون أنه يقول الشعر وكانوا ي يريدون أن يكون لهم شاعر بالكوفة يدافع عنهم وينشر مفاخرهم. وأخذ بنو أسد يرغبون الكميٰت في قرض الشعر ويلحوون عليه في الانصراف إليه والتفرغ له.

ومما يروى في ذلك أن عمه وكان رئيس قومه أخذ الكميٰت

(١) انظر الأغاني ٣/١٧.

يوماً، فقال له يا كميٍّ، لم لا تقول الشِّعر؟ ثم أخذه فأدخله الماء،
وقال: لا أخرجك منه أو تقول الشِّعر. فمرت به قبرة فأنشد ممثلاً:

ياللَّكَ مَنْ قَبَرَةَ بِعَمَرٍ

خَلَالَكَ الْجَوْفِيُّ بِيَضْيِّ وَاصْفَارِيٍّ

وَنَقْرَيْ مَا شَفَتْ أَنْ تَنْقَرِيٌّ^(١)

فقال له عمه ورحمه: قد قلت شِعراً، فاخْرُج. فقال الكميٍّ لا
أخرج أو أقول لنفسي. فما رام حتى عمل قصيده المشهورة، وهي
أول شِعره، ثم غدا على عمه، فقال له: اجمع لي العشيرة لسمعوا،
فجمعهم له، فأنشد:

طَرَبَتْ وَمَا شَوَّقَ إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبٌ

وَلَا لَعْبَأُ مُنْسِيٌّ وَذُو الشَّوْقِ يَلْعَبُ

وقد ذهب الأستاذ زكي مبارك: «إلى أن هذه القصة غير
صحيحة، لأنَّه ليس بمعقول أن تكون هذه القصيدة أول شِعره، لما
فيها من القوة الدَّالة على أنها ليست بداية شعرية، وإنما هي صرخة
شاعر طال منه الصيال»^(٢).

وهنا يقول عبد المتعال الصعيدي: «ولا وجه عندي للطعن في
هذه القصة من هذه الناحية، لأنَّ هذه القصيدة وردت فيها من

(١) هذا من شعر طرفة بن العبد.

(٢) انظر الترجمة الفنية لزكي مبارك ١١٧/١.

هاشميات الكميٰت، وقد ثبت من غير طريق هذه القصة أن هاشمياته على العموم وهذه القصيدة على الخصوص كانت أول ما قاله من الشعر، [فقد شهد له الفرزدق أحسن شهادة في هاشمياته، واعترف بأنه سنّ بها سنة جديدة في الشعر وسلك مسلكاً جديداً لم يسلكه أحد من الشعراء، وذلك حينما قيل له: أحسن الكميٰت في مدائنه في تلك الهاشميٰات؟] فقال: وجد آجراً وجصاً فبني، وقال أبو الفرج الأصفهاني: أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال حدثنا الحسن بن عليل العترى، قال حدثني أحمد بن بكر، قال حدثني محمد بن أنس السلاٰمِي، قال حدثني محمد بن سهل راوية الكميٰت، قال: جاء الكميٰت إلى الفرزدق لما قدم الكوفة، فقال له: إبني قلت شيئاً فاسمعه مني يا أبي فراس قال: هاته. فأنشده قوله:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب
ولالعباً مني وذو الشوق يلعب
ولكن إلى أهل الفضائل والتقى
وخيبر بنى حواء والخبر يطلب

قال له: قد طربت إلى شيء ما طرب إليه أحد قبلك، فاما نحن بما نطرب ولا طرب من كان قبلنا إلا إلى ما تركت أنت الطرب إليه^(١).

وفي رواية أخرى لأبي الفرج عن محمد بن علي التوفلي، قال

(١) انظر الأغاني ٣٠ / ١٧.

سمعت أبي يقول: لما قال الكميت بن زيد الشعر، كان أول ما قاله
الهاشميات فسألاه، ثم أتى الفرزدق بن غالب فقال له: يا أبا فراس،
إنك شيخ مصر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأصي،
قال له: صدقت أنت ابن أخي فما حاجتك؟ قال: نفث على لسانني
فقلت شعراً، فأحببته أن أعرضه عليك، فإن كان حسناً أمرتني
بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره وكنت أولى من ستره عليّ.
فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإنني لأرجو أن يكون شعرك
على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت. فأنشده:

طرب وما شوقاً إلى البيض أطرب

قال فقال لي: فيم تطرب يا ابن أخي؟ فقال:
ولالعباً مني وذو الشوق يلعب

قال: بلّي يا ابن أخي، فاللاعب فإنك في أوان اللعب فقال:
ولسم يلهنـي ولا رسمـ منزـل
ولـمـ يتـطـيرـنـيـ بـنـانـ مـخـضـبـ

قال: ما يطربك يا ابن أخي؟ فقال:
ولا السانحـاتـ الـبارـحـاتـ عـشـبـةـ
أـمـرـ سـلـيمـ الـقـرـنـ أـمـ رـاعـضـبـ

قال: أجل لا تنطير، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والتقى
وخير بنى حواء والخير يطلب

قال: ومن هؤلاء ويحك؟ قال:
إلى النفر اليسى الذين بجههم
إلى الله فيما نابني اقرب

قال: أرحي ويحك! ومن هؤلاء؟ قال:
بني هاشم رهط النبي فلأنني
بهم ولهم أرضي مراراً وأغضب
خففت لهم مني جناحي مودة
إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء
مجنة أعلى أنسي أذم وأقصب^(١)
وأزمى وأرمى بالعداوة أهلها
ولأنسي لأوذى فيه م وأذى بـ

قال له الفرزدق: يا ابن أخي، أذع، ثم أذع: فانت والله أشعر
من مرضي وأشعر من بقفي^(٢).

فهذه شهادة الفرزدق لتلك الهاشميات التي قالها الكميتو الحق

(١) قصبه: عابه وشتمه.

(٢) انظر الأغاني ٣١/١٧.

أنها من أعظم الدرر اللوامع في الشعر العربي، وأن شعر الكمبـت يسمـو بها على شـعر غيره من شـعراـء عـصرهـ، وقد أـجاد فيها مدح بنـي هـاشـم وأـحسن فـيهـا الدـعاـية لـهمـ وصـور حـكمـ بـنـي مـروـانـ أـشـعـ تصـوـيرـ، فـالـلـهـبـ بـهـاـ النـفـوسـ إـلـهـابـاـ، وـأـيـقـظـهـاـ مـنـ غـفـلـتـهـاـ إـيقـاظـاـ، حتـىـ هـبـتـ للـثـورـةـ عـلـيـهـ، وـأـنـتـهـيـ بـهـاـ الـأـمـرـ إـلـىـ تـقـويـضـ ذـلـكـ الـحـكـمـ، وـإـقـامـةـ الـدـولـةـ العـبـاسـيـةـ مـنـ بـنـيـ هـاشـمـ. فـكـانـ شـعـرـ الكـمبـتـ هوـ الطـلـيـعـةـ لـتـلـكـ الثـورـةـ، وـهـوـ الـذـيـ هـيـاـ النـفـوسـ لـهـاـ، وـجـعـلـهـاـ تـسـهـيـنـ بـالـمـوـتـ فـيـهـاـ.

ولا شكـ أنـ الشـعـرـ الـذـيـ يـصـلـ تـأـيـرـهـ إـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ ويـسـطـعـ بـهـ صـاحـبـهـ أـنـ يـقـعـدـ دـولـةـ وـيـقـيمـ دـولـةـ، لـهـوـ الشـعـرـ الـذـيـ يـسـتـحـقـ صـاحـبـهـ الـزـعـامـةـ بـهـ عـلـىـ شـعـراـءـ عـصـرـهـ، لاـ ذـلـكـ الشـعـرـ الـذـيـ لـاـ يـعـدـوـ أـمـرـهـ أـنـ يـكـونـ أـلـفـاظـاـ جـوـفـاءـ لـاـ طـائـلـ تـحـتـهـاـ، وـلـاـ ثـمـرـةـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاـةـ لـهـاـ، وـلـاـ تـهـزـ المـمـالـكـ كـمـاـ هـزـهـاـ شـعـرـ الكـمبـتـ].

ولا شكـ أنهـ لـاـ يـرـادـ مـنـ هـذـاـ إـلـاـ أـنـ الـهـاشـمـيـاتـ كـانـتـ أـولـ مـاـ قـالـهـ مـنـ الشـعـرـ الـجـيدـ، وـهـذـاـ لـاـ يـمـنـعـ أـنـ يـكـونـ لـهـ شـعـرـ قـبـلـهـاـ وـأـنـ مـاـ زـالـ يـجـيدـ فـيـهـ مـنـ نـفـسـهـ أـوـ بـتـأـيـرـ قـومـهـ حتـىـ وـصـلـ إـلـىـ درـجـةـ هـذـاـ الشـعـرـ الـجـيدـ، وـلـلـفـلـعـ عـمـهـ مـعـهـ كـانـ لـحـمـلـهـ عـلـىـ تـوجـيهـ شـعـرـهـ إـلـىـ تـأـيـدـ دـعـوـةـ بـنـيـ هـاشـمـ، ثـمـ حـرـفـ ذـلـكـ التـحـرـيفـ.

وـمـاـ يـؤـكـدـ هـذـاـ مـاـ ذـكـرـهـ السـيـوطـيـ فـيـ شـرـحـ شـواـهدـ الـمـغـنـيـ، فـقدـ ذـكـرـ: أـنـ الـكـمبـتـ كـانـ يـفـدـ عـلـىـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ، وـهـوـ لـمـ يـقـلـ الـهـاشـمـيـاتـ إـلـاـ فـيـ عـهـدـ أـخـيـهـ هـشـامـ. وـكـذـلـكـ مـاـ ذـكـرـهـ الشـريـشـيـ فـيـ شـرـحـ مـقـامـاتـ الـحـرـيرـيـ فـقـدـ ذـكـرـ أـنـ الـكـمبـتـ قـدـ قـدـمـ الـمـدـيـنـةـ عـلـىـ

عبد الله بن الحسين^(١)، فأنشده هاشمياته، وكان هذا بعد أن أذن له الفرزدق في إذاعتها، فعرض عليه عبد الله ضيعة له، فقال له الكميـت: «بأبي أنت وأمي، كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال، ولا والله ما قلت فيكم شيئاً إلا لله، وما كنت لآخذ في شيء جعلته الله ثمناً»^(٢).

وقد أراد أصحاب الثراء من بني هاشم أن يثبوه على ما يقوم به من انشاء تلك القصائد الطوال في مدحهم والإشادة بذكرهم والدفاع عنهم وتأييد دعوتهم، فكان يعتذر إليهم عن قبول ما يعرضونه عليه، ويدرك لهم أنه يريد من ذلك وجه الله تعالى.

حدّث صاعد مولى الكميـت قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي، فأنشده الكميـت قصيـدته التي أولها:
من لقلب متيم مستهـام...

فأمر له بمال وثياب، فقال الكميـت: والله ما أحبتكم للدنيـا، ولو أردتـ الـدنيـا لـأـتـيـتـ منـ هيـ فيـ يـديـ، ولـكـنـيـ أـحـبـتـكـمـ لـلـآـخـرـةـ، فـأـمـاـ الشـيـابـ التـيـ أـصـابـتـ أـجـسـامـكـمـ فـأـنـاـ أـقـبـلـهـاـ لـبـرـكـاتـهـاـ، وـأـمـاـ الـمـالـ فـلـاـ أـتـبـهـ فـرـدـهـ وـقـبـلـ الشـيـابـ فـقـالـ: اللـهـمـ اـغـفـرـ لـلـكـمـيـتـ، اللـهـمـ اـغـفـرـ لـلـكـمـيـتـ^(٣). وـحدـثـ أـيـضـاـ فـقـالـ: دـخـلـنـاـ عـلـىـ فـاطـمـةـ بـنـتـ الـحـسـينـ، فـقـالـتـ: هـذـاـ شـاعـرـنـاـ أـهـلـ الـبـيـتـ، وـجـاءـتـ بـقـدـحـ فـيـ

(١) هـكـذاـ وـرـدـ فـيـ شـرـحـ المـقـامـاتـ لـلـشـريـشيـ وـالـصـوـابـ الـحـسـنـ.

(٢) انـظـرـ شـرـحـ مـقـامـاتـ الـحـرـيرـيـ لـلـشـريـشيـ.

وـانـظـرـ أـيـضـاـ الـكـمـيـتـ بـنـ زـيـدـ لـعـبـدـ الـمـتـعـالـ الصـعـيـديـ ١٩ـ /ـ وـمـاـ بـعـدـهـ.

(٣) انـظـرـ الأـعـانـيـ ٢٧ـ /ـ ١٧ـ.

سويف^(١) فحركته بيدها وسقت الكميّت فشربه. ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها، إني لم أحجم للدنيا^(٢).

وحدث محمد بن سهل صاحب الكمي، قال: دخلت مع
الكمي على أبي عبد الله جعفر بن محمد في أيام التشريق، فقال له:
جعلت فداك ألا أنشدك؟ فقال: إنها أيام عظام. قال: إنها فيكم.
قال: هات. وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب، فأنسده، فكثر
البكاء، حتى أتي على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن فوس غيرهم
فيما آخراً أسلدى له الفقيء أول

خصائصه النفسية:

وأما عن خصائصه النفسية فينقل الزجاجي: «أنه كان في الكميّت

(١) السوق: ما يتخذ من الحنطة والشعير. ويقال: السوق المقل حتى والسوق البق الفتي والسوق الخمر، وسوق الكرم الخمر انظر اللسان مادة سوق . ١٧٠/٢٠

^(٢) انظر الأغاني، ١٧/٢٧ وما بعدها.

(٣) راجم كتاب الأغانى / ١٧ / ٢٣.

حسداً^(١). وكان الكميـت كثـير الاعـتزـاز بـنـفـسـه وـيـنـسـبـه وـكـانـ يـرىـ نـفـسـهـ لاـ يـقـلـ فـضـلاـ عـنـ قـرـيشـ. «خـطـبـ رـجـلـ إـلـىـ الـكـمـيـتـ، فـظـلـ يـفـتـخرـ عـلـيـهـ، وـيـذـكـرـ فـضـلـ قـرـيشـ وـأـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ. فـقـالـ لـهـ الـكـمـيـتـ: يـاـ هـذـاـ إـنـ أـنـكـحـنـاكـ لـمـ تـبـلـغـ السـمـاءـ وـإـنـ رـدـدـنـاكـ لـمـ تـبـلـغـ المـاءـ وـقـدـ رـدـدـنـاكـ»^(٢).

وـكـانـ الـكـمـيـتـ ذـكـيـاـ وـقـدـ أـظـهـرـ قـابـلـيـتـهـ عـلـىـ الرـدـودـ الـمـسـكـتـةـ فـيـ سـنـ مـبـكـرـةـ فـقـدـ وـرـدـ عـنـ الـفـرـزـدقـ مـاـ يـلـيـ:

«إـنـيـ كـنـتـ أـنـشـدـ بـجـامـعـ الـبـصـرـةـ وـفـيـ حـلـقـتـيـ الـكـمـيـتـ بـنـ زـيدـ وـهـوـ صـبـيـ فـأـعـجـبـنـيـ حـسـنـ اـسـتـمـاعـهـ، فـقـلـتـ لـهـ كـيـفـ سـمـعـتـ يـاـ بـنـيـ؟

قـالـ: حـسـنـ.

قـلـتـ: فـيـسـرـكـ اـنـيـ أـبـوـكـ؟

قـالـ: أـمـاـ أـبـيـ فـلـاـ أـرـيدـ بـهـ بـدـيـلـاـ وـلـكـنـيـ وـدـدـتـ أـنـ تـكـونـ أـمـيـ!

قـلـتـ: اـسـتـرـهـاـ عـلـيـهـ يـاـ اـبـنـ أـخـيـ»^(٣).

وـذـكـرـ عـنـهـ مـثـلـ هـذـاـ النـشـاطـ الـذـهـنـيـ فـيـ رـجـولـتـهـ. قـالـ الزـجاجـيـ:

«شـهـدـ الـكـمـيـتـ الـجـمـعـةـ بـمـسـجـدـ الـجـامـعـ فـأـحـاطـ بـهـ عـلـمـاءـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ فـيـهـمـ حـمـادـ وـالـطـرـمـاحـ فـجـعـلـوـاـ يـسـأـلـوـنـ فـكـانـ لـاـ يـسـأـلـ عـنـ حـرـفـ إـلـاـ كـانـ كـانـهـ مـمـثـلـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ فـقـالـ: أـلـاـ أـلـقـيـ عـلـيـكـمـ بـيـتـاـ. فـقـلـنـاـ: اـفـعـلـ يـاـ أـبـاـ الـمـسـتـهـلـ...»^(٤).

(١) انظر كتاب أمالي الزجاجي ٣٧.

(٢) انظر كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان الترجيدي [قسم] / (١٨٥).

(٣) انظر العقد الفريد ٤/٥٢، والأغاني ٢٦/١٧.

(٤) انظر كتاب مجالس العلماء ٢١٦.

ويبدو أنه كان يروي لعدد كبير من الشعراء القدامى والمحديثين
وكان يروي لمعاصريه فقد جاء في أمالى البزبدي:
«اجتمع الكميٰت والنصيب في حمام فقال الكميٰت للنصيب
أشدنى قصيتك»:
بزینب الممّٰ قبل أن يرحل الركب
وقل إن تملينا فما ملوك القلب

قال: والله ما أحفظها.

قال الكميٰت: ولكنني أحفظها فأناشدك إياها؟

قال: نعم فابتداً الكميٰت ينشد و هو يبكي^(١).

ومما يدل على حياته الاجتماعية والاقتصادية المتواضعة تعليمه
الصبيان في مسجد الكوفة^(٢). وعن خلف: انه رأى الكميٰت يعلم
الصبيان في مسجد الكوفة^(٣). وذكره التوحيدى كأحد المعلمين الذين
اشتهروا في العصر الأموي مثل الضحاك بن مزاحم وعطاء بن أبي
رباح وعبد الحميد بن يحيى والحجاج بن يوسف وغيرهم^(٤).

وذكره الجاحظ في الخطباء الشعراء. وقال عنه في مكان آخر:
«قال الكميٰت - وكان خطيباً - أن للخطبة صفاء وهي على ذي

(١) انظر كتاب أمالى للبيزبدي ٨٠ وفي أمالى القالى قال جرير: وددت أنى
سبقت ابن السوداء يعني نصيباً إلى هذه الآيات. ١٩٦/٢.

(٢) انظر كتاب فحولة الشعراء ٤٩.

(٣) انظر الأغاني ١٧/٢٤ وما بعدها.

(٤) انظر المصادر والذخائر ١/٤٤. ٢/٤٤.

اللب أرمن»^(١).

علاقة الكمييت بالدولة الأموية:

كان الكمييت حين ولّي عبد الملك طفلاً عمره خمس سنوات فراهنق وشبّ في خلافته وكان عمره ستّاً وعشرين سنة عند موته فهو دون شك قد قال الشعر في خلافته وقد مدحه ومدح عدداً من ولاة بني أمية وخلفائهم الذين تلوا عبد الملك، إلا أننا لا نجد له شيئاً في الوليد بن عبد الملك ولا في العجاج بن يوسف (توفي ٩٥ هـ) ويبدو أنه لم يدخل بعد غمار الأحداث ولم يحن الدور الذي مثله على مسرح المجتمع الكوفي في خلافة هشام وفي ولاية خالد بن عبد الله القسري^(٢) إلا أن من بين الذين مدحهم من يحتمل أنه ظهر قبل خالد القسري على المسرح السياسي. فقد مدح:

زياد بن مغفل الأسيدي والحكم بن الصلت الثقفي وقبيبة بن مسلم الباهلي ومخلد بن يزيد بن المهلب وأبيان بن عبد الله البجلي. ويزيد بن المهلب. وعبد الرحمن بن عنبرة بن سعيد بن العاص بن أمية وسلامة بن عبد الملك.

(١) انظر البيان والتبيين ١٣٤/١.

(٢) هو خالد بن عبد الله القسري: (توفي سنة ١٢٦ هـ) وهو من بعجيّة أبو الهيثم: أمير العراقيين وأحد خطباء العرب وأجوادهم يعاني الأصل ولّي مكة للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام العراقي فاقام بالكوفة. عزله هشام سنة (١٢٠ هـ) ووُلِي مكانه يوسف بن عمر الثقفي الذي سجنه وعذبه ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد. الأعلام ٢٩٧/٢.

ومدح من خلفاء بنى أمية:

عبد الملك بن مروان، وهاشم بن عبد الملك ويزيد بن عبد الملك ورثى معاوية بن هشام بن عبد الملك، ومدح أيضاً بوسف بن عمر بعد أن قتل زيداً ومدح خالد بن عبدالله القسري. وهجا عبد الله البجلي والعريان بن الهيثم - وكان على شرط الحجاج - فما هي الدوافع التي دفعت بالكميت إلى خوض غمار السياسة؟ وما دفعه لنظم الهاشميات وتعرضه لذلك السجن والشريد والمعذاب؟

يبدو أن الكمييت قد أظهر في مدائنه وأهاجيه التي سبقت فترة نظم الهاشميات ميلاً إلى العصبية القبلية واستعداداً لهذا النوع من الهجاء، ونجد في شعره نصوصاً كثيرة مليئة باللهم والتشريب لقبائل رأت أن تتحول بنسبيها عن المضريبة إلى اليمانية لأسباب تعتمد على المصلحة والمنفعة البحتة.

وكان هذا النشاط الفني في هذا الاتجاه قد سلط الأضواء عليه وساعد على الاستفادة من مقدرته في هذا الباب وكان الوضع السياسي في أواسط وأواخر العصر الأموي كما يلي:

١ - الكتلة الأموية: وبيدها مقاليد الأمور وأزمة المال وهي تقضى بيد من حديد على مصالح المسلمين.

٢ - الكتلة العلوية: وقد غيرت موقفها من الخلافة تغييراً جذرياً بعد معركة كربلاء.

٣ - الكتلة العباسية: وهي التي ابتدأت عام (١١١ هـ) تعمل بشكل سري للحصول على السلطة.

٤ - الكتلة اليمانية: وقد بدأ بعض أبنائها ينبعون ووصلوا إلى مستوى القيادة.

في ظل هذه الأجواء فقد شاع أمر الهاشميات التي قالها الكمبت في مدح آل البيت، والطعن في ملك بنى مروان، وتأليب الناس عليهم، ولهج بها العامة والخاصة، حتى صاروا يعدون حفظها وإنجادها [قربة وطاعة إلى الله تعالى]. وتناقلوا في ذلك أحاديث وروى عن النبي ﷺ، فارتقت بذلك منزلة الكمبت، وصار قومه بنو أسد يعدونه من مفاخرهم. ويقولون: «فينا فضيلة ليست في العالم - ليس منزل منا إلا وفيه بركة وراثة الكمبت - لأنه رأى النبي ﷺ فقال له أنشدني:

طربت وما شوفاً إلى البيض أطرب

فأنشده، فقال له: بوركت وبورك قومك...!!
ويروى أيضاً من طريق آخر أن الكميٰت رأى النبي ﷺ في نومه
وهو [على زعمه] مختلفٌ من بنى مروان فقال له النبي: مم خوفك؟
فقال: يا رسول الله من بنى أمية، وأنشده:
الْمَ تَرْنِي مِنْ حَبَّ الْمُحَمَّدِ
أَرْوَحُ وَأَغْدُو خَانَفَاً أَنْرَقَبِ

قال له النبي ﷺ: «اظهر فإن الله قد أمنك في الدنيا والآخرة!!».

وحدث إبراهيم بن سعد الأستي، قال: سمعت أبي يقول: رأيت

رسول الله في النوم، فقال: من أي الناس أنت؟ قلت من بنى أسد. قال: من أسد بن خزيمة؟ قلت: نعم. قال: أهلاً لي أنت؟ قلت: نعم. قال: أتعرف الكميـت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله عمي ومن قبيلتي. قال: أتحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم. قال أنشدـني: طربـت وما شوقـاً إلى البيض أطربـ.

قال: فأـنشـدـته حتى وصلـتـ إلى قوله:
فـالـأـلـيـ إـلـاـ أـحـمـدـ شـيـعـةـ
وـالـأـلـيـ إـلـاـ مـشـعـبـ الـحـقـ مـشـعـبـ

قال لي: إذا أصبحـتـ فـاقـرـأـ عـلـيـ السـلـامـ. وـقـلـ لـهـ: قـدـ غـفـرـ اللـهـ لـكـ بـهـنـهـ القـصـيـدةـ!!

وـحدـثـ نـصـرـ بـنـ مـزـاحـمـ الـمـنـقـرـيـ أـنـ رـأـيـ النـبـيـ ﷺـ فـيـ النـوـمـ
وـرـجـلـ بـيـنـ يـدـيهـ يـشـدـهـ:

مـنـ لـقـبـ مـتـيـمـ مـسـتـهـامـ

قال: فـسـأـلـتـ عـنـهـ، فـقـيلـ لـيـ: هـذـاـ الـكـمـيـتـ بـنـ زـيدـ الـأـسـدـيـ.

قال: فـجـعـلـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ يـقـولـ: جـزاـكـ اللـهـ خـيـراـ، وـأـثـنـ عـلـيـهـ.

وـسـتـجـدـ عـزـيـزـيـ الـقـارـيـ أـنـ هـذـهـ مـاـ هـيـ إـلـاـ خـرـافـاتـ أـشـاعـهاـ
الـحـزـبـ السـرـيـ الـعـبـاسـيـ لـلـتـرـوـيجـ لـلـثـورـةـ كـمـاـ سـيـأـتـيـ بـيـانـ هـذـهـ الفـتـرـةـ بـعـدـ
هـذـاـ الفـصـلـ، عـلـىـ أـنـ الـكـمـيـتـ كـانـ يـكـتـفـيـ بـهـذـاـ الـبـلـاءـ الـحـسـنـ فـيـ نـصـرـ
آلـ الـبـيـتـ بـشـعـرهـ وـلـمـ يـكـنـ يـتـجـاـوزـ تـأـيـدـهـ بـالـلـسـانـ، إـلـىـ تـأـيـدـهـ
بـالـسـنـانـ، وـكـانـ شـانـهـ فـيـ هـذـاـ شـانـ الـقـعـدـةـ مـنـ الـخـواـرـجـ، مـثـلـ عـمـرـانـ بـنـ

حطان الشاعر الخارجي. ولا غرابة في أن يكون للشيعة قعدة أيضاً، لأن مذهب الشيعة يقبل القعود أكثر مما يقبله مذهب الخوارج، لأن الخوارج كانوا يتشددون في مذهبهم غاية التشدد، أما الشيعة فكانوا يقبلون التقبية في التشيع، والتقبية أدنى مرتبة من القعود، لذلك روى أبو الفرج الأصفهاني أنه لما خرج زيد بن علي بن الحسين علىبني مروان، كتب إلى الكمي: أخرج معنا يا أعيثم، ألسن القائل:

ما أبالي إذا حفظت أبا القاء
سم فيكم ملامة اللؤام

فكتب إليه الكمي:

تجود لكم نفسى بما دون وثبة
تظل لها الغربان حولى تحجل

ولم يكن قعود الكمي عن القتال مع آل البيت عند خروجهم علىبني مروان مما يغضبهم، لأنهم كانوا يكتفون منه بتلك الدعاية الشعرية العظيمة، ويأذنون له في التخلف عنهم، ليستمر في تلك الدعاية التي كانت تعمل ما لا تعمله السيوف في هدمبني مروان.

الكمي وخالد بن عبد الله:

قد ظهر الكمي بتلك الدعايات وعلى العراق خالد بن عبد الله القسري، وعلى عرشبني مروان هشام بن عبد الملك، وكان لا بد أن يصل الخبر عن تلك القصائد المسماة «الهاشميات» وهنا تضطرب الروايات في منافرته لخالد بعدها، في كيفية وصولها إليهما.

و سنذكر الآن هذه الروايات المضطربة، ثم نأخذ بعد هذا في الترجيح
بينها ونقدّها.

الرواية الأولى: قال أبو الفرج: كان خالد بن عبد الله القسري
فيما حذّنني به عيسى بن الحسين الوراق، قال أخبرنا أحمد بن
الحارث الفزاري، عن ابن الأعرابي. وذكره محمد بن أنس السلّامي،
عن المستهل بن الكميٍّ وذكره ابن كنافة عن جماعة من بني أسد،
أن الكميٍّ أنشد قصيدة التي يهجو فيها اليمن، وهي:
ألا حيئتْ عنَا بِإِمَادِينَا

فأحفظته عليه، فروى جارية حسناء قصائده الهاشمية، وأعدّها
ليهدّيها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميٍّ وهجائه بني أمية،
 وأنفذ إلىه قصيّدته التي يقول فيها:
**فِي أَرْبَابِ هَلْ إِلَّا بَكَ النَّصْرُ يُرْتَجِى
وَيَارِبِ هَلْ إِلَّا عَلَيْكَ الْمَعْسُولُ**

وهي قصيدة طويلة يرثي فيها زيد بن عليٍّ وابنه الحسين بن
زيد^(١) ويمدح بني هاشم.

فلما قرأها هشام أكبّرها واستنكرها وكتب إلى خالد يقسم عليه
أن يقطع لسان الكميٍّ ويدله، فلم يشعر الكميٍّ إلا والخيل محدقة
بداره فأخذ وحبس في المحبس، وكان أبان بن الوليد عاملاً على

(١) الصواب يحيى بن زيد، ولم نجد في هذه القصيدة ولا غيرها ذكرًا لهما.

واسط، وكان الكميٰ صديقه، فبعث إليه بغلام على بغل، وقال له:
أنت حر إن لحقته والبغل لك، وكتب إليه:

قد بلغني ما صرٰت إليه، وهو القتل إلا أن يدفع الله عزّ وجلّ،
وأرى لك أن تبعث إلى حبي - يعني زوجة الكميٰ - وهي بنت
نكيف بن عبد الواحد، وهي من يتُشيع أيضاً - فإذا دخلت إليك
تنقبت نقابها، ولبسـت ثيابها، وخرجـت، فإنـي أرجـو ألا يؤـبه لكـ.

فارسلـ الكميٰ إلى أبي وضـاح حبيبـ بن بـديلـ، وإلى فـتيـانـ منـ
بنيـ عـمهـ منـ مـالـكـ بنـ سـعـيدـ، فـدخلـ عـلـيـهـ حـبيبـ فـأخـبرـهـ الـخـبرـ،
وـشاـورـهـ فـيهـ، فـسـدـ رـأـيهـ، ثـمـ بـعـثـ إـلـىـ حـبـيـ اـمـرـاتـهـ، فـقـصـ عـلـيـهـاـ
الـقـصـةـ، وـقـالـ لـهـ: أـيـ اـبـنـةـ عـمـ إـنـ الـوـالـيـ لاـ يـقـدـمـ عـلـيـكـ، وـلـاـ يـسـلـمـكـ
قـوـمـكـ، وـلـوـ خـفـتـهـ عـلـيـكـ لـمـ عـرـضـتـكـ لـهـ، فـأـلـبـسـتـهـ ثـيـابـهاـ إـلـازـارـهاـ
وـخـمـرـتـهـ، وـقـالـ لـهـ: أـقـبـلـ وـأـدـبـرـ، فـفـعـلـ فـقـالـتـ: مـاـ أـنـكـ مـنـكـ شـيـئـاـ إـلـاـ
يـسـأـ فـيـ كـتـفـكـ فـأـخـرـجـ عـلـىـ اـسـمـ اللهـ، وـأـخـرـجـتـ مـعـهـ جـارـيـةـ لـهـ،
فـخـرـجـ، وـعـلـىـ بـابـ الـمـحـبـسـ أـبـوـ وـضـاحـ وـمـعـهـ فـتـيـانـ مـنـ أـسـدـ فـلـمـ يـؤـبـهـ
لـهـ وـمـشـيـانـ فـتـيـانـ بـيـنـ يـدـيـهـ إـلـىـ سـكـةـ شـيـبـ بـنـاحـيـةـ الـكـنـاسـ، فـمـرـ
بـمـجـلـسـ مـنـ مـجـالـسـ بـنـيـ نـعـيمـ، فـقـالـ بـعـضـهـمـ: رـجـلـ وـرـبـ الـكـعـبـةـ،
فـأـمـرـ غـلامـهـ فـاتـبعـهـ، فـصـاحـ بـهـ أـبـوـ وـضـاحـ: يـاـ كـذـاـ وـكـذـاـ، لـاـ أـرـاكـ تـبـعـ
هـذـهـ الـمـرـأـةـ مـنـدـ الـيـوـمـ. وـأـوـمـاـ إـلـيـهـ بـنـعـلـهـ، فـوـلـىـ الـعـبدـ مـدـبـرـاـ، وـأـدـخـلـهـ
أـبـوـ وـضـاحـ مـنـزـلـهـ.

ولـمـ طـالـ عـلـىـ السـجـانـ الـأـمـ، نـادـيـ الـكمـيـ فـلـمـ يـجـهـ، فـدـخـلـ
لـيـعـرـفـ خـبـرـهـ، فـصـاحـتـ بـهـ الـمـرـأـةـ وـرـاءـكـ لـاـمـ لـكـ، فـشـقـ ثـوـبـهـ وـمضـىـ
صـارـخـاـ إـلـىـ بـابـ خـالـدـ، فـأـخـبـرـهـ الـخـبـرـ، فـأـحـضـرـ حـبـيـ، فـقـالـ لـهـ: يـاـ
عـدـوـ اللهـ اـحـتـلـتـ عـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ، وـأـخـرـجـ عـدـوـهـ، لـأـمـثـلـنـ بـكـ،

ولأصنعن ولأفعلن. فاجتمعن بنو أسد إليه، وقالوا: ما سبilk على امرأة منا خدعت؟ فخافهم فخلى سبيلها.

قال: وسقط غراب على العانط فنعب. فقال الكميـت لأبي وضاح: إني لما حـوذ وإن حائـتك لـساقـط. فقال له: سبحان الله؟ هذا ما لا يكون إن شاء الله، فقال له: لا بد أن تحولـني. فخرج به إلى بـني عـلـقـمة، وـكـانـوا يـشـيـعـون فأقامـفـيـهـمـ، وـلـمـ يـصـبـحـ حتـىـ سـقطـ العـانـطـ الذي سـقطـ عـلـيـهـ الغـرابـ.

هرـبـهـ إـلـىـ الشـامـ:

قال ابن الأعرابـيـ، قال المستـهـلـ: وأقامـكـميـتـ مـدـةـ متـوارـيـاـ، حتـىـ إذاـ أـيـقـنـ أنـ الـطـلـبـ قدـ خـفـ عنـهـ، خـرـجـ لـيـلـاـ فيـ جـمـاعـةـ منـ بـنـيـ أـسـدـ، عـلـىـ خـوـفـ وـوـجـلـ، وـفـيـمـنـ مـعـهـ صـاعـدـ غـلامـهـ، فـأـخـذـ الطـرـيقـ عـلـىـ القـطـقـطـانـةـ، وـكـانـ عـالـمـاـ بـالـنـجـومـ مـهـتـدـيـاـ بـهـاـ، فـلـمـ صـارـ سـحـيرـاـ صـاحـ بـنـاـ: هـوـمـواـ يـاـ فـيـانـ. فـهـوـمـناـ، وـقـامـ يـصـليـ، قال المستـهـلـ: فـرـأـيـتـ شـخـصـاـ فـتـضـعـضـعـتـ لـهـ، فقالـ: مـاـ لـكـ؟ قـلـتـ: أـرـىـ شـيـئـاـ مـقـبـلاـ. فـنـظـرـ إـلـىـهـ، قـالـ: هـذـاـ ذـئـبـ، قـدـ جـاءـ يـسـتعـفـفـكـمـ. فـجـاءـ الذـئـبـ فـرـيـضـ نـاحـيـةـ، فـأـطـعـمـنـاهـ يـدـ جـزـورـ، فـتـعـرـقـهـاـ، ثـمـ أـهـوـيـنـاـ بـإـنـاءـ فـيـهـ مـاءـ فـشـرـبـ مـنـهـ، وـارـتـحلـنـاـ، فـجـعـلـ الذـئـبـ يـعـوـيـ فـقـالـ الكـميـتـ: مـاـ لـهـ وـيـلـهـ؟ أـلـمـ نـطـعـمـهـ وـنـسـقـهـ، وـمـاـ أـعـرـفـنـيـ بـمـاـ يـرـيدـ؟ـ هوـ يـعـلـمـنـاـ أـنـاـ لـسـنـاـ عـلـىـ الطـرـيقـ تـيـامـنـاـ يـاـ فـيـانـ. فـتـيـامـنـاـ، فـسـكـنـ عـوـاـهـ فـلـمـ نـزـلـ نـسـيرـ حتـىـ جـنـنـاـ الشـامـ، فـتـوارـيـ فـيـ بـنـيـ أـسـدـ وـبـنـيـ تمـيمـ وـأـرـسـلـ إـلـىـ أـشـرـافـ قـريـشـ، وـكـانـ سـيـدـهـمـ يـوـمـذـ عـنـبـةـ بـنـ سـعـيدـ بـنـ العاصـ. فـعـشـتـ رـجـالـاتـ قـريـشـ بـعـضـهـاـ إـلـىـ بـعـضـ، وـأـتـواـ عـنـبـةـ فـقـالـواـ: يـاـ أـبـاـ خـالـدـ، هـذـهـ مـكـرـمـةـ قـدـ

أناك الله بها. هذا الكميٰت بن زيد لسان مصر. وكان أمير المؤمنين كتب في قتله، فنجا حتى تخلص إليك وإلينا. قال: فمروه أن يعود بقبر معاوية بن هشام بدبر حنيناء، فمضى الكميٰت فضرب فساططه عند قبره، ومضى عنبرة فأتى مسلمة بن هشام، فقال له: يا أبا شاكر، مكرمة أنتك، بها تبلغ الشريا إن اعتدتها، فإن علمت أنك تفي بها، وإنما كتمتها. قال: وما هي؟ فأخبره الخبر، وقال: إنه قد مددحكم عامة، وإنماك خاصة، بما لم يسمع بمثله، فقال عليٰ خلاصه. فدخل على أبيه هشام، وهو عند أمه، في غير وقت دخول، فقال له هشام: أجيئت لحاجة؟ قال: نعم. قال: هي قضية إلا أن يكون الكميٰت. فقال: ما أحب أن تستشي عليٰ في حاجتي، وما أنا والكميٰت؟ فقالت أمه: والله لتفضين حاجته كائنة ما كانت. قال: قد قضيتها، ولو أحاطت بما بين قطريها. قال: هي الكميٰت يا أمير المؤمنين. وهو آمن بأمان الله عز وجل، وأماني وهو شاعر مصر، وقد قال فيما قوله لم يقل. قال: قد أمنته، وأجزت أمانك له، فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فيما. فقعد له، وعنده الأبرش الكلبي، فتكلم بخطبة ارتجلها، ما سمع بمثلها قط، ومدحه بقصيدته الرائية، ويقال إنه ارتجلها ارتجالاً وهي قوله:

ف بالديار وقوف زائر

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

ما إذا عليك من الوقو

ف بهـا وـاـنـكـ غـيـرـ صـاغـرـ

درجات علمك الفيزياء

الرائعات من الأعاصير

وفيها يقول:
فَالآن صَرَرتُ إِلَى أُمِّي
وَالْأَمْوَارِ إِلَى الْمُصَايِرِ

وَجَعَلَ هَشَامَ يَغْمِزُ مُسْلِمَةً بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ، فَيَقُولُ: اسْمُعْ،
اسْمُعْ. ثُمَّ اسْتَأْذِنُهُ فِي مَرْثِيَّةِ ابْنِ مَعَاوِيَةَ، فَأَذْنَنَ لَهُ، فَأَنْشَدَهُ:
سَابِكِكَ لِلْدِينِ وَاللَّهِيَا
رَأَيْتَ يَدَ الْمَعْرُوفِ بَعْدَكَ شُلُّتَ
أَدَمَتَ عَلَيْكَ بِالسَّلَامِ تَحِيَّةَ
مَلَائِكَةَ اللهِ الْكَرَامِ وَصَلَّتَ

فَبَكَى هَشَامٌ بِكَاءً شَدِيداً، فَوَثَبَ الْحَاجِبُ فَسَكَنَهُ، ثُمَّ جَاءَ
الْكَمِيتُ إِلَى مَنْزِلِهِ آمِنًا، فَحَسْنَتْ لَهُ الْمَضْرِبَةُ بِالْهَدَىِيَا، وَأَمَرَ لَهُ
مُسْلِمَةً بِعَشْرِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ، وَأَمَرَ لَهُ هَشَامَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ.
وَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ بِأَمَانَهُ، وَأَمَانَ أَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَنَّهُ لَا سُلْطَانٌ لَهُ عَلَيْهِمْ،
وَجَمِعَتْ لَهُ بَنْوَةُ أُمِّيَّةٍ فِيمَا بَيْنَهَا مَالًّا كَثِيرًا ثُمَّ وَدَعَ هَشَاماً، وَأَنْشَدَهُ
قَوْلَهُ فِيهِ:

ذَكْرُ الْقَلْبِ إِلَفَهُ الْمَذْكُورَا
وَتَلَافِي مِنَ الشَّبَابِ أَخْبَرَا

وَهَذِهِ أُولَى الرَّوَايَاتِ فِيمَا كَانَ مِنَ الْمَنَافِرَةِ بَيْنَ الْكَمِيتِ وَخَالِدِ بْنِ

عبد الله القسري وفيما انتهى إليه أمره مع بنى مروان بسبب قصائد
الهاشيميات.

الرواية الثانية: وأما في هذه الرواية فإن سبب المناقضة بين الكميٰت وخالد، فقد نقلها أبو الفرج من كتاب محمد بن يحيى الخراز، قال حدثني أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَاسِبَ قال حدثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أمية البلخي، قال: كان حكيم بن عياش الأعور الكلبي ولعاً بهجاء مصر، فكانت شعراء مصر تجibهه ويتجيبهم، وكان الكميٰت يقول: هو والله أشعر منكم. قالوا: فأجب الرجل، قال: إن خالداً بن عبد الله محسن إلي، فلا أقدر أن أرد عليه. قالوا: فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء. فأشدوه ذلك ف humiliَ الكميٰت لعشيرته فقال المذهبة:

الأخيَّت عُثَمَانُ مَدِينَا

فاحسن فيها، وبلغ خالدًا خبرها، فقال: لا أبالى ما لم يجر لعشيرتي ذكر. فأنشدوه قوله:

وَمِنْ عَجَبِ عَلَيَّ لِعْمَرُ أَمْ
غَدَّتِكَ وَغَيْرَهَا يَمِنْسَا
تَجَاهَزَتِ الْمِيَاهُ بِلَا دَلِيلَ
وَلَا عَلَمَ تَعْسِفَ مَخْطَبِنَا
فَإِنَّكَ وَالْتَّحَوْلَ مِنْ مَعْذَلَةٍ
كَهْلَةٌ فَانْسَا وَالْحَالَيْنَا

تخطت خير هم حلبأونشأ
 إلى المولى المقادير هارينسا^(١)
 كعنز السوء تنطح عالفيها
 وترميها عاصي الذاهينا

بلغ ذلك خالداً، فقال: فعلها! والله لأقتلنـهـ. ثم اشتري ثلاثةـ جاريةـ بأعلى ثمنـ، وتخبرهنـ نهايةـ فيـ الحسنـ والكمـالـ والأدبـ فـرواهـنـ الـهاـشمـياتـ، وـدـسـهـنـ إـلـىـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ فـاشـتـراـهـنـ جـمـيـعـاـ، فـلـمـ أـنـسـ بـهـنـ اـسـتـنـطـقـهـنـ، فـرـأـيـ فـصـاحـةـ وـأـدـبـ فـاسـتـقـرـهـنـ الـقـرـآنـ، وـاسـتـشـدـهـنـ الشـعـرـ فـأـشـدـهـنـ قـصـائـدـ الـكـمـيـتـ الـهاـشمـياتـ، فـقـالـ: وـيـلـكـنـ، مـنـ قـاتـلـ هـذـاـ الشـعـرـ؟ فـقـلـ: الـكـمـيـتـ بـنـ زـيدـ الـأـسـدـيـ. فـقـالـ: وـفـيـ أـيـ بـلـدـ هـوـ؟ فـقـلـ: فـيـ الـعـرـاقـ، ثـمـ بـالـكـوـفـةـ.

فـكـتـبـ إـلـىـ خـالـدـ: اـبـعـثـ إـلـىـ بـرـأـسـ الـكـمـيـتـ بـنـ زـيدـ. فـبـعـثـ خـالـدـ إـلـىـ الـكـمـيـتـ فـيـ الـلـلـيـلـ. فـأـخـذـهـ وـأـوـدـعـهـ السـجـنـ. وـلـمـ كـانـ مـنـ الـغـدـ أـفـرـأـ مـنـ حـضـرـهـ مـنـ مـضـرـ كـتـابـ هـشـامـ، وـاعـتـذـرـ إـلـيـهـمـ مـنـ قـتـلـهـ، وـأـذـنـهـمـ فـيـ إـنـفـاذـ الـأـمـرـ فـيـ الـغـدـ. ثـمـ قـالـ لـأـبـانـ بـنـ الـوـلـيدـ الـبـجـليـ، وـكـانـ صـدـيقـاـ لـلـكـمـيـتـ: اـنـظـرـ مـاـ وـرـدـ فـيـ صـدـيقـكـ. فـقـالـ: عـزـ عـلـيـ وـالـلـهـ مـاـ بـهـ. ثـمـ قـامـ أـبـانـ فـبـعـثـ إـلـىـ الـكـمـيـتـ فـأـنـذـرـهـ فـتـوـجـهـ إـلـىـ اـمـرـأـهـ. ثـمـ ذـكـرـ الـخـبـرـ فـيـ خـرـوجـهـ وـمـقـامـهـ مـكـانـهـ وـهـرـبـهـ إـلـىـ الشـامـ كـمـاـ فـيـ الـرـوـاـيـةـ الـأـوـلـىـ، إـلـىـ أـنـ قـالـ: فـأـتـىـ مـسـلـمـةـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ فـاـسـتـجـارـ بـهـ. فـقـالـ: إـنـيـ أـخـشـ أـلـاـ يـنـفـعـكـ جـوـارـيـ عـنـدـهـ، وـلـكـنـ اـسـتـجـرـ بـاـبـهـ مـسـلـمـةـ بـنـ

(١) النـسـيـ وـالـنـسـيـ: الـلـبـنـ الرـقـيقـ الـكـثـيرـ الـعـاءـ. وـفـيـ التـهـذـيبـ: الـمـعـذـوقـ بـالـعـاءـ. وـنـسـانـهـ نـاـ وـنـسـانـهـ إـيـاهـ: خـلـطـهـ لـهـ بـعـاءـ (الـلـسـانـ مـادـةـ نـاـ ١٦٩ـ).

هشام. فقال: كن أنت السفير بيني وبينه في ذلك. ففعل مسلمة. وقال لابن أخيه: قد أتيتك بشرف الدهر، واعتقاد الصنيعة في مصر، وأخبره الخبر. فأجاره مسلمة بن هشام، وبلغ ذلك هشاماً فدعا به. ثم قال: أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره؟ فقال: كلا ولكنني انتظرت سكون غضبه. قال: أحضرنيه الساعة، فإنه لا جوار لك. فقال مسلمة للكمي: إن أمير المؤمنين أمرني بإحضارك. قال: أسلمني يا أبي شاكر؟ قال: كلا، ولكنني احتال لك. ثم قال له: إن معاوية بن هشام مات قريباً، وقد جزع عليه جزاً شديداً، فإذا كان من الليل فاضرب روافك على قبره، وأنا أبعث إليك بيته يكونون معك في الرواق. فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بشيالك، ويقولوا: هذا استجار بقبر أبينا، ونحن أحق من أجراه.

فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر. فقال: من هذا؟ فقالوا: لعله مستجير بالقبر. فقال: يجاري من كان إلا الكمي. فإنه لا جوار له. فقيل: فإنه الكمي. قال: يحضر أعنف إحضار. فلما دعي به ربط الصبيان ثيابهم بشياكه، فلما نظر هشام إليهم أغرورقت عيناه واستعبر، وهو يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات، ومات حظه من الدنيا، فاجعله هبة له ولنا، ولا تفضحنا فيمن استجار به. فبكى هشام حتى انتصب، ثم أقبل على الكمي وقال له: يا كمي أنت القائل:

وَإِنْ لَا تَقُولُوا وَغَيْرَهَا تَعْرِفُوا
نَوَاصِيهَا تَرْدِي بِنَا وَهِيَ شُرَبٌ

قال: لا والله، ولا أ titan من أ titan الحجاز وحشية. فحمد الله

وأنتى عليه وصلى على نبئه. ثم قال:

أما بعد: فإنني كنت أتدهدى في غمرة، وأعموم في بحر غواية.
أخرى على خطلها، واستفزني وهلها؛ فتحيرت في الضلالة،
وتسكتت في الجهالة مهرعاً عن الحق، جائراً عن القصد، أقول
الباطل ضلالاً، وأفوه بالبهتان وبالألا، وهذا مقام العائد، مبصر
الهوى، ورافض العمایة، فاغسل عنك يا أمير المؤمنين الحوية
بالنوبة، واصفح عن الزلة، واعف عن الجرمـة ثم قال:

كم قال قسائلكم لعـا
لك عند عشرته لمائـر
وغرـتـم لـذـيـالـذـنـو
بـمـنـاـكـابـرـوـأـمـاـغـرـ
أـبـنـيـأـمـيـإـنـكـمـ
أـهـلـالـوسـائـلـوـأـوـامـرـ
ثـقـيـلـكـلـمـلـمـةـ
وـعـشـرـتـيـدـونـالـعـشـائـرـ
أـنـمـعـادـنـلـلـخـلاـ
فـةـكـابـرـأـمـنـبـعـدـكـابـرـ
بـالـتـسـعـةـالـمـتـسـابـعـ
ـنـخـلـانـفـأـوـبـخـرـعـاشـرـ⁽¹⁾
ـوـإـلـىـالـقـيـامـةـلـاتـزـاـ
ـلـلـشـافـعـيـمـنـكـمـوـاتـرـ

(1) وهنا قصد الكميـت هـشـامـبـنـعـدـالـمـلـكـ.

ثم قطع الإنشاراد، وعاد إلى خطبه، فقال: إغصاء أمير المؤمنين وسماحته وصباخته. مناط المجتمعين بحبله، من لا تحل حبوته لاساءة المذنبين فضلاً عن استشاطه غضبه بجهل الجاهلين.

- فقال له: ويلك يا كميت. من زين لك الغرابة؟ ودلالة في العمارة؟

- قال: الذي أخرج أبانا من الجنة، وأنساه العهد فلم يجد له عزما.

- فقال: إيه! أنت القائل:

ياموفدانالغیرك ضوءها
وياحتاطبأ في غير جبلك تحطّب

- فقال: بل أنا القائل:

إلى آل بيت أبي مالك
مناخ همو الأرحب الأسهول
نمث بأرحامنا الذاخلا
ت من حيث لا ينكر المدخل
يبرأة والنضر والمالكي
ن رهط هم الأنبل الأنبل
وابني خزيمة بدر السما
ء والشمس مفتاح مانامل
وحنى فريشاً فريش البطا
ح على مابنى الأول الأول

بِئْم صَلَحَ النَّاسُ بَعْدَ الْفَسَادِ
وَجِئْنَاهُ مِنَ الْفَتْقِ مَا رَعَبْلَوْا^(١)

- قال له: أنت القائل:

لَا كَبَدَ الْمَلِكُ أَوْ كَوَلَيدَ
أَوْ سَلِيمَانَ بَعْدَ أَوْ كَهْشَامَ
مَنْ يَمْتَ لَا يَمْتَ فَقِيرًا وَمَنْ يَحْ
بِي فَلَا ذُو إِلَّا وَلَا ذُو ذَمَامَ^(٢)

وَيْلُكَ يَا كَمِيتَ جَعَلْتَنَا مَنْ لَا يَرْقُبُ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذَمَةً.

- فقال، بل أنا القائل يا أمير المؤمنين:
فَالآن صَرَرتُ إِلَى أُمَّةٍ
أَمْمَةٍ وَالْأَمْمَوْرُ إِلَى الْمُصَاهِيرَ
وَالآن صَرَرتُ بِهِ الْمُصَبَّ
بِكَمْهَنْدِ بِالْأَمْسِ حَائِرَ
يَا بَنَ الْعَقَائِيلَ لِلْعَقَائِيلَ
نَلَ وَالْجُمَاجِحَةُ الْأَخَاهِيرَ^(٣)
مَنْ عَبَدَ شَمَسَ وَالْأَكَا
بَرْ مَنْ أَمَّةٌ فَالْأَكَابِرَ

(١) حِيسْ: أَصْلَحَ . وَرَعَبَ الْثَّوْبَ: مَزْفَقَهُ .

(٢) إِلَّا: الْمَهْدَ . وَذَمَامَ: الْحَقُّ وَالْحَرَمَةَ .

(٣) الْجُمَاجِحَةُ: جَمْعُ جَمَاجَحٍ، وَهُوَ السَّيْدُ الْمُظَيْمِ .

إِنَّ الْخَلْقَ لِفَرَسَةٍ وَالا
 فَبِرَغَمِ ذِي حَسَدٍ وَاغْرِ
 دِلْفَامِنِ الشَّرْفِ التَّبَدُّدِ
 إِلَيْكَ بِالرَّفِيدِ الْمَوَافِرِ
 فَحَلَّتْ مَعْتَلَجَ الْبَطْرَا
 حَوْحَلَ غَيْرُكَ بِالظَّوَاهِرِ

- قال له: فأنت القائل:

فَقُلْ لِبْنَيْ أَمِيرَةٍ جَسَّ حَلَّوا
 وَإِنْ خَفَّتْ الْمَهْنَدِ وَالقطَّيعَ^(١)
 أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعَتْمَوْهُ
 وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَورَكَمْ أَجِيمَ
 بِمَرْضِيِّ السِّيَاسَةِ هَاشِمِيَّةِ
 يَكِنْ وَنَحِيَّ أَلَامِتَهِ رِيعَ

- فقال: لا تثريب يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تمحو عني
 قولى الكاذب.
 - قال: بماذا؟

(١) القطيع: السوط يقطع من جلد سير ويعمل منه. وقال الأزهري: سمي السوط قطيعا لأنهم يأخذون القذ المحرم فيقطيعونه أربعة سبور. ثم يفتلونه ويلوونه ويتركونه حتى يبس فيقوم قياما كأنه عصا. وسي قطيعا لأنه يقطع أربع طاقات ثم يلوى (اللسان مادة قطع) (٨/٢٨٢).

- قال: بقولي الصادق:

أوريثـهـ الحصـانـ أـمـ هـشـامـ
حـبـاـشـاقـبـاـ وـجـهـاـ نـضـيرـاـ
وـنـعـاطـىـ بـهـ اـبـنـ عـائـشـةـ الـبـدـ
رـفـأـمـسـىـ لـهـ رـقـيـاـ نـظـيرـاـ
وـكـاهـ أـبـوـ الـخـلـاثـفـ مـرـواـ
نـسـنـيـ المـكـارـمـ المـأـثـورـاـ
لـمـ تـجـهـمـ لـهـ الـبـطـاحـ وـلـكـنـ
وـجـدـتـهـ الـالـلـهـ مـفـارـاـ وـدـورـاـ

وكان هشام متكتناً فاستوى جالساً، وقال: هكذا فليكن الشعر -
يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر، وكان إلى جانبه - ثم قال: رضيت
عنك يا كحيت فقبل يده، وقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تزيد
في تشريفي، ولا تجعل لخالد عليّ إمارة. قال: قد فعلت. وكتب له
بذلك، وأمر له بأربعين ألف درهم، وثلاثين ثوباً هشامية، وكتب إلى
خالد أن يخلني سبيل امرأته ويعطيها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً ففعل
ذلك.

الرواية الثالثة: وأما الرواية الثالثة فروها أبو الفرج أيضاً، قال: أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار، قال حدثنا التوفلي علي بن محمد بن سليمان أبو الحسن، قال حدثني أبي. قال: كان هشام بن عبد الملك قد اتهم خالد بن عبد الله، وكان يقال له إنه يريد خلعك، فوجد بياب هشام يوماً رقعة فيها شعر، فدخل بها على هشام فقرئت عليه وهي:

تألق برق عندينا وتقابليت
 أثاف لقدر الحرب أخشي اقتباليها^(١)
 فدونك قدر الحرب وهي مقرة
 لكفيك واجعل دون قدر جمالها^(٢)
 ولكن تنتهي أو يبلغ الأمر حداً
 فنلهم برسيل قبل ألا تنالها^(٣)
 فتجشم منها ما جثمت من التي
 بسورة هرأت نحو حالك حالها^(٤)
 تلاف أمور الناس قبل تفاقم
 بعقدة حزم لا تخاف انحلالها
 فما أبْرَم الأقوام يوماً لحيلة
 من الأمر إلا قلدوك احتيالها
 وقد تخبر الحرب العوان بسرها
 - وإن لم تبح - من لا يريد سؤالها^(٥)

(١) الأنافي: الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها واحدتها أنفية. (ألف ٢/٩ اللسان).

(٢) الجعالة: خرقة تنزل بها القدر.

(٣) الرسل والرسلة: الرفق والتزدة.

(٤) سوراء: موضع يقال هو إلى جنب بغداد. وقبل هو بغداد نفسها. وقال الأديبي سوراء موضع بالجزيرة. معجم البلدان الحموي ٣/٢٧٨. هرأت: صوتت.

(٥) العرب العوان: هي الحرب التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى كأنهم جعلوا الأولى بكرًا. وحرب عوان: كان قبلها حرب. اللسان مادة عون ١٣/٢٩٩.

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الروا، فجمعوا، فأمر بالآيات فقرئت عليهم. فقال: شعر من تشبه هذه الآيات؟ فاجمعوا جميعاً من ساعتهم أنه كلام الكميٰت بن زيد الأسدي، فقال هشام: نعم هذا الكميٰت ينذرني بخالد بن عبد الله. ثم كتب إلى خالد بخبره. وكتب إليه بالآيات، وخالد يومئذ بواسط، فكتب خالد إلى واليه بالكوفة، يأمره بأخذ الكميٰت وحبسه، وقال لاصحابه: إنه بلغني أن هذا يمدحبني هاشم، ويهجوبني أمية، فأنوني من شعره هذا بشيء فأنوه بقصيده اللامية التي أولها:

الأهل عَمِّ فِي رَأْيِهِ مُتَأْمِلٌ
وَهَلْ مَدْبُرٌ بَعْدَ الْإِسَاءَةِ مُقْبَلٌ

فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام يقول فيه: هذا شعر الكميٰت فإن كان قد صدق في هذا، فقد صدق في ذاك.

فلما قرئت على هشام اغتناظ، فلما قال:

فِي اسْاسَةِ هَا تَوَالَّنَا مِنْ جَوَابِكَمْ
فَبِكَمْ لِعْمَرِي ذُو أَفَانِينَ مِقْرَوْلَ

اشتد غيظه. فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميٰت ورجليه، ويضرب عنقه، ويهدم داره، ويصلبه على ترابها، فلما قرأ خالد الكتاب، كره أن يستفسد عشيرته، وأعلن الأمر رجاءً أن يتخلص الكميٰت. فقال: لقد كتب إليّ أمير المؤمنين، وإنني لأكره أن استفسد عشيرته، وستاه،

عرف عبد الرحمن بن عنبة بن سعيد ما أراد، فأخرج غلاماً له مولداً
ظريفاً، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة^(١) من بغال الخليفة، وقال: إن أنت
وردت الكوفة فأنذرتك الكميّت لعله أن يتخلص من الحبس، فأنت حر
لوجه الله، والبغلة لك. ولك علىي بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك.
فركب البغلة، وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة، فصيّبها
فدخل الحبس متّكراً، فخبر الكميّت بالقصة. فأرسل إلى امرأته وهي ابنة
عمه، يأمرها أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفاف، ففعلت فقال:
البيضي لبس النساء. ففعلت فخرج فمر بالسجان فظن أنه المرأة، فلم
يعرض له، فنجا، وأنثاً يقول:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل
على الرغم من تلك النوابع والمثلثي
عليّ ثياب الفاننيات وتحتها
عزيمة أمر أشيبت سلة النصل

وورد كتاب خالد على والي الكوفة، يأمره فيه بما كتب به إليه هشام فأرسل إلى الكميٰت ليؤتى به من العبس، فينفذ فيه أمر خالد، فدنا من باب البيت^(٢)، فكلمتهن المرأة وخبرتهم أنها في البيت، وأن الكميٰت قد خرج، فكتب بذلك إلى خالد، فأجابه: حرفة كريمة، آست ابن عمها بنفسها، وأمر بتحليتها. فبلغ الخبر الأعور الكلبي

(١) بغلة فارهة: أي نشطة ولا يقال للفرس فاره إنما يقال في البغل والحمار والكلب. وأما الفرس فيقال له جواد رائم.

(٢) **البيت: هنا حجرة السجن.**

بالشام فقال قصيده التي يرمي فيها امرأة الكميت بأهل الجبس،
ويقول:

فما واجهت بنات بنى نزار
حلانل أسودين واحمررين^(١)

فهاج الكميت ذلك حتى قال:
* ألا حُيت عنا يا مدینا*

وهي ثلاثة بيت لم يترك حيًّا من أحياء اليمن إلا هجاهم
وتوارى وطلب، فمضى إلى الشام. فقال شعره الذي يقول فيه:
* قف بالديار وقف زائر*

ويقول:
يامسلم بن أبي الوليد
دلَمِيت إن شئت ناشر
اليوم صارت إلى أمَّة
لة والأمور إلى المصاير

فأذن له ليلاً فسأله أن يجراه على هشام، فقال: إني إن أجرت
على أمير المؤمنين فأخفر جواري، ولكنني أذلك، فاستاجر بمسلمة بن
هشام، وبأمه أم الحكم بنت يحيى بن الحكم، فإن أمير المؤمنين قد

(١) انظر خزانة الأدب للبغدادي ٨٦/١

رشحه لولاية العهد. فقال الكميـت: بـشـن الرأـي، أـضـيـع دـمـي بـيـن صـبـيـو وـامـرـأـة! فـهـل غـير هـذـا؟ قـالـ: نـعـمـ، مـاتـ مـعاـوـيـة اـبـنـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ، وـكـانـ يـحـبـهـ، وـقـد جـعـلـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـى نـفـسـهـ أـنـ يـزـورـ قـبـرـهـ فـي كـلـ أـسـبـعـ يـوـمـاـ. وـسـئـلـ يـوـمـاـ بـعـيـنـهـ. وـهـوـ يـزـورـهـ فـي ذـلـكـ الـيـوـمـ فـامـضـ فـاضـرـبـ بـنـاءـكـ عـنـدـ قـبـرـهـ، وـاسـتـجـرـ بـهـ، فـإـلـيـ سـاحـضـرـ مـعـهـ، وـأـكـلمـهـ بـأـكـثـرـ مـنـ الـجـوـارـ.

فـفـعـلـ ذـلـكـ الـكـمـيـتـ فـيـ الـيـوـمـ الذـيـ يـاتـيـهـ فـيـ أـبـوهـ، فـجـاهـ هـشـامـ وـمـعـهـ مـسـلـمـةـ فـنـظـرـ إـلـىـ الـبـنـاءـ، فـقـالـ لـبعـضـ أـعـوـانـهـ: انـظـرـ مـاـ هـذـاـ؟ فـرـجـعـ فـقـالـ: الـكـمـيـتـ بـنـ زـيدـ، مـسـتـجـرـ بـقـبـرـ مـعاـوـيـةـ اـبـنـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ. فـأـمـرـ بـقـتـلـهـ، فـكـلـمـهـ مـسـلـمـةـ، وـقـالـ: يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ، إـنـ إـخـفـارـ الـأـمـوـاتـ عـارـ عـلـىـ الـأـحـيـاءـ، فـلـمـ يـزـلـ يـعـظـمـ عـلـيـهـ الـأـمـرـ حـتـىـ أـجـارـهـ.

وجوه اضطراب الروايات:

وـهـذـهـ الـرـوـاـيـاتـ الـثـلـاثـ الـتـيـ روـاـهـاـ أـبـوـ الفـرجـ فـيـ سـبـبـ الـمـنـافـرـةـ بـيـنـ الـكـمـيـتـ وـخـالـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ، وـهـيـ رـوـاـيـاتـ مـضـطـرـبـةـ وـمـتـعـارـضـةـ فـيـ أـمـرـ كـثـيرـةـ. وـكـانـ عـلـىـ أـبـيـ الفـرجـ أـنـ يـبـيـنـ لـنـاـ مـاـ هـوـ الـرـاجـعـ فـيـ ذـلـكـ التـعـارـضـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـكـنـ يـعـنـىـ فـيـ الـأـكـثـرـ بـنـقـدـ رـوـاـيـاتـهـ، إـنـمـاـ كـانـ يـهـمـهـ الـجـمـعـ وـالـتـفـصـيلـ أـكـثـرـ مـنـ النـقـدـ.

فـمـنـ ذـلـكـ الـاضـطـرـابـ أـنـ الـرـوـاـيـةـ الـأـولـىـ تـصـرـحـ بـسـبـبـ الـمـنـافـرـةـ بـيـنـهـماـ فـصـيـدـةـ الـكـمـيـتـ فـيـ هـجـاءـ الـيـمـنـ: *

* أـلـاـ حـيـتـ عـنـاـ يـاـ مـدـيـنـا~

وقد صرحت بذلك الرواية الثانية أيضاً على خلاف قليل بينهما، أما الرواية الثالثة فتصرّح بأن سبب المنافرة بينهما شعر الكميت في تحريض هشام على خالد، لا قصيده في هجاء اليمن، لأنها وردت في هذه الرواية متأخرة عن سجن الكميت، وقد قالها الكميت في هذه الرواية ردأ على الأعور الكلبي في قصيده التي يرمي فيها أمرأته بأهل الحبس.

- ومن ذلك الاضطراب أن الرواية الأولى تصرّح بأن خالداً روى الهاشميات جارية واحدة، وأن الرواية الثانية بأنه رواها ثلاثة جاريات.

- ومن ذلك الاضطراب أن الرواية الأولى تصرّح بأن أبان بن الوليد البجلي عامل واسط هو الذي سعى في تهريب الكميت من السجن، أما الرواية الثالثة فتصرّح بأن الذي سعى في ذلك هو عبد الرحمن بن عنبرة بن سعيد.

- ومن ذلك الاضطراب أن الرواية الأولى ظاهرة في أن خالداً كان بالكوفة حينما أمر بسجن الكميت، أما الرواية الثالثة فصريحة في أن خالداً كان بواسط حينما أمر بذلك، وأن أمره به كان إلى واليه بالكوفة.

وأوجه الاضطراب كثيرة اقتصرنا على هذا القدر البسيط ومن شاء فليراجع كتاب «الكميت بن زيد» لعبد المتعال الصعيدي. فلا شك أنك عزيزي القاريء واجد ما تصبو إليه.

موته ووصيته:

مات الكميت في سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن

محمد^(١)، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وستمائة.

وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمي خاصة عنه: حدثت المستهل بن الكلبي أنه قال: حضرت أبي عند الموت وهو موجود بنفسه، ثم أفاق ففتح عينيه، ثم قال: - اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد - ثلاثة. ثم قال لي: يا بني وددت أنني لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت:

مَعَ الْعَضْرَوْطِ وَالْعَسْفَاءِ الْقَوَا

بِرَادُعْهُنَّ غَيْرَ مَحْصُنِينَ^(٢)

فعممتهن قذفاً بالفجور، والله ما خرجت بليل قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك. ثم قال: يا بني إنه بلغني في الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها، فيتحولون إلى قبور غير قبورهم، فلا تدفي في الظهر، ولكن

(١) هو مروان بن محمد بن الحكم أبو عبد الملك، ويعرف بالجمدي وبالحمار، آخر ملوك بني أمية في الشام. ولد بالجزيرة وأبوه متولها. ولاه هشام بن عبد الملك على أذربیجان وأرمينية والجزيرة (سنة ١١٤ هـ). استولى على عرش بني مروان (١٢٧ هـ) وفي أيامه قويت الدعوة العباسية. (توفي سنة ١٣٢ هـ)، الأعلام ٢٠٨/٧.

(٢) العضروط: الخادم على طعام بطنه. والعسيف: الأجير. والبرادع والبراذع: واحدة برذعة وبرذعة: كساء يلقى على ظهر الدابة.

إذا مت فامضي بي إلى موضع يقال له مكران^(١) ، فادفني فيه.
لُدْنَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ فِيهِ، وَهِيَ مَقْبَرَةُ بَنِي
أَسْدٍ إِلَى السَّاعَةِ. قَالَ الْمُسْتَهْلِ: وَمَاتَ أَبِي فِي خَلَافَةِ مُرْوَانَ بْنَ
مُحَمَّدٍ فِي سَنَةِ سِتِّ وَعَشْرِينَ وَمَا تِنَّهُ.

(١) مكران: موضع في بلاد العرب. قال الشاعر:
كان راعينا يحدو بناء حمراً
يُنَبِّئُ الأبارق من مكران فاللوب
فإن تقرئي بهما عيناً وتختفي
فينما وتنتظري كرتني وتقريري

انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٥ / ١٨٠.

الفصل الرابع

أغراضه الشعرية:

لقد امتدح شعر الكميٰ لفوائده العلمية والتاريخية واللغوية والفوائد والنواذر، وهي هم أهل المعاجم واللغة والنسب وال نحو.
وقال ابن عبدة النسّاب:

«ما عرف النسّاب أنساب العرب على حقيقة حتى قال الكميٰ
النزاريات فأظهر علمًا كثيراً ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحداً
أعلم منه بالعرب وأيامها»^(١).

وقال السكوني: «جمعت شعره فكان عوني على التصنيف لأيام
العرب» ويقول أبو عكرمة الضبي: «لولا شعر الكميٰ لم يكن للغة

(١) انظر كتاب معجم الأدباء ٨/٣ طبعة دار المأمون د. ت.

ترجمان، ولا للبيان لسان^(١). واعتبر أبي عبيدة الكمبت مفخرة بني أسد يكفيهم به فخراً. وكانوا يفخرون به كافتخار الأسم بعظامها وقوادها وأبطالها.

ويمكّنا بعد هذه النبذة أن نستعرض شعره والأغراض التي عالجها. ومن السهولة على أي قارئ أن يدرك أن المدح، والرثاء، والهجاء، هي من بين الأغراض التي طرقها الشاعر وقال القدامى فيها رأيهم، ويمكن الافتراض أن أكثر هذه الأغراض هو شعر المدح، ويليه الرثاء، فالهجاء. أما في هذه الدراسة نريد أن نبحث في غير هذه الأغراض ونبحث فيما أهمله القدامى من أغراض شعر الكمبت الأخرى؛ لأنها في الواقع هي سبب من الأسباب الرئيسة التي فرضت شخصية الشاعر على الأدباء ومؤرخي الأدب.

١ - الوصف:

لعل شعر الوصف من أجمل أشعار الكمبت وأكثرها دقة وعنفاً وتأثيراً في النفس، وهو قد وفق مع الحيوان واصفاً له، ومحللاً لدوافعه الغريزية أكثر مما وفق على تحليل نفسية أي خليفة أو أمير أو آية شخصية إنسانية، فهو قد استجاب للطبيعة أكثر من استجابته للحياة المدنية، ووصف الحيوان أكثر مما وصف من أخلاق الناس، ومن حوله، فحبه للحيوان جعل ملاحظته دقيقة، ووصفه للحيوان يجعل الاستجابة لهذا الشعر أكثر عمقاً، من استجابته لشعر المدح الرسمي ولما فيه من مواقف التفاق والتکلف والصنعة. وهو قد

(١) انظر كتاب شرح شواهد المغني للسيوطى .٣٧

وصف الحيوان من ناحيتين:

الأولى: وصف نفسه ورفعه إلى مستوى العبرة والتأمل في حياته وظروفه، على أن ما فيها ما يماثل حياة وظروف الإنسان. ويمكن استنباط الشاهد والمثل منها. ولعل هذا هو أجود أشعار الوصف للطبيعة عنده.

الثانية: الوصف الخارجي للحيوان أو بيته وهيته، والغريب أن شعر الوصف للحيوان في شعر الكميٰت أبين وأوضح من وصفه للنبات. والتعليل لذلك أنه عاش أكثر حياته في بيئة صحراوية أو شبه صحراوية يفتقد فيها الشجر والنبات ولا يفتقد فيها الحيوان. وبذلك يكون قد صدر صدوراً طبيعياً بدون تكلف أو تعلم، واستجابة للبيئة التي يحياها دون أن يعتمد ابتكار تجارب خاصة أو يمتهن إحساسه.

وهو في وصفه للحيوان قد كان ينفذ إلى أعمق مشاعره الغريزية، وتمكن من استحداث العطف والشفقة لأشد هذه الحيوانات ضراوة في حالات ضعفها.

فهو يصف هنا ذيأً لقيه في سفره في الصحراء وكان الذئب كبير السن ضعيفاً:

لقينا بهما ثلباً ضريراً كأنه
إلى كل من لاقى في الناس مذنب
مضيعاً إذا أثرى كسويناً إذا عدا
 ساعته ما يستفيد ويكتب

تصور، يشكوا مابه من خصائص
وكاد من الإفصاح بالشكوى يعرب

فهو قد صور هذا الحيوان في حالي قوته وضعفه وصور سلوكه
في هاتين الحالتين خير تصوير.

ويصوّر في النص التالي شعور البدوي في الصحراء إزاء كل ذي
حياة أيام المجاعة وال الحاجة الداعية لحفظ الروح إزاء الطبيعة القاسية،
ونكاثف الإنسان والحيوان في سبيل البقاء:

بنائية المناهل ذات غول
لسرحان الفلاة بهما ضيّب
يراني في الطعام له صديقاً
وشادنة العساiber رعيّب
إذا شتكي إلسي رأيت حقاً
لمحروميّن شفهم السفّوب

وهو كثيراً ما يستخدم هذه الصور النفسية لحيوان البيئة
الصحراوية على سبيل تشبيه الصورة، أو التشبيه المركب الذي يسميه
الأوروبيون بالتشبيه الهويروليسي^(١).

فهو يقارن بين وضع قضاعة وهي تتغنى من نسها القديم وتحول

إلى نسبها الجديد، ويشبهها بفخر النعام يكون ضعيفاً حين يتفلق عنه
قيض البيضة.

وسرعان ما يقوى وتترك أقدامه التي بدأت تشتد وتقوى أنفها
على الرمل كأنه الودع. وهنا يبدأ يعادي أبويه اللذين عاركا في سبيله
الذئاب وكل مفترس في الصحراء ثم يفارقهما. وهذه هي سنة الحياة:
أولى وأولى لـ حسنى وسيئة

تبالى الهبق والمكلوء ذي الزغرب
لما تفلق عنه قبضن بيضته
آواه في ضبن مضبوء به نصب
وان تعرض محتس الذئاب لـ
أوفى بأولئك ذي الزيونة الحرب
حتى إذا علّم التدرج واتخذت
رجلاه كاللودع آثاراً على الكثب
وخلاله ضد من قد كان يكلؤه
بالأمس إن الهوى داع إلى الشجب
وألى مباعدة منه ومزريته
من غير مزري به والجبن ذو سبب

وهو في تسجيل أطياع الحيوان ونفسيته كأنه صور عن قرب
وملاحظة دقيقة لأطياعها وبيتها وظروفها، فهو يصور اللوعة والهم
والألم في رعاية الظبية لولدها الضعيف. تخرج مبكرة لتملا له
أوطابها لبناً ويبقى هو في كنasse، ولكن الأم تقلق لغفلة وجهل
وحماقة صغيرها وتغفل الذئب له:

تحنو على خدر القيام وترعو
بغناه في سمح الموعاء معلق
بكرت وأصبح في المبيت يزودها
لوث المغفل واعتقاق الآخرق

وهذه هي صورة أخرى لشك الكلب في أن يكون الفارس
المدرع - الذي وضع على رأسه البيضة وغضى وجهه - صاحبه الذي
يقدم له الطعام فيدخل ذيله بين رجليه ويتحفز:
واستشعر الكلب انكاراً ملوفاً
في حولة قصرت عن نتها الحول

وقد حاول الكميt أن يعطي لقطات ثابتة ومحركة لصور
الحيوان الصحراوي. فهو يسجل تقاطيع النون التي أضناها النظر في
الهاجرة. فبدت كأنها غائرة العيون:
كأن عيونه من مهججات
إذار راحت من الأصل المرور

وصور الناقة العشواء وما تثيره بين الصخور من الزواحف:
دع خبط عشواء في ليلاء مظلمة
ما جلت فأعاعي رقتاً بين أحجار

واهتم الكميt بوصف الحمار الوحشي والثور الوحشي، وهو في
ظروفه الخاصة في حالة اصطياده أو في حالة رعيه تحت الشمس

والمعطر.

فهذا الثور في حالة الصراع مع الكلاب وصورة الدم يسيل منها:
تبعها بالطعن شريراً كأنما
يحسن روقاه المزاد الليائس

وَهَذِهِ حُرْكَةٌ سَرِيعَةٌ فِي حَالَةِ طَعْنٍ خَاطِفَةٍ:
مَكَرٌ بِإِسْحَامِ مُثْلِ السَّنَانِ
سَوْيًا مَا أَمْبَابُهُ مَقْتُلٌ
كَانَ مَرْجِ رِيقَتِهِ فِي الْفَطَاطِ
بِهِ سَالِخُ الْجَلْدِ مُسْتَبْدِلٌ

وهذا حمار وحشى نصفه تحت السماء الماطرة، ونصفه تحت الشجر، والسماء تسقط عليه مطرها، والأوراق تسع عليه ما علق بها:

تحت الألاء في نوعين من غسل
بياناً عليه تسجيل ونقطة ار

- وكما سجل الكمبيت مظاهر الحيوان في حالة سكونه وحركته
وتحت الظروف المناخية المختلفة فإنه قد سجل أصواته أيضاً:
الله لهم _____
الله لهم _____
الله لهم _____

- وقال في صيام الشعالب وعواء الذئاب:

وتشمع أصوات الفراعنة حوله
يعاودن أصوات الذئاب المفاسدة

- وقال في صوت الطير:
تغريدة ساق على ساق تجاويفها
من الهواتف ذات الطوق والعلق

- ووصف غير الناقة، والحمار الوحشين! فقد لاحظ كل شيء
حوله في بيته. فهذا قطار نمل يتحرك:
 وأنقذ النمل بالصرائيم مما
جتمع الحماطيون وانتسبوا

- وهذه صورة الخيول في المعركة حالة نشاطها واستعدادها
للهجوم:
ومستثممات دارعات تشبهن
بفرسانها في الحرب ليس لها ذعر
يخضرن غمار الموت من غير ذلة
تخال بهاسكرأوليس بهاسكر

- وهذه صورة لناقة معذبة عقرها وغادرها تتربع وتقطيع
أوصالها:
فقادرتها تحجوا عقيراً ونشنعوا
حقيقة اسمايـن التـوزـع والتـرـ

- ولا حظ الشاعر الجليل والقوى من الحيوان كما لا حظ الصغير والضعيف ونظر إلى أعلى الشجر وقمم الجبال كما نظر في أفاحicus القط ووصف فراخها:

كُل صاد كأن بالجلد منه
حصناً أو تخالله مجدورا

وهو إذ وصف حيواناً وبنته فقد وصف مناخها وظروفها في
حالتي بردتها وحرها ووصف أيام المحل وأيام كثيرة الخير، وإقبال
الربيع وتجدد الحياة وامتلاء الأعشاش بالغراخ.

ولاحظ ما يعتري سلوك الإنسان من تأسلم عند تغيير البيئة فقد
يتحوال الكريم بخيلاً إلا ما ندر أيام المحل ويصبح الشبع أملاً
وفي السنة الجماد يكون غيشاً
إذا لم تعط درتها الغضوب
وكان السوف للفتى ان قوتاً
تعيش به وهيئت السرقوب
وصار وقودهم للحربي أما
وهان على المخبأة الشحوب

وهذه صورة للبيئة القاسية وللصحراء وأهلها أيام البرد والمجاعة
فإنسان يزداد بخلاً ويحاول الصرد أن ينال الدفء بالنفع في يده
ويحاول الكلب الالتصاق بكل ما يعطيه الدفء والحرارة:
إذا اللقاح غدت ملقى أصرتها
ولم تندعصب كف متصلب

وجاءت الرياح من تلقاء مغربها
وغضن من قدره ذو القدر بالعقب
وكهكـه المدلـج المـقـرـرـ فـي يـدـه
واستـدـفـاـ الكلـبـ المـأـسـورـ ذـي الذـئـبـ

وقال:

وهو إذا وصف هذه الأجواء القاسية ووصف الرياح والبرد والحيوان والإنسان الذي يحاول أن يتغلب على هذا الجو بالاتفاق بالمرأة أو الفروة أو النار أو النفح في اليد فهو قد وصف لنا كذلك الصحراء في الصيف الحار، إذ تكاد الحرارة تصهر الصخور وتخلو الأرض الفضاء من الناس فكأنها لا يسكنها إلا الجن:
وخرق تعزف الجنان في

لاقتدة الکماء لهما وجیب
قطعـت ظـلام لـیـلـه وـیـوـمـاـ
یـکـادـحـضـنـالـاـکـامـبـهـیـذـوبـ
وـیـصـفـشـعـاعـالـشـمـسـذـيـکـانـهـیـذـوبـمـعـدـنـاـأـوـلـعـابـیـسـیـلـمـنـهـذـهـ
الـکـرـةـالـمـلـتـهـبـهـعـلـىـالـأـرـضـ:
یـصـافـحـنـخـدـالـشـمـسـکـلـظـهـیرـةـ
إـذـاـشـمـسـفـوـقـالـیـدـذـابـلـعـابـهـ

وهو إذا وصف الصحراء في النهار فقد وصفها في الليل ووصف
وحشيتها:

ودوستة أندشت حضرن ظلامه
هدواً إذا ماطائر الليل أبصرا

وللكميّت إحساس باللون عميق خاصّة عند التبدّل وذهاب الشّتاء
وجلال الرّبيع وإزهار النّبات واشتتداد حركة الطّير مرة أخرى. فها هو
يصف تلّاً مرتفعة نبت فيها زهر الرّبيع وزقزقت الأفراخ في وكورها:
إذا القف ذو الرّحىين أبدي
محاسنه وأفرخت الوكرور

وقال:

حتى كأن عرachsen الدار أردية
من التجاويز أو كراسن أسفار

ويصف خباء بشكل طائر ملون:
وريطة فيان كخاطيف ظالم
جعلت لها منها خباء مما

وليس من السهل احصاء كافة ما تعرض له الكميّت بالوصف إلا
أن يعدو الإنسان على كثير من نصوص الديوان، ولكن لا ننتهي من
موضوع الوصف حتى نعرض بعض صوره المختلفة لتكوين فكرة

ثابتة عن قدرة الكميّت على التصوير الحركي، والخارجي، والنفسي،
وتصویر الألوان وهذه صور متفرقة من شعره، فهو يصف القذر:
نصبنا له ممّاء ذات هماهم

طويلاً بأفءاء اليوت ركودها
لها مسواق فان دانيان وواقف
يخاف اطلاع عليهما في ذودها

وتصور أنت عزيزي القارئ هذه القذر واضطراب ما فيها
وفورانها والطباخ وهو يحاول أن يوقف هذا الغليان بتقليل النار أو
سحب ما يعلو من القذر.

- وهذه صورة كريم ضاحك مستند على وسادة ولاحظ حركته
وهو ينهض نفسه ليثني الوسادة:
فأعطى ثم أعطى ثم عدنا
فأعطى ثم عدت له فعادا
مراراً مما أعود إليه إلا
تبسم ضاحكاً وثنى الوسادة

وهذه صورة للشاعر يحدق فيها بشدة خلف ظعن راحل وقد أتعب
نظره إذ ضمهم الآل عن متناول بصره ولك أن تخيل وقفة هذا الناظر
وحركة يده وهي تغطي عينيه في وهج الشمس:
أثارتهم بصري والآل يرفعون
حتى أسمدر بطرف العين إفاري

وهذه صورة قوس ينطلق منها سهم على قطع من الحمر
الوحشية :

لم يعب ربهما ولا الناس منها
غير إن ذارهما عليه الحمير
بأمازيج من أغانيها الجيش
وأتباعها الزفيرا الطحير

- وأخيراً، هذه صورة الأنافي التقليدية ينقلها في شكل يدل على
الخلو والفراغ والإهمال:
الأناث في المقاومة ما يحولهن نافل
سعف الخدود كأنما نثرت عليهن المكاهيل
يشبه الكميّت في وصفه الفنان الرسام الذي يحمل أصياغه
والواحة وهو يصور كل ما تقع عيناه عليه، وقد يكرر رسم نفس
الصورة والمتظر ولكن من زوايا مختلفة.

٢ - التأمل والحكمة:

يبدو أن الشعر والسن هما المعمول الأول والأخير للحظات التأمل
في قصائد الكميّت. ولا شك أنه استعان بما بين يديه من شعر
الأقدمين في التراث الإسلامي الذي كان عمره حوالي ثلاثة أرباع
القرن من المثل العليا والدنيا ومن الخير والشر. ولهذا لا يمكن أن
نجد فلسفة خاصة أو شاذة أو جديدة عما كان مألوفاً حتى في زمن
الكميّت. ولكن هضمه لكل هذا ولكونه في آخر زمن تجمعت فيه
تجارب سريعة لبني قومه بعد الإسلام وعصر الفتوحات وما قبلها،

فعرض تجاریه بشکل جدید وجدیر وعנیف أحیاناً:

ولعل أنسع ما في شعره من التأمل قصيدة جمع فيها عدة حقائق هي خلاصة فلسفته النابعة من العلاقات الاجتماعية السائدة في بيته. وفيها تمجيد للحلم والعقل والإفادة من التجربة والطاعة المستوجبة للذوي الرأي، فهو ينقل لنا بدقة بعض صور الحياة الاجتماعية في عصره، ويؤرخ إن صبح التعبير الحياة العقلية وما استهدف في مجتمعه من العادات والتقاليد ويصورها بدقة بالغة:

ألا أرى الأيام يقضى عجيبة
بطول ولا الأحداث تفني خطوبها
ولا عبر الأيام يعرف بعضها
بعض من الأمم وإنما إلا ليها
ولم أر قبول المرء إلا كنبله
به وله محرومها ومصيبة
وما غبن الأمم مثل عقولهم
ولا مثلها اكتسبوا فنادكم وبها
وما غبن الأمم عن مثل خطة
تفيد عنها يوم فيلت أريها
وتفنيد قول المرء شيئاً لرأيه
وزينة أخلاق الرجال وظوبها
وأجهل جهل القوم ما في عدوهم
وأقبح أخلاق الرجال غريبيها
رأيت ثياب الحلم وهي مكنة
لذى الحلم يمرى وهو كاس سليها

ولم أرباب الشر سهلاً لأهله
 ولا طرق المعروف وعثاً كثيئها
 وأكثر مائة المرء من مطمأنه
 وأكثر أسباب الرجال كذوبها
 ولكن صبراً عن أخ لك خائرك
 عزاء إذا ما النفس حنط طرورها
 رأيت عذاب الماء إن حيل دونه
 كفاك لما لا بد منه شريها
 وإن لم يكن إلا الأسنة مركب
 فلا رأي للمحمول إلا ركوبها

فالآيات السابقة تكون بشكل خاص فلسفته وربما خلاصة فلسفة
 بيته البدوية التي يسود فيها ذوق الرأي الذين يرون التثبت والتصبر
 حتى لا يجد المرء مناصاً لاستعمال القوة للدفاع عن نفسه أو عن رأيه
 إذا أجبر على ذلك دون اللجوء إلى النظام أو القانون.

ويسجل تجاربه الأخرى وعلاقته مع الناس في حالات تتفاوت
 فيها الفكرة بين الرقي والإسفاف، وهنا يقول الكمبت:
 وقد يخذل المولى دعائي ويجتدي
 أذاتي وإن يعدل به الضيم أغضب
 فأونس من، بعض الصديق ملاله الد
 نـوـفـأـسـتـقـيـهـمـبـالـجـنـبـ

فهو إذ يظهر استقلالاً في تفكيره أحياناً قد يحدث حديث الbadia
وسلوك أهل البدو فيقول:

لعمري لقوم المرء خير بقيمة
عليه وإن عالوابه كل مركب
إذا كنت في قوم عدى لست منهم
فكل ما عاشرت من خير وطيب
وإن حدثتك النفس أني قادر
على ما حوت أيدي الرجال فجرب

وهو قد يخوض في علاقة الناس به وكرهم له وما يحدث بينهم
من أذى ويحاول أن يرفع ذلك إلى مستوى التجربة العامة:
إن يحسدوني فإني لا ألومهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد

وهو يؤكد الحقيقة التالية: إن الناس يقولون أكثر مما يفعلون
فيما يخص الحرب، فكم من مدع بلسانه كاذب الفعل فيها، فيقول:
الناس في الحرب شتى وهي مقبلة
ويسترون إذا ما أذير قبل
قبل بأمسها طلب مولية
والعالمون بذلك غدو بها أقل

وحاول أن يؤكد على حقيقة السن وأثره في سلوك المرأة. وعاب على المتصاين لهوهم وعيتهم وبكا الشباب كما لم يبكه شاعر قبله، وهو الذي هيأ هذا الشعر الذي ظهر في العصر العباسي حيث كثُر فيه الحنين لأيام الشباب بعدما كثُرت للذائق الحياة وبدت لعيون شعراء العصر شيئاً يستحق أن يحييه الإنسان ويتمنى لما يهب من متنه. ولعل الكميّت قد شعر بشيء من ذلك فقال:

والشيب فيه لأهل الرأي موعظة

ومن عبوب الرجال الشيب والغزل
إذا هما اتفقا نصاً فعودهما
إلى التي غبها التوقيع والجزل
وهو إذ يحن للشباب يعرف أنه يبكي شيئاً لن يعود شيئاً لا يمكن استرجاعه، فيقول:

هل للشباب الذي فات من طلب
أم ليس غائب الماضي بمنقلب
دع البكاء على حافات مطلب
فالدهر يأتي بأ نوع من العجب
ما الشيء بالشيء فانظر في عوائقه
ما إذا هو يوماً غاب لم يؤب
ليت الشيبة لمن تطعن مففيته
وليت غائبها المألوف لمن يغب
من يلبس الشيب يلبس من ثبته
مالن يعود ومن أنوابه القشب

تذكرة الحالم العطشان في وهج
من الودائق ماء المزن في الغب

ثم يذكرنا بتجاربه في الشيخوخة والشباب فيقول:
وقد لبست من النوغين أردية
شتى وجربت من جدّ ومن لعب

ويتردد هذا الحنين في نصوص أخرى منها قوله في قصيدة:
هل لحال من اقتساص بحال
رب مغربون صفة غيرآل
أم لشيب علا المفارق يبع
بالشباب المرجل الذيال

ولا نقول شيئاً شاداً أو غريباً إذا قلنا أن تأملات الكميّت أفضح ما
يظهر في عصره، وأنه هيأ لهذا النوع من الأدب أن ينمو على أيدي
شعراء العباسيين، وظهر ونضج في شعر البحترى^(١) وأبي تمام^(٢)،

(١) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة البحترى (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)
شاعر كبير يقال لشعره «صلالل للعب» ولد بمنبج وتوفي فيها له: ديوان
شعر - وكتاب «الحماسة»، الأعلام ١٢١/٨، وفيات الأعيان ١٧٥/٢،
المتنظم ١١/٦.

(٢) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب
= (١٨٨ - ٢٣١ هـ) أحد أمراء البستان. ولد في جاسم وتوفي بالموصل. كان

والشريف الرضي^(١) والمتنبي^(٢)، وغيرهم.

٣ - الغزل التقليدي:

عرض النقاد للغزل الأموي وصنفوه إلى صنفين:

الغزل التقليدي: وافتراضوا فيه: التكلف، وموت العاطفة، ودفع التقليد الشعري لتأليفه ونظمه.

والغزل المستقل: وينتشر إلى غزل واقعي أو غزل إياحي، وإلى غزل أفلاطوني تحدد إيجابيته وسلبيته شخصية العاشق ومظهره وبيئة المعشقة. وهذا هو التقسيم النظري.

وكان الشاعر الذي نظم الشعر (التقليدي) آلة تخلو من كل إحساس ولا يمر بالأزمات النفسية التي قد يتعرض لها الشاعر المختص بالغزل، أو الشخص الذي لا ينظم الشعر أصلًا. وهنا يقول

= فصيحاً حلو الكلام، في شعره قوة وجذالة. له تصانيف منها: «فحول الشعراء» و«ديوان الحماسة»، الأعلام ١٦٥/٢، وفيات الأعيان ١/١٢١.

(١) هو محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦ هـ) أشعر الطالبيين. مولده ووفاته في بغداد. له «ديوان شعر»، الأعلام ٩٩/٦، وفيات الأعيان ٢/٢، المتظم ٢٧٩/٧، بيتمة الدرر ٢٩٧/٢.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٥٤ هـ). الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. ولد بالكوفة. قتل وهو في طريقة إلى بغداد. له «ديوان شعر»، الأعلام ١١٥/١، المتظم ٢٤/٧.

الدكتور داود سلوم: «... وتحسّن تفاهة هذا التقسيم حين نجد العاطفة والانفعال قد يكونا على أشدّهما عند الشاعر الذي ينظم الغزل الذي يسمونه بالتقليدي»^(١).

ضعف العاطفة، أو تهافتها وتفاهتها عند الشاعر المنصرف بكليته إلى الغزل - فهذا عمر بن أبي ربيعة الذي أوقف حياته على الشعر الغزلي، كثيراً ما يخلو شعره من اللوعة ويتحول إلى مجرد صور عارية لامرأة أو انبطاعات المرأة عنه، أو قد يتحوّل إلى تشبيهات لا تفوق تشبيهات من سبقة من الشعراء. وإذا كان التفاضل والغزل هو الإكثار من الغزل أو الإنصراف إليه فقط هو المقياس، فقد اخطأنا الطريق - إذن - إلى قلوب الشعراء وانفعالاتهم.

وبناءً على ذلك يرى الدكتور داود سلوم تعليله: «... ونحن نقول هذا لأننا نجد في شعر الكميّت الرقة، والعاطفة، واللوعة، وأثر الشوق في نفس الشاعر مع الوصف الدقيق لجسد الأنثى. وهذه هي الأركان الأساسية للغزل الجيد الذي نبحث عنه في دواوين الشعراء وعنده نقاش ونزد أن نعرض لنماذج الكميّت لنرى أنه في غزله لم يكن أقل من المدرسة الحجازية تأثراً وتأثيراً، ولعل لخلق الكميّت وحفظه لدینه ومركزه أثراً في اشتداد هذه الحساسية واللوعة، وقد يكون الحرمان للأسباب الآفنة من أكثر العوامل أثراً في هذه الرقة واللطف والشوق المضغوط بين سطور أشعاره، فهو في وقوفه على الأطلال يفوق كثيراً من الشعراء الذين وقفوا هكذا للذكرى أو للبكاء دون اعتبار وتمييز... فهو أبداً يذكر الفرق بين ماضيه وحاضره، وبين شيخوخته

(١) انظر كتاب شعر الكميّت بن زيد الأ Rossi لداود سلوم ٥٠ / ١

وشبابه، وهو مجبر بحكم تقاليده أن يراعي ما يلاقيه كبير السن إذا تصابي، ويربط بين القديم وال الحديث^(١) فيقول:

أَلْمَ تَلَمَّمْ عَلَى الظَّلِّ الْمُحِيلِ
بِغَيْدَ وَمَا بَكَاؤُكَ بِالظَّلِّولِ
أَشَبَ كَالْوَلِيدَ: رَسْمَ دَارِ
تَسْأَلُ مَا أَصْنَمْ عَنِ السَّؤُلِ؟؟؟

وقال:

وَلَنْ يَسْخِرْ رَسْمَ الدِّيَارِ
لِعَوْلَتِهِ ذُو الصَّبَّا الْمُعَوْلِ

وقال:

أَبْكَاكَ بِالْعَرْفِ الْمَنْزَلِ
وَمَا أَنْتَ وَالظَّلِّلُ الْمُحِيلُ
وَمَا أَنْتَ وَيْكَ وَرَسْمَ الدِّيَارِ
وَسِنْكَ قَدْ قَارَبَتْ تَكْمِلَ

وهو في وقفة من وقوفاته يعود إلى الماضي ويتخيل تحمل الأطعان ويتمنى:

وَقَتَ عَلَى أَطْلَالِهَا وَنَكَاثَرَتْ
عَلَيَّ هَمُومَيْ فَهَيْ تَشَبَّهْ عَذَالِيْ

(١) نفس المرجع السابق ٥١/١ وما بعدها.

ديار اللواتي سرت فيها عشيبة
 وغادرت قلبي ي بين حزن ويلمال
 وما ارتحلت عن الركائب وحدها
 ولكن روحى للركائب تال
 ولو أنصفت داست بأخفافها التي
 تدوس بها الأحجار لحمى وأوصالى
 وكانت أجر الذيل ما ي بين أهلها
 خلبع عذار ناعم العيش والبال

وهو إذا أكثر من وصف الطلول والوقوف عليها والثريب واللوم
 لنفسه والتمني لموته، وأن تكون النوق قد داسته وقضى في وقته
 ذاك، فقد وصف الشاعر المرأة وأثرها في نفسه فأجاد وأحسن. ومن
 نماذج شعره، قوله:

يمشين مشى قطعاً بطاح تأودا
 قب البطون رواجح الأكفال
 يومين بالحدق القلوب فماترى
 إلا صريع هوى بغیر نبال
 من كل آنسة الحديث حبيبة
 ليست بفاحشة ولا متفال
 أقصى مذاهبهما إذا لاقتهما
 في الشهر يرين أسرة وحجوال
 وتكون ريقتهما إذا نبهتهما
 كالشهد أو كسلافة الجريال

ومن هذه الأشعار المختارة في الموضوع قوله:
 هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب
 أم هل يحسن من ذي الشيبة اللعب
 وقد رأينا بها حورا منعمة
 بستانكامل فيها الدل والشنب

٤ - الشعر السياسي:

قبل دراسة شعر الهاشميّات يبقى أن نذكر تاريخ تأليفها وتحديد فترة نظمه قدر المستطاع بعدما حملت إليها كتب الأدب الروايات المختلفة حول تاريخ تأليف الهاشميّات. ففي كتاب مروج الذهب للسعودي (ت ٣٤٦ هـ) روايته تدور حول نظم الهاشميّات بشكل طرافة قصصية وهي أشبه بمسرحيّة قصيرة من ذوات المشهد الواحد. انظر صفحة (٩٦) من كتابنا هذا وهذه القصة كما رواها لأول مرة السعودي كثيراً ما ظهرت تباعاً في كتب التاريخ والأدب. فنجدها في شرح الشواهد للعيني^(١)، وتنظّر في شرح شواهد المغني للسيوطى، وفي معاهد التنصيص للعباسى ، وفي الكشكوك للعاملى، وفي الخزانة للبغدادى ، وفي روضات الجنات للخوانساري ، والرواية في حد ذاتها نستخلص منها خطأ بأن الهاشميّات أول ما نفث على

(١) انظر خلاصة الذهب المسبوك . ١١٧

لسان الكميٰت، والقصة لا تحتاج إلى كثرة الجدل. فهناك مفارقة زمنية واضحة فقد ولّي هشام الخليفة عام ١٠٥ هـ وولّي خالد القسري العراق في نفس العام ولأه هشام، وفي عام (١١١ هـ) ظهر سليمان بن كثير الخزاعي وأصحابه بخراسان يدعون إلى بنى هاشم*. وفي عام (١١٤ هـ) حسب رواية الذهب المسبوك أو عام (١١٧ هـ) حسب رواية العقوبي^(١)، مات الباقي، وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي، ولم يمه قيمة في معرفة نهاية الهاشميّات. وفي ١٢٠/١١٩ هـ أخذ خالد بن عبد الله القسري في شبه انقلاب ديره هشام وقبض عليه فيه يوسف بن عمر عند صلاة الصبح في المسجد وعزله ثم سجنه وطالبه بستة وثلاثين ألف درهم^(٢).

وفي عام (١٢١ هـ) خرج زيد بن علي في الكوفة فأخذوه يوسف بن عمر فقتله وصلبه ثم حرقه وذراء في الماء والبر وقال يوسف لأنصاره: «والله يا أهل الكوفة لا دعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم»^(٣) واتهمه بأن لخالد عنده وديعة بمقدار ستمائة ألف درهم!

هذه اللقطات سوف تساعدنا على تحديد الفترة التي نظمت فيها الهاشميّات والفترة التي انتهى فيها الكميٰت منها ولننظر في كتب الأدب بعد هذا. يمكن أن نحدد نهاية الهاشميّات بسهولة إذا اعتمدنا على هذا النص: «دخل الكميٰت بن زيد الأسدي على أبي جعفر

(١) انظر تاريخ العقوبي ٣٢٠.

(٢) نفس المصدر السابق ٣٢٣.

(٣) انظر تاريخ العقوبي ٣٢٦.

محمد بن علي عليهما السلام، فقال: يا كمبـت أنت القائل:
فـالآن صرت إلى أمـة والأمور إلى المصـاير؟

قال: «نعم قد قلت، ولا والله ما أردت إلا الدنيا، ولقد عرفت
فضـلـكـمـ».

قال: أما إن قلت ذلك فإن التـقـيـةـ لـتـحـلـ»^(١).

فالإمام الـبـاقـرـ كما ذـكـرـتـ كـتـبـ التـوـارـيـخـ قـبـلـ قـلـيلـ تـوـفـيـ عـامـ
(١١٤ـ هـ أو ١١٧ـ هـ) فـإـذـاـ أـخـذـنـاـ بـالتـارـيـخـ الـأـخـيـرـ يـكـونـ الـكـمـبـتـ قدـ
أنـهـ خـصـومـتـهـ السـيـاسـيـةـ معـ الـأـمـوـيـنـ فـيـ هـذـاـ الـعـامـ. وـانتـهـىـ نـظـمـ
الـقـصـائـدـ الطـوـالـ قـبـلـ هـذـاـ التـارـيـخـ.

وعـلـىـ هـذـاـ تـكـونـ الرـوـاـيـاتـ المـغـايـرـةـ التـيـ وـرـدـتـ فـيـ الـأـغـانـيـ فـيـهاـ
خـطـأـ تـارـيـخـيـ وـاضـحـ، فـهـنـاكـ رـوـاـيـةـ تـقـوـلـ:

«إـنـ الـكـمـبـتـ أـنـشـدـ قـصـيـدـتـهـ التـيـ يـهـجـوـ فـيـهاـ الـيـمـنـ...ـ فـأـحـفـظـتـ
خـالـدـ الـقـسـريـ عـلـيـهـ فـرـوـىـ جـارـيـةـ حـسـنـاءـ قـصـائـدـ الـهـاشـمـيـاتـ.ـ وـأـعـدـهـاـ
لـيـهـدـيـهـاـ إـلـىـ هـشـامـ،ـ وـكـتـبـ إـلـيـهـ بـأـخـبـارـ الـكـمـبـتـ وـهـجـاءـ بـنـيـ أـمـةـ وـأـنـفـذـ
إـلـيـهـ قـصـيـدـتـهـ التـيـ يـقـولـ فـيـهـاـ:

فـيـارـبـ هـلـ إـلـاـ بـكـ النـصـرـ يـرـتـجـىـ
وـيـارـبـ هـلـ إـلـاـ عـلـيـكـ الـمـعـولـ

(١) انـظـرـ الـأـغـانـيـ ١٧/٣٥ـ.

وهي طوبية يرثي فيها زيد بن علي وابنه الحسين بن زيد ويمدح
بني هاشم^(١).

ومن السهل إذن أن يصح الخطأ هنا ونقول: إن زيداً لم يرث
في هذه القصيدة وهي قد أقيمت قبل عزل خالد وظهر زيد بعد عزله،
فليلاحظ ذلك! . . .

إذن متى كتب الكمييت الهاشمية إذا عرفنا أنها انتهت (عام
١١٧ هـ).

يبدو أن نشاط المعارضة السياسية الذي ظهر في تأسيس الحزب
السري العباسي عام (١١١ هـ) وفي طموح عبد الله بن معاوية، وهو
من أولاد جعفر بن أبي طالب وتمرّكز خالد بعد مرور سنوات على
تعيينه هي الفترة التي كتبت فيها الهاشمية - ولا يأس أن نفترض
حتى يقوم العكس - أن عام (١١١ هـ) وما تلاه حتى (١١٧ هـ) هي
الفترة الملائمة لهذا النوع من الأدب الثوري، فقد ظهرت دعوات
موجهة بشكل واضح. وهناك طموح يسنده مال ضخم يوزع بشكل سري
أو يوضع لغرض الثورة.

والذي يبدو أن النقود التي اتهم بها زيد كانت موجودة عند
عبد الله بن معاوية الذي ظهر بعد موت زيد وسيطر على غرب
الإمبراطورية الأموية حتى ظهر أبو مسلم. ويبدو أن الكمييت نظم
الهاشمية مدفوعاً دفعاً بكل هذه التأثيرات. ولعل مالاً مكتوماً وصله
لنظمها، وألا ينبغي أن تستبعد شيئاً مثل هذا، وأن أربعين من السنين

(١) انظر الأغاني ٦/١٧.

لكافية لتأليف قصائد معدودات. فإذا كانت القصائد العلوية موجودة
منذ عام (١١١ هـ) فمتى سميت الهاشميات؟

ويقول الدكتور داود سلوم: «لم أجد كلمة «هاشميات» فيما بين
يدي من مصادر قبل ظهور كتاب الحيوان فهو يذكر ذكرًا عابراً أحد
كتبه: «وعبتي برسائل الهاشميات»^(١).

ويبدو أن لفظة هاشميات أطلقت متأخرة على المجموعة التي
ضمت إليها الأبيات المتفرقة التي نظمت في زيد بن علي وتبصر أول
ما تظهر تحمل هذا الاسم في شرح أبي رياش القيسي (ت ٣٣٩ هـ)
قال: «هذه الهاشميات للكميت بن زيد الأسدى بتفسير أبي رياش
أحمد بن إبراهيم القيسي رحمهما الله»^(٢). ثم تظهر القصائد بهذه
الاسم في مروج الذهب للمسعودي والأغاني وفي التعثيل والمحاضرة
لل تعالى^(٣).

وبعد تحديد فترة تأليفها وتسميتها بقى أن نعرف ما هو موضوعها
الشعري؟ من السهل أن يقول القارئ: إن موضوعها هو مدح ورثاء
وتمجيد للرسول ولآل بيته، ولكن هل حقاً هو هذا هدفها الحقيقي؟

لا شك أن الذي ينظر فيها يكاد يقطع أنها ألفت لغاية أخرى
وللحث والغضن على ثورة وقد غلغلت هذا التغليف الديني كي ينجو

(١) انظر كتاب الحيوان الجاحظ ٧/١.

(٢) انظر كتاب شرح هاشميات الكمبت تحقيق د. داود سلوم ونوري حمودي
القيسي صفحة ١١ - طبع دار عالم الكتب بيروت ١٩٨٤.

(٣) انظر كتاب شعر الكمبت بن زيد الأسدى لدى داود سلوم ٥٨/١ وما بعدها.

الشاعر بجلده من العقاب ولم يكد^(١).

فما هي الأفكار الأساسية؟

أولاً: فكرة تحسسها أهل الأمصار الذين اختلطوا بالموالي وأغرقوافي استغلال حقوقهم كفاتحين، ونشأت الفكرة ابتداء من اعتزاز العربي بنسبه وفتحاته وانتصاراته، ومعاملته الأقوام المغلوبة أو المأسورة من الأمم معاملة قاسية جافة، وتركها خارج دائرة السلطة المغلقة، تشارکهم في هذا الشعور الأقوام المغضوب عليهما كالبيت وأنصارهم من العرب.

وثورة المختار تأكيد صريح لهذا رغم غلافها الديني، والنصوص التالية نداء صريح أيضاً إلى قيام الحاكم العادل الذي يساوي رعيته ولا يظلمها:

سَا سَلَة لَا كَمِنْ يَرْعَى النَّا
مِنْ سَوَاء وَرَبِيعَة الْأَنْعَامَ
لَا كَعْبَدُ الْمُلِيكَ أَوْ كَوَلِيدَ
أَوْ كَسْلِيمَانَ بَعْدَ أَوْ كَهْشَامَ
رَأِيهِمْ فِيهِمْ كَرَأِي ذُوي الثَّلَ
ثَةِ فِي الثَّائِجَاتِ جَنْحُ الظَّلَامَ
جَزَّ ذِي الصَّوْفِ وَاتْقَاهُ لَذَّ
يِ الْمَخَةِ وَنَعْقَأَ وَدَعْدَعَ بِالْبَهَامَ
مَنْ يَمْتَ لَا يَمْتَ فَقْبَرَا وَإِنْ يَحْ
مَى فَلَا ذُو إِلَى ذُو ذَمَامَ

(١) انظر المصدر السابق صفحة ٥٩.

فهذا الشعر ليس تقريراً لواقع الحال فقط، وإنما هو دعوة لما ينبغي أن يكون، ولما يريد الشاعر أن يكون عليه الأمر دون شك وبؤرك ذلك تأكيد الكثيـت بصورة خاصة على السيرة العادلة التي تميز بها الخليفة الرابع:

ويقرر هذه الحقيقة وهذا التمعن في نصوص أخرى مثل:
 أؤمِل عَدْلًا عَسْيَ أنْ أَنَا
 لَمَا يَسْنُ شَرْقَ إِلَى مَغْرِبِ
 رَفَعْتْ لِهِمْ نَاظِرِي خَائِفٍ
 عَلَى الْحَقِيقَةِ يَقْسِرُ مُسْتَرِّهِ بِ

وقال أيضاً:
بمرضي السياسة هاشمي
يكسون جبالاً ماتمه ربيعها
وليثاً في المشاهد غير نكس
لتقويم البرية مستطبعاً

وبنى الكمبـٰت جـٰزءاً من هاشميـٰه على توزيع الثروـٰة في الدولة
الأموـٰية واستخدمـٰها لإثارة الفـٰقراء على الدولة، وتحسـٰن هذه النقطـٰة
في ثورة المختار والحسـٰين، وكـٰفـٰة الانـٰفـٰجـٰهـٰرات الثـٰورـٰية في القرن الأول
الهـٰجريـٰ، ويـٰقـٰيتـٰ الثـٰرـٰةـٰ هي السـٰبـٰبـٰ في التـٰدـٰهـٰرـٰ الـٰاجـٰتمـٰعـٰيـٰ والـٰيـٰسـٰيـٰ
الـٰذـٰي أـٰصـٰبـٰ الخـٰلـٰفـٰةـٰ العـٰبـٰسـٰيـٰ في القرـٰنـٰينـٰ الثـٰالـٰثـٰ وـٰالـٰرـٰابـٰعـٰ. وـٰتـٰرـٰكـٰ
الـٰثـٰرـٰةـٰ عـٰلـٰى القـٰسـٰمـٰةـٰ لـٰلـٰمـٰالـٰ الغـٰيـٰرـٰ عـٰادـٰلـٰةـٰ فـٰي هـٰذـٰهـٰ القـٰصـٰبـٰةـٰ الـٰلـٰمـٰمـٰيـٰهـٰ فـٰيـٰقـٰولـٰ:

فـٰيـٰسـٰسـٰهـٰاتـٰوا لـٰنـٰا مـٰنـٰ حـٰدـٰيـٰكـٰمـٰ
فـٰقـٰيـٰكـٰمـٰ لـٰعـٰمـٰرـٰيـٰ ذـٰوـٰأـٰفـٰانـٰيـٰنـٰ مـٰقـٰولـٰ
أـٰهـٰلـٰ كـٰبـٰ نـٰحـٰنـٰ فـٰيـٰهـٰ وـٰأـٰنـٰتـٰمـٰ
عـٰلـٰىـٰ الحـٰقـٰ نـٰضـٰيـٰ بـٰالـٰكـٰتـٰبـٰ وـٰنـٰعـٰدـٰلـٰ
فـٰكـٰيـٰفـٰ وـٰمـٰنـٰ أـٰئـٰيـٰ إـٰذـٰنـٰحـٰنـٰ خـٰلـٰقـٰةـٰ
فـٰرـٰيـٰقـٰانـٰ شـٰتـٰىـٰ تـٰسـٰمـٰنـٰوـٰنـٰ وـٰنـٰهـٰزـٰلـٰ

وقـٰلـٰ:

كـٰمـٰارـٰضـٰيـٰتـٰ نـٰجـٰلـٰ وـٰسـٰوـٰهـٰ وـٰلـٰيـٰةـٰ
لـٰكـٰلـٰبـٰهـٰ فـٰيـٰ أـٰوـٰلـٰ الدـٰهـٰرـٰ حـٰوـٰمـٰلـٰ
نـٰبـٰحـٰأـٰإـٰذـٰاـٰ مـٰاـٰ لـٰلـٰبـٰلـٰ أـٰظـٰلـٰمـٰ دـٰونـٰهـٰ
وـٰضـٰرـٰيـٰ وـٰتـٰجـٰوـٰيـٰعـٰأـٰخـٰبـٰلـٰ مـٰخـٰبـٰلـٰ
وـٰمـٰاضـٰرـٰبـٰ الـٰمـٰثـٰلـٰ فـٰيـٰ الـٰجـٰوـٰرـٰ قـٰبـٰلـٰسـٰ
لـٰاجـٰوـٰرـٰ مـٰنـٰ حـٰكـٰامـٰنـٰاـٰ الـٰمـٰتـٰمـٰشـٰلـٰ

وقال:

تحل دماء المسلمين لذويهم
ويحرم طلوع النخلة المتهجد
وأظماؤنا الأعشار فيما لذويهم
ومرتعننا فيهم إلام وحرمل
وليس لنا في الفيء حظ لذويهم
وليس لنا في رحلة الناس أرحى

الخاتمة

لم تكن رواية شعر الكميٰت من السهلة بمكان، فهو وثيقٌ عليها كثيرون من المأخذ السياسي والاجتماعي، ففيها نصوص لا ترتضيها اليمن ولا ترتضيها المضريّة، وفيها شعر لا يرتضيه الأمويون ولا يرتضيه الهاشميون، ورغم أن للكميٰت رواية خاصّاً به، إلا أن قسماً كبيراً من شعره أهمل أو ضاع بعده في حياته.

وبعيد وفاته سرعان ما تفرق وتجزأ، وأسقط منه ما يخشى من روايته لسبب أو آخر، ولا شك أن قسماً لا يأس به بقي يحمله رواة من بني أسد اعتزاً به وبشعاعه. ويكتفي أن نعرف بأن الرواة كانوا حذرين جداً من رواية شعره السياسي.

ويبدو من كتب التوارييخ والسير أن شعر الكميٰت تعرض بسبب الهاشميّات مرة أخرى للتوزع أو فقدانه، ولو جود الرقابة على باعة الكتب، والتدخل في المنشورات التي يبعونها، ويكتفي لنا مراجعة كتاب تجارب الأمم لمسكويه (١٢٨/١) لتعرف كيفية الملابسات

السياسية والعقائدية التي أثرت في ذلك.

وأول من أخرج شعره من رواة بني أسد وأخذ عنهم، أبي كنادة وكان قد أخذ عن جلة الكوفيين ولقي رواة الشعر وفصحاء بني أسد. وقد اتهم الكمي بتكلف الشعر أحياناً والابتار في التجربة وانعدام الانفعال إلى أن توفر الرغبة لذلك.

صاحب الفكرة في تكلف الكمي وبعده عن الشعر هو حماد الرواية، فقد جاء حماد إلى الكمي فقال: «اكتبني شعرك». قال أنت لھان ولا أكتب شعري! فقال له: وأنت شاعر؟ إنما شعرك خطب - الموضع (صفحة ٣٠٨) - . ويفيد ابن قتيبة من هذه الملاحظة ويقسم شعر الكمي إلى قسمين: شعر يظهر فيه انفعال الشاعر، وشعر ينعدم فيه الانفعال والسيطرة العاطفية ويحاول أن يعلل ذلك فيقول: «وهذه عندي فصلة الكمي في مدحه بني أمية وأل أبي طالب فإنه كان يتشيع وينحرف عن بني أمية بالرأي والهوى وشعره في بني أمية أجود منه في الطالبيين ولا أرى علة ذلك إلا قوة أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على أجل الآخرة». الشعر والشعراء صفحة (٢٤).

ويعود فيعمم ابن قتيبة حكمآ آخر فيقول: «كان الكمي شديد التكلف في الشعر كثير السرقة» وكان ابن قتيبة ينظر في هذا إلى رأي الأصمسي في الكمي وذى الرمة، وكانا جمِيعاً يستكرهان الشعر».

وقد امتدح آخرون شعر الكمي لفوائده العلمية والتاريخية واللغوية، منهم: معاذ الهراء. سئل معاذ: من أشعر الناس؟ قال: من الجاهليين أم من الإِسلاميين؟ قالوا: بل من الجاهليين، قال: امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص. قالوا: ومن الإِسلاميين؟ قال:

الفرزدق والجرير والأخطل، والراغي، فقيل له: يا أبا محمد ما رأيتك ذكرت الكميٰت فيمن ذكرت! قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين.

وهنا يقول الدكتور عبد المتعال الصعيدي: «والحق أن الكميٰت لم يقصر عن شعراء عصره من جهة ألفاظه وأساليبه ولكنها امتاز عليهم بالمعاني والأغراض الإسلامية والاجتماعية التي أدخلتها في شعره، فكان هو الشاعر الإسلامي حقاً أما غيره من الشعراء الذين يقال لهم إسلاميون، فلا يصح أن يطلق عليهم هذا الاسم لأنه لم يكن هناك فرق بينهم وبين الشعراء الأقدمين».

وفي القرن الرابع كان شعر الكميٰت مجموعاً في ديوان واحد معروف للمؤلفين والظاهر أن ديوانه في القرن الرابع قد خرج من العراق إلى الخارج، وتتجدد أبياتاً للكميٰت تستخدم للشاهد والمثل في أقطار البلاد الإسلامية حتى في الأندلس (ابن عبد ربه) وشمال إفريقيا (أبي رشيق) ولا يستبعد أن تكون وصلت نسخ من ديوانه إلى هناك. وحين نتبع ذكر الديوان وأخباره نسمع به في القرن السابع عند ابن المستوفى (ت ٦٣٧ هـ) وهو قد عاش في شمال العراق وتنقل بين إربد والموصل، وقال مرة: «لم أره في ديوانه». وفي نفس القرن يشير الصاغاني (ت ٦٥٠ هـ) إلى شعر الكميٰت ويقول: «لم أجده في شعره». وهذا القول صدر عنه وهو في بغداد والصاغاني قد عاش فترة من حياته في اليمن.

وآخر إشارة لديوان الكميٰت في القرن التاسع من العيني (ت ٨٥٥ هـ) فهو يذكر ديوان الكميٰت بين مراجعه في المقاصد النحوية المنشورة على هامش الخزانة. فما حدث لديوان الكميٰت؟

وهنا يتساءل الدكتور داود سلوم: «هل من المعقول أن تفقد النسخ كلها ونحن نعرف من التاريخ أن هناك أكثر من نسخة في بغداد عبر القرون ونسخة في فارس في القرن الرابع ونسخة في الموصل وبغداد في القرن السابع ونسخة في حلب أو مصر في القرن التاسع؟ هل أتلفتها العصبيات؟ هل أتلفتها الأحداث، هل ما زالت مطوية في مكان ما من هذا العالم، سؤال تجيب عنه الأيام...»

و عموماً فأنتي أرجو أن تكون قد وفقت في كشف جوانب من شعر الكميت بن زيد الأسدي في هذا العرض والتقييم.

دمشق ٢٩/٦/١٩٩٣

نونية الكميت بن زيد الأستدي

وشرحها لأبي رياش اليمامي

تحقيق الأستاذ الشيخ حمد الجاسر

مقدمة للأستاذ الشيخ حمد الجاسر نشرت في مجلة العرب السنة ١٣ الجزئين التاسع والعالاشر، آذار نسيان ١٩٧٩ عن الكميت ونونيته . . . وهي مختصرة حسب الفائدة منها ومن أراد الاستزادة فقد أثرت إلى مكان وجود هذه القصيدة في آخر هذه المقالة : « . . . يعتبر الكميت من مكثري الشعرااء، ومع ذلك فما وصل إلينا من شعره قليل. وهو قسمان الهاشميات وما جمعه الدكتور داود سلوم في جامعة بغداد بعنوان شعر الكميت بن زيد الأستدي. وقد طبع سنة ١٩٦٩ (ر) بمطبعة النعمان في النجف في أقسام ثلاثة صفحاتها نحو ٦٢٦ يحوي القسم الأول من الشعر ما جمع قديماً، وأضاف الدكتور

داود في القسم الثاني ما يرى صحة نسبته للشاعر وخصص القسم الثالث لما نسب للكميت ولغيره من الشعراء.

ولا يدرك جهد الدكتور داود في الحرص على جمع ذلك الشعر إلا من طالع بإمعان كل صفحات ذلك الكتاب. يُعد الكميت من أقدم مثيري بوعاث العصبية وموقدِي نار الشقاقي بين العدنانيين والقططانيين، بل يعتبر أول من شب أوارها على ما ذكر المسعودي في مروج الذهب ...

ويصرف النظر عن كون الكميت أجمع بشعره - هاشمياته وقصيداته التونية - نار العصبية، ولكنه بهذه القصيدة أثار في نفوس شعراء الشعرين من كواطن البغض والحقن ما ظل أواره يشتعل إلى عصرنا الحاضر ...

وقد عارض الكميت شعراء كثيرون منهم حكيم بن عياش الأعور الكلبي وسراقة البارقي، وقد وردت إشارات إليهما في شرح قصيدة الكميت وهما معاصران له: كما عارضه دعلب بن علي الخزاعي الشاعر المعروف بقصيده التي مطلعها:

أفيقي من ملامتك يا ظعينا

كافاك اللّوم مسرأ الأربعين

ومحمد بن أبي عينة المهلبي - من معاصر دعلب - على ما ذكر الأصفهاني في الأغاني وعاصره شاعر يدعى أبو الذلفاء الحسن بن زيد فناصر الكميت بقصيدة سماها الدامغة مطلعها:

أما تنفك قبل أحزيننا

تحب البيض تعصي العاذلينا

وجاء الهمذاني، أو كما وصف نفسه «السان اليمن» فعارض الكميـت بقصيـدته التي تجاوزـت سـتمـائـة بـيـت، افـتحـها بـقولـه: **ألا يـادـار لـوـلـا تـنـطـقـيـنـا**
فـإـنـا سـائـلـونـ وـمـخـرـونـا

وقال فيها:

وَدَامَفَةٌ كِمْثَلٌ الْفَهْرُتَهْ وَيٰ
عَلَى يَسْنٍ فَتَرَكَهْ طَبِينَا
تَرَدَ الطَّولُ لِلْأَسْدِي عَرَضَا
وَتَقْلِبَ مِنْهُ أَظْهَرَهْ بَطَونَا

وقد نشرها الأستاذ محمد بن علي الأكوع، [طبع في مصر سنة ١٣٩٧ في ٦١٣ ص] وكثرت (الدوافع) بعد ذلك . . .

ويتابع الاستاذ حمد الجاسر فيقول:

«وهناك قصائد أخرى في محاكاة قصيدة الكميـت مناقضة لها أموازرة من بعـرها وروبيـا، وأخـرى تـخالفـها في الـبحر أو القافية، لا يـنـرى الإـطـالـة بـذـكـرـهـا... ولكن مع ما لـقصـيـدةـ الكـميـتـ منـأـثـرـ، وـماـ يـلـفـتـهـ لـدىـ الشـعـراءـ منـ شـهـرـةـ لمـ تـصلـ إـلـيـنـاـ كـامـلـةـ.

... وكل ما يعني هنا أننا ظفرنا بأصل للقصيدة الكمبيتية بضيفاً إلى ما وصل إلينا منها، وعشنا على ما يقرب من ثلاثة بيت من شعر أحد فحول الشعراء المتقدمين، بشرح العالم اللغوي أبي

رياش اليمامي وكان ذا عنابة خاصة بشعر الكميٰت خاصة، مع عنابته بشعر غيره. وفي هذا الشرح نصوص لغوية على جانب من الفائدة للمعنيين بالدراسات اللغوية...

ولم أجهد نفسي بمراجعة كتب الأدب لمقابلة أبيات القصيدة أو الاستزادة من أبيات لم ترد، لأن الدكتور داود سلوم - الذي عني أشد عنابة بجمع شعر الكميٰت ونشره لم يترك زيادة لمستزيد حسبما ذكر من المؤلفات التي رجع إليها - لهذا اكتفيت بالإشارة في (الهوامش) إلى ما جمع من أبيات القصيدة ورمزت لذلك بحرف (د) وهو جدير بأن يذكر عمله مقرورنا بالشكر والتقدير».

والقصيدة الكميٰتية تبدأ بالبيت:

أَلَمْ تَعْجِبْنِي مِنْ رِيسِ دَهْرٍ
رَأَيْتُ ظَهَورَهُ قَلْبَتْ بَطْوَنَا

وتنتهي بما هذا نصه:
كَيْتَ العَنْكَبُوتَ وَجَدْتَ بَيْتًا
يَمْدُ عَلَى قَضَاعَةٍ أَجْمَعِينَا

بعض النص الموجود من القصيدة:

قال الكميٰت بن زيد الأستدي:

أَلَمْ تَعْجِبْنِي مِنْ رِيسِ دَهْرٍ
رَأَيْتُ ظَهَورَهُ قَلْبَتْ بَطْوَنَا
فَإِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ وَإِنْ تَعْشَبِي
تَرِي [وَيَرِي] عَجَائِبَ مَا رَأَيْنَا

رأيت الخرس تنطق في زمان
يكلسف أهله الإبل الطهين
ويذلت الحمير فما فزعنا
لذاك من التهيف به الحين
وعطفت الضباب أكف قوم
على فتح الصفادع مرئينا
وذلك ضرب أخماس أربدت
لامسادس عسى أن لا تكونوا
أرادوا الناس من سلفى نزار
أمرواً يمتنعون ويمترنوا
أرادوا أن تزيل خالقات
أديمهم يقسن وتفترنوا
فما وجدهم إلا أديمًا
يمرد مسواسي المتحيفين
عكاظياً أبوه أبو وأياد
صحيحًا لا عوار ولا دهين
وله جمعوا اللتين إلى اللتين
فلا حلمًا لقوه ولا عطين
وكان يقال: إن ابنسي نزار
لقلات فاما سواترو أمينا
تبه بعدن ومتنه نزار
لهم بالملحقات معاندينا

ومنها قوله:

فلك ثياب إسماعيل فينا
صحاباً مادنـشـنـ وـماـبـلـنـا
 وإن لـنـ بـمـكـةـ أـبـطـحـيـهـاـ
ومـاـيـسـنـ الأـخـاـشـبـ وـالـعـجـونـاـ
وـبـيـسـتـ اللهـ نـحـنـ لـهـ وـلـاهـ
وـخـرـزـانـ عـلـيـهـ مـسـلـطـ وـنـاـ
وـزـمـزـمـ وـالـحـطـيـنـ وـكـلـ سـاقـ
يـسـرـىـ أـهـلـ الـخـصـاصـ لـهـ قـطـيـنـاـ

وقال:

وكـلـ خـلـيـفـةـ وـوـلـيـ عـهـدـ
وـمـنـظـرـ لـأـمـرـ الـمـؤـمـنـيـنـاـ
وـفـيـ أـيـامـ هـاـتـ بـهـاـكـ يـلـقـىـ
إـذـاـ رـزـمـ النـدـىـ مـتـحـلـيـنـاـ
نـبـارـيـ الـرـيـحـ مـاـ بـرـدـتـ وـثـيـنـاـ
لـأـمـوـالـ الـغـرـائـبـ ضـامـنـوـنـاـ
نـقـامـرـاـ السـمـاءـ وـكـلـ نـجـمـ
تـشـيرـ إـلـيـهـ أـيـدـيـ الـمـهـدـيـنـاـ
وـجـدـتـ اللهـ إـذـاـ سـمـىـ نـسـزاـرـاـ
وـأـنـزـلـهـمـ بـمـكـةـ قـاطـنـيـنـاـ
نـاـ جـعـلـ الـمـكـارـمـ خـالـصـاتـ
وـلـلـنـاسـ الـقـفـاـوـلـنـاـ الـجـيـنـاـ

وما خرست هجان بنبي نزار
فواللّج من فحول الأعجمين
وما حملوا الحمير على عتاقٍ
مطهومٌ فيلٌ وأبلغين
وما وجدت بنات بنبي نزار
حلائـل أسوديـن وأـحمرـينـا
البـازـهـنـ فـلـسـمـ يـشـوـبـواـ
بسـنـهـ مـ إـمـالـةـ خـاقـينـاـ

وقال:

وجـدتـ النـاسـ غـيرـ اـبـنـيـ نـزارـ
ولـمـ أـرـ مـثـلـهـمـ شـرـ طـأـ وـدـونـاـ
وـانـهـ مـ لـاخـوـتـنـاـ وـلـكـنـ
أـنـامـلـ رـاحـةـ لـاـسـتـوـينـاـ
مـ اـبـنـاءـ آـدـمـ لـمـ اـجـدـهـمـ
إـلـىـ نـسـبـ سـوـاهـ مـجـمـعـينـاـ
أـئـوـامـ تـقـولـ .ـ بـنـيـ لـبـؤـيـ
قـيـدـ أـيـكـ أـمـ مـتـاـوـمـونـاـ
عـنـ الرـامـيـ الـكـنـانـةـ لـمـ يـرـدـهـاـ
وـلـكـنـ كـادـغـيـرـ مـكـابـدـيـنـاـ
وـمـارـبـ الـكـنـانـةـ يـتـغـيـهـاـ .ـ
كـكـلـبـ السـوـهـ هـرـ لـمـوـلـيـفـيـنـاـ

كيليت العنبر وجدت بيتاً
يمد على قصاعه أجمعين^(١)

(١) انظر هذه القصيدة كاملة حسب ما جمعه الأستاذ محمد الجاسر في كتاب شرح هاشميات الكمبت لأبي رياش تحقيق الدكتور داود سلوم والدكتور نوري حمودي القيسي طبعة عالم الكتب ١٩٨٤ بيروت. المستدرك رقم ٣ صفحه ٢٥٤.

نماذج من أشعاره وبعض ما جاء من أخباره

دخل الكميٰت على خالد القسري فأنشده قوله فيه:

لو قبل للجود من حليفك ما
إن كان إلا إلـك يتسلـب
انت أخـوه وأنت صورـته
والرـأس منه وغيرـك الـذنبـ
أحرـزت فضلـ النـصالـ فيـ مـهـلـ
فكـيلـ يـسـومـ بـكـفـيـكـ القـصـبـ
لوـأنـ كـعبـاـ وـحـاتـمـأـشـراـ
كـانـاـ جـمـيعـاـ مـنـ بـعـضـ مـاـ تـهـبـ
لاـ تـخلـفـ الـوـعـدـ إـنـ وـعـدـتـ وـلاـ
خـلـفـكـ لـلـرـاغـيـنـ مـنـ قـلـبـ

وأمر له بعشرة ألف درهم !!
وقال يمدح يوسف بن عمر بعد قتله زيد بن علي فأنشده معرضاً
بخالد بن عبد الله القسري:

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكون
كمن حصن في الرتاج المضئ
خلفت برب الناس ما أمة خالد
بأمك إذ أصواتنا الهَل والهَبْ
ولا خالد يستطيع الماء قائمَا
بعدلك والداعي إلى الموت أقربُ

ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصماً وتوليه خالداً خراسان:
وكان سبب ذلك فيما ذكر علي عن أشيابه: أن عاصم بن عبد الله كتب إلى هشام بن عبد الملك: «أما بعد يا أمير المؤمنين فإن الرائد لا يكذب أهله وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلى ما يحق به علي نصيحته وإن خراسان لا تصلح إلا أن تقسم إلى صاحب العراق لتكون موادها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنواب من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها وتناطق غياثه عنها». فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه يحيى بن حسين والمجشر بن مزاحم وأصحابهم فأخبرهم فقال له المجشر:

أبعد ما مضى الكتاب كأنك بأسد قد طلع عليك: فقدم أسد بن عبد الله بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر فبعث الكميـت بن زيد الأـسيـ إلى أـهل مـروـ بهذاـ الشـعـرـ:

وَكَتَتْ إِذَا دَعَوْتُ بْنَيْ نَزَارٍ
أَنَّا كَالْدَهْمُ مِنْ سَيْطٍ وَجَفَدٍ
فَجَدُّهُ مِنْ قَسَاعَةٍ كَلَّ أَنْفٍ

وَلَا فَازَتْ عَلَىٰ يَوْمٍ بِمَجْدٍ

قال: ورزين الذي ذكره كان خرج على خالد بن عبد الله بالكوفة
فأعطاه الأمان ثم لم يوف به.

جاء في معاهد التصيص: «فقال الكميٌت في خالد»:

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تَحْبَبُ كَانَهَا

سَحَابَةً صِيفًا عَنْ قَلِيلٍ تَقْشِعُ

حدَثَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَرْفَةَ الْأَزْدِيَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ سَلَامٍ

قال: أتى الكميٌت بباب مجلس يزيد بن المهلب يمتدحه، فصادف على
بابه أربعين شاعرًا فقال للآذن: استأذن لي على الأمير. واستأذن له
عليه فأذن له. فقال له: كم رأيت بالباب من شاعر؟ قال: أربعين
شاعرًا. فقال فانت جالب التمر إلى هجر. فقال: إنهم جلبوا دقلًا
وجلبوا زادًا. فقال: هات زادك فأنشهه:

هَلَاسَالْتَ مَنَازِلًا بِالْأَبْرَقِ
دَرَسْتَ وَكَيْفَ سَؤَالٌ مِنْ لَمْ يَنْطِقْ
لَعِبْتَ بِهِ رَيْحَانَ رِيحَ عَجَاجَةَ
بِالسَّافِيَاتِ مِنْ التَّرَابِ الْمَعْتَقِ
وَالْبَيْفُ رَائِحَةَ لَهَا بَاتِحَهَا
طَفَلَ الْعَشَّيِ بِذِي حَنَّاتِمِ شُرَقِ

تِصلُّ اللقاحَ إِلَى التِّساجِ مِرْأَة
لخفْوَقِ كَوْكِهَا وَإِنْ لَمْ يَخْفَقْ
غِيرَنْ عَهْدَكِ بِالْدِيَارِ وَمَا يَكُنْ
رَهْنَ الْحَوَادِثِ مِنْ جَدِيدٍ يَخْلُقْ
إِلَّا خَوْالٌ دَفِيَ المَحْلَةِ يَبْتَهَا
كَالْطَّبِيلَسَانِ مِنْ الرَّمَادِ الْأَوْرَقِ
وَمُشَبِّهِ حَاتِرَكِ الْوَلَانِدِ رَأْسَهِ
مُثْلِلِ السَّوَاكِ وَدَمْنَنِ كَالْمُهَرْقِ
دارِ النَّيِّ تِرْكَتِكِ غَيْرَ مَلْوَمَةَ
دِنْفَافِ إِنْ لَمْ تَرْعِ قَلْبَكِ فَاشْفَقْ
قَدْ كُنْتَ قَبْلُ تَشْوِقِكِ مِنْ هَجْرَانِهَا
فَالْبَلَوْمِ إِذْ شَحَّ حَظَ الْمَزَارِ بِهَا تَقْ
وَالْحَسْبِ فِيهِ حَرَارَةٌ وَمَرَارَةٌ
سَائِلِ بِسَذِّاكِ مِنْ نَطْعَمٌ أَوْ زَقْقِي
مَا ذَاقَ بِسَؤْسِ مَعِيشَةٍ وَنَعِيمَهَا
فِيمَا مَضِيَ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْشُقْ

حتى بلغ إلى قوله:

من قال بـت أخـا الـهمـوم وـمـن يـبـت
غـرـض الـهمـوم وـنـضـيـهـنـ يـؤـرـقـ
بـشـرـثـ نـفـسـيـ إـذـرـأـيـكـ بـالـغـنـىـ
وـوـقـفـتـ حـيـنـ سـعـمـتـ قـوـلـكـ لـيـ ثـقـ

وقال المرتضى: «ويشبه أن يكون الكبيت أخذ من النساء قوله
في مخلد بن يزيد بن المهلب:

ما إن أرى كأيتك أدرك شاوه
أحد وثلثك غالباً لم يُلْحِقِ
تجاذب انله فضيلة سَلَةٍ
وتلوت بعد مصليل المُسْبَقِ
إن ترزع عاولبه فضيلة سَبَقِ
فبمثل شاؤأيتك لم يتعلّقِ
ولشن لحقت به على ما قد مضى
من بعْدِ غايته فاحرج واخلق»

قال يصف ذئباً لقيه في بعض الأرض:
لقينا به اثلاضاً ضريراً كأنه
إلى كل من لاقى من الناس مذنبُ
مضيعاً إذا أثرى كسوبياً إذا عدا
ل ساعته ما يستفيد ويكتبُ
تصور يشكو ما به من خصاصة
وكاد من الإصلاح بالشكوى يعربُ
فتشاله من ذي المزاود حصة
وللزاد آثار نلقى وتسوهبُ
وقلنا له هل ذاك فاستفن بالقرى
ومن ذي الأدوى عندنا لك مشربُ
وصب له شول من الماء غابر
به كف عنده العيبة المتحربُ

قال يصف ذبابة في بعض الأرض:
بنائة المناميل ذات غول
لسرحان الفلاة بهما ضيوب
برانبي في الطعام له صدقها
وشادنة العسابر رعليوب
إذا اشتكى إللي رأيت حقها
لمحروميمن شفهما السفروب

قال يصف القط وهو يطلب الماء:
أو الناطقات الصادقات إذا أغدت
باسقية لم يفر هن المطبوب
جعلن لهم الخمس للعيس روحه
سبابها مفترض إليهم سبب
فأبن قصار الظمه لم يسترثها
 بما فيه من رفي الصوادي التحبب

قال في ذكر النساء وزهدهن في ذوي الشيب:
لهم وللشيب ومن علاء
من الأمثال فنائة وقوب

وقوله:

وَلَا حِلْلَةَ جَارِي لَسْتُ زَاعِمُهَا
تَصْبِرُ إِلَيْيَ وَسَاءَ الصَّدْقُ وَالْكَذْبُ

قال في الجمد والبرد والأزمات:
وَفِي السَّنَةِ الْجَمَادِ يَكُونُ غَيْثًا
إِذَا لَمْ تُعْطِ دَرْتَهَا الْغَصْبُ وَبُ
وَرَوْحَتِ الْلَّقَاحُ مُبْهَلَاتٍ
وَلَمْ تُعْطِفْ عَلَى الرُّبُعِ التَّلَوْبُ
وَكَانَ السَّوْفَ لِلْفَتَيَانِ قَوْتَا
تَعِيشُ بِهِ وَهِيَتِ الْرَّقْبُ
وَصَارَ وَقْدَهُمْ لِلْحَيِّ أَمَا
وَهَانَ عَلَى الْمَخْبَأِ الشَّحْرُوبُ

وفي العَزَّ من الفصيدة:
وَخَرِيقٌ تَعْزِفُ الْجَنَانَ فِيهِ
لَا فَنَدَةَ الْكَمَاهَةَ لَهَا وَجِيبُ
قَطَعَتْ ظَلَامَ لِيَتَهُ وَرَوْمَا
يَكَادُ حَصْنَ الْأَكَامِ بِهِ يَذُوبُ

قال الكميٰت:
أَلَا لَا أَرِي الْأَيَامَ يَقْضِي عَجَيْبُهَا
بَطْولُ وَلَا الأَحَدَاثُ تَفْنِي خَطْرُوبَهَا
وَلَا عَبْرُ الْأَيَامِ يَعْرُفُ بَعْضُهَا
بَعْضٌ مِّنَ الْأَقْوَامِ إِلَيْهَا

ولم أر قول المerre إلا كتب
بـه وله محرومـها ومحبـها
وماغـن الأقوـم مثلـ عـقولـهم
ولا مـثلـها كـسبـاً فـادـكـسوـبـها
ومـاغـبـ الأقوـم عنـ مـثـلـ خـطـة
تـغـيـبـ عنـها يـوـمـ قـيلـتـ أـرـبـها
ولا عنـ صـفـةـ الـثـيقـ زـلـثـ بـنـاعـسـلـ
تـرـامـى بـه أـطـوـادـهـا وـلـهـ وـبـهـا
وـقـبـيـدـ قـولـ المـرـهـ شـبـنـ لـرـأـيـهـ
وزـينـةـ أـخـلـاقـ الرـجـالـ وـظـوبـهـا
وـاجـهـلـ جـهـلـ القـوـمـ مـافـيـ عـدوـهـمـ
وـأـفـجـعـ أـخـلـاقـ الرـجـالـ عـزـيـهـا
رـأـيـتـ ثـيـابـ الـحـلـمـ وـهـيـ مـكـنـةـ
لـذـيـ الـحـلـمـ يـعـرـىـ وـهـوـ كـاسـ سـلـيـهـا
ولـمـ أـرـ بـابـ الشـرـ مـفـلـاـ لـأـهـلـهـ
وـلـأـطـرـقـ الـمـعـرـوفـ وـعـشـاـكـثـيـهـا
وـأـكـثـرـ ماـ تـعـنـىـ المـرـهـ مـنـ مـطـمـانـهـ
وـأـكـثـرـ أـسـبـابـ الرـجـالـ كـذـوبـهـا
ولـمـ أـجـدـ العـيـدانـ اـقـيـاءـ أـعـيـنـ
ولـكـنـمـاـ اـقـيـاءـهـاـ مـاـ يـنـرـيـهـا
مـنـ الضـيـمـ أوـ أـنـ يـرـكـبـ الـقـوـمـ قـوـمـهـمـ
رـدـافـاـمـعـ الـأـعـدـاءـ أـلـبـاـ الـوـبـهـا

رمتني قريش عن فسيحي عداوة
 وحقدِ كان لم تذرُّ أني فريها
 توفع حولي تارة وتصيبني
 بنبلِ الأذى عفواً جزأها حسبيها
 وكان سواغاً إذ عثرت بُعْصَة
 يضيق بها ذرعَا سواها طببيها
 فكم أرَعَ مَا كان بيني وبينها
 ولم تك عندي كالثبور جنوبها
 ولم أجهل الغيث الذي نشأت به
 ولم أتفصّرُ أن يجيء غضْبُوها
 وأصبحت من أبوابهم في خطيبة
 ولا ذنب لبابوا باب مرت جديها
 وللأبد الأقصى تلاع مريعة
 أيام بها مشل السنام عسيها
 رمتني بالآفات من كل جانب
 وبالذرئياً مُرْزد فهر وشيهما
 بلا ثبات إلا أفقاً وليل كاذب
 يُحرّبُ أسد الغاب كفتاونهوبها
 لعمر أبي الأعداء بيني وبينها
 لقد صادفوا آذان سمع تجيهها
 فلن تجد الآذان إلا مطيعة
 لها في الرضا أو سخطات قلوبها
 أفي كل أرض جتها أنا كائن
 لخوف من بنبي فهر، كأنني غريها

وإن كنت في جذم العشيرة أقبلت
 علىي وجوه القوم كرها قطريها
 بنبي ابنة مَرْأَةً أين مُرْأَةً عنكم
 وعنها التي شعبات تصير شعرها
 وأين ابنتها عنكم ويعلها
 خزيمةُ والأرحام وعشاجزوها
 إذا نحن منكم لم نتل حق آخرة
 على آخرة لم يخسِ غشاجزوها
 فآيةُ أرحام يعذَّبُ بفضلها
 وأيةُ أرحام يُؤدي نصيتها
 لنا الرَّحْمُ الدُّنيا وللناس عندكم
 سجالُ رغبيات اللهوى وذئوبها
 ملائمة حياض الملجمين عليكم
 وأثاركم فيما تفسيب ندوتها
 ستلقون ما أحبتـم في عدوكم
 عليكم إذا ما الغيل ثار غضـوبـها
 فلم أرـكم سيرة غير هذه
 ولا طفـمة إلاـ التي لاـ أعيـها
 ملائمة فجاج الأرض عدلاً ورافـة
 ويعجز عنـيـ غيرـ عجزـ رحـيبـها
 قطـعمـ لـسانـيـ عنـ عـدوـنـالـكـمـ
 عـقـارـيـهـ تـلـدـاغـهــاـ وـدـيـبـهــاـ

فَأَمْبَحْتُ قَدْمًا مَفْحِمًا وَضَرِيْتُني
 مَحَالِفُ إِفْحَامٍ وَعِنْيٍ ضَرِيْتُهَا
 فَأَرْحَامَكُمْ لَا تَطْلُبُنِكُمْ فَإِنَّهَا
 عَوَاتِمُ لَمْ يَهْجُنْ بِلِيلٍ طَلَيْهَا
 إِذَا نَبَتَ سَاقٌ مِنَ الشَّرِيْتَانِ
 قَصَدْتُمْ لَهَا حَتَّى يَحْرُزَ قَضِيْهَا
 لَتَرْكَنَأُّرِيْسِيْ لَوْيِيْ بْنَ غَالِبٍ
 كَسَامَةً إِذَا أَوْدَتْ وَأَوْدَى عَتِيْهَا
 فَأَيْنَ بِلَاءُ الدِّينِ عَنْهَا وَعَنْكُمْ
 لَكُلَّ أَكْفَ حَاقَنَاتٍ ضَرِيْتُهَا
 وَلَكُنَّكُمْ لَا تَسْتَيْنُونْ نَعْمَةً
 وَغَيْرَكُمْ مِنْ ذِي يَدِيْسَتِيْهَا
 وَإِنْ لَكُمْ لِلْفَضْلِ فَضْلًا مَبْرُزًا
 يَقْصُرُ عَنْكُمْ بِسَالْسُمَاءِ لَفْرُوهَا
 جَمْعَنَافُوسَا صَادِيَاتٍ إِلَيْكُمْ
 وَأَفْشَدَةُ مَنَاطِقُ وَيَلَا وَجِيْهَا
 فَقَائِمَةُ مَا نَحْنُ يَوْمًا وَأَنْتُمْ
 بَنِيْ عَبْدِ شَمْسٍ أَنْ تَفْيَنُوا وَقُرُوهَا
 وَهَلْ يَعْدُونَ يَيْنُ الْحَيْبِ فَرَاقَهُ
 نَعَمْ، دَاءُ نَفْسٍ أَنْ يَيْسِنْ حَيَّهَا
 وَلَكُنْ صَبْرًا عَنْ أَخْ لَكَ ضَائِرٌ
 عَزَاءٌ إِذَا مَا النَّفْسُ حَنَّ طَرُوهَا
 رَأَيْتَ عِذَابَ الْمَاءِ أَنْ حِيلَ دُونَهُ
 كَفَاكَ لِمَا لَا بَدْ مِنْهُ شَرِيْهَا

وَإِن لَمْ يَكُن إِلَّا أَسْنَةً مُرْكَبٌ
فَلَا رَأْيٌ لِلْمُحْمَسُولِ إِلَّا رَكْبٌ وَبِهَا
يَشْوِسُونَ لِلْأَقْصِينَ مَعْسُولٌ شِيمَةٌ
فَأَئْتَى لَنَا بِالصَّابِ أَنَّى مَشْوِسُونَ
كُلُّوا مَا لَدِيكُمْ مِنْ سَنَامٍ وَغَارَبٍ
إِذَا غَيَّبَتْ دُودَانَ عَنْكُمْ غُبْرٌ وَبِهَا
سَذْكَرْ نَاسَ مِنْكُمْ نَفَوسٌ وَأَعْيُنٌ
ذُوَارَفٌ لَمْ تَفْنِنْ بِدَمْعٍ غُرْوِيَّهَا
إِذَا وَدَأْتَنَّ أَلْأَرْضَ إِنْ هُنَّ مُؤْمِنُونَ وَأَدْتَ
وَافْرَخَ مِنْ بَيْنَ الْأَمْوَارِ وَقُوَّهَا
تَرْكَنَا مَطَافَ الشَّعْبِ وَهُوَ مَحْلُّنَا
لَكُمْ وَمَطَاخَ الْوَاجِبَاتِ جُنُورِيَّهَا
وَمَشْعَرَ جَمَعِ الْمَفَاضِعِ عَشِيشَةٌ
إِذَا حَالَ دُونَ الشَّمْسِ قَصْرًا مَغِيَّهَا
وَمَرْزَسَى حَرَاءِ وَالْأَبَاطِحِ كَلْهَا
وَجِيَّثَ التَّقْتَ أَعْلَامَ ثُورٍ وَلُورِيَّهَا
وَمُسْوَدَ خَيْلَانِ عَكَاظِ كَلْهَا
بِوَاكِيرِ طِيرِ بَاتِ قَيَّاعِ دَوْهَا
وَبَسَرَ أَبَسِي دَادِ حِيَّثْ تَشْقَقَتْ
عَلَيْهِ الْمَالَى عَصَبَهَا وَسَبَبَهَا
تَهْتَكُهَا الْيَضْنُ الشَّفَامِيمُ حَرَةٌ
يَهِيجُ اكْتَشَابَ الْجَنِّ وَهَنَاكَتِيهَا

بنات نبئي الله وابن نبيه
يكاد يزيل الراسيات نحيها
قواطن بيت له هُنَّ حمامات
بزفَرَمَ يوم الورد يلقى مهيبها
بسفح أبي قابوس يندبن هالكا
يخفُض ذات الولد عنها وقوتها
أبونا الذي سَنَّ المثبن لقومه
ديات وعدام اسلوفاً منيها
وسلمها فاستوثق الناس للنبي
يعلل مما سَنَّ فيهم جدواها
غناهم لم تجمع ثلاثاً وأربعاء
سائل بالألحاف شتى ضُرروتها
فلما نفتق عن تهامة كلها
يتوتا هي الأدنى إليكم نسيها
فزعتم لنا في كل شرق وغرب
بناؤنا أظفاركم وعلوها
فاين سواكم أين لا أين مذهب
وهل بللة قمراء ناج طليها
يعاذبني في الصبح فهرُبَن مالك
ولم تذر ما يخفى الضمير عروتها
ولومات من نفع لقوم أخوهم
لقد لقيته بالمنايا شعورها
ولو كان تخليد لذى الصبح نصه
لم ثلاث دنياً مَا أقام عزيها

أطئب نفسِي عن لذِي بن غالِب
وهيئاتِ مني ثم هياتِ طيُّها
أبوهَا أبِي الأدْنِي وآتَى أثْهَا
فمن أين رابتِي وكيف أريَهَا
إذا سفتُ نفسِي عن بنِي الْقَضْرِ سلُوة
عصتنِي فلم يسلِّمْ لطوعِ جنِيُّها
الابْنِي فهر وامي مالِك
ولو كثُرتَ عَنِّي وفِي ذُرْوبِهَا
هم صفوَةُ الْأَلَّهِ الْخَيْرُ وفيهم
تَأْرِثُ نِيرَانَ الْهُنْدِي ونَقْرَوبِهَا
عليهم ثِيابُ الْقَضْرِ وابنيه مالِك
وفهر صِحاحاً مالِمْ يُدَائِنُ فسديهَا
فلَئِي لهم أمِي وأمهُم لهم
إذا بَيْضُ أبْدَثَ ماتَوارِي أتَوْبِهَا
لهم مشية لا يحدُثُ الْحَرْبُ غَيرَهَا
إذا مانحورَ الْقَوْمَ بِلَّ خضيَّهَا
بمشيَّهُمْ طالِثُ قصارِ سِيوفِهِم
حِفاظاً إذا ما الْحَرْبُ شَبَّ شَبَوْهَا
بزيدهُمْ عَجْمُ الْكَرَابَةِ ثَجَدة
وعزَّاً إذا العِيدَانُ خَانَ صَلِيُّهَا
لهامِيْمُ أشْرَافُ بِهَا لِيلَ سَادَة
إذا السَّنَةُ الشَّهَاءُ عَمَّ سَفَرَوْهَا

مخاوير أبطال مساعي في الوغى
إذا الخيل لم تثبت وفراً أريها
قدورهم تغلي أمام فنائهم
إذا ما الثریا غاب عصر راقیها
إذا ما المراضخ الخامس تأویت
ولم تند من أنواء كحل جیوبها
وروحت الأشوال والشمس حیة
حداییر حذباً كالحقائق نیها
واسکت در الفحل واسترعنفت به
حراجیج لم تلچح کثافاً سلوبها
ویادرها دفء الکنیف ولم یعن
على الضیف ذی الصحن المسن حلوبها

وقال الكميـت ايضاً:

طربـت وهـل بـك من مـطرب
ولـم تـصـاب ولـم تـلعـب
صـبابـة شـرقـيـهـجـ العـليـم
لا عـارـفـهـا عـلـىـ الـأـشـيـبـ .
وـما أـنـتـ إـلـا رـسـومـ الـدـيـارـ
ولـمـ كـنـ كـالـخـلـلـ المـذـهـبـ
وـلـا ظـعـنـ الخـيـرـيـهـ إـذـ أـدـلـجـتـ
بـسـواـكـرـ كـالـجـلـ وـالـرـبـرـبـ
وـلـسـتـ تـصـبـثـ إـلـىـ الـظـاعـنـينـ
إـذـاـ مـا خـلـبـكـ لـمـ يـصـبـبـ
فـدـعـ ذـكـرـ مـنـ لـسـتـ مـنـ شـانـهـ
وـلـا هـوـ مـنـ شـائـكـ الـمـنـصـبـ
وـهـاتـ النـاءـ لـأـهـلـ النـاءـ
بـأـصـوبـ قـولـكـ فـالـأـصـوبـ
بـنـيـ هـاشـمـ فـهـمـ الـأـكـرـمـونـ
بـنـيـ الـبـاـذـخـ الـأـفـضـلـ الـأـطـيـبـ
وـبـنـيـ هـامـمـ فـاتـخـذـ أـولـيـاـ
مـنـ دـونـ ذـيـ النـسـبـ الـأـقـرـبـ
وـفـيـ حـبـهـمـ فـأـهـمـ عـادـلـاـ
نـهـاـكـ وـفـيـ جـلـهـمـ فـأـحـطـبـ
أـرـىـ لـهـمـ الـفـضـلـ وـالـسـابـقـاتـ
وـلـمـ أـنـمـنـ وـلـمـ أـحـسـبـ

سأمسح بعضاً من كرام الجنود
مراجيح في الرهيج الأصهب
إذا ضئم في السروع يوم الهبا
ج آخر وأقدم إلى أرب
طاعيم حين ترور الشمالي
 بشفان قطفهم الأشيب
 موهيب للمنفيس المترزد
 لأمثاله حين لا مهوب
 لحارم غير حسان الوجوه
 طاعيم للطريق الأجنوب
 مقاري للضييف تحت الظلام
 واري للقادح المتقدوب
 إذا المرخ لم يور تحت العفار
 وضئن بقدر فلبيم تعقب
 وردت مياههم صاديما
 بحائمه ورد مستعذب
 فما حللتني عصيّ السقاية
 ولا قيل يا بعد ولا يا أغرب
 ولكن بخاجة الأكرمي من
 بحظي في الأكرم الأطيب
 ثمن طال شربسي للأجنات
 لقد طباب عندهم مشربسي
 أجبل وأصدر عن غيرهم
 بمرئي المحلا والمواب

أناسٌ إذا وردت بـ رهـم
صـوادي الفـرائـب لـم تـضرـب
ولـيـس التـفحـش مـن شـائـنـهم
ولـا طـيـرة الغـضـب المـغـضـب
ولـا الطـعـن فـي أعيـنـ المـقـبـلـين
ولـا فـي قـفـا الـمـدـبـرـ الـمـلـذـبـ
نجـوم الـأـمـورـ إـذـا اـدـلـمـتـ
بـظـلـمـاءـ دـيـجـورـهـاـ الأـشـهـبـ
وـأـهـلـ الـقـدـيـمـ وـأـهـلـ الـحـدـيـثـ
إـذـا نـقـضـتـ جـبـوـةـ الـمـحـبـيـ
وـشـجـوـ وـلـنـفـسـيـ لـمـ أـنـسـهـ
بـعـتـرـكـ الطـفـ فـالـمـجـنـبـ
كـأـنـ خـدـودـهـمـ الـرـواـضـحـاـ
تـ يـسـنـ الـمـجـرـ الـىـ الـمـسـحـبـ
صـفـائـحـ يـضـرـ جـلـتـهـاـ الـقـيـوـ
نـ مـمـاتـخـيـرـنـ مـنـ يـشـربـ
أـمـلـ عـدـلـأـعـسـىـ أـنـ آـنـاـ
لـ مـاـ يـسـنـ شـرـقـ الـىـ مـغـرـبـ
رفـعـتـ لـهـمـ نـاظـرـيـ خـائـفـ
عـلـىـ الـحـقـ يـقـدـعـ مـسـرـهـبـ

الهاشميات

(١)

مَنْ لِقَلْبِيْ مِنْهُمْ مُشْتَهِيْ
غَيْرِ مَا صَبَرْتُهُ وَلَا أَخْلَمُ
طَارِقَاتِ وَلَا أَدْكَنْتُهُ غَوَانَ
وَاضْحَىَاتِ الْخَدْدُودِ كَالآرَامِ
بَلْ هَوَىَ الَّذِي أَجِئْتُهُ وَأَنْسَدَهُ
لِبْنَيْ هَاشِمٍ فُرُوعِ الْأَنَامِ
لِلقرِيبِينَ مِنْ نَدِيْ وَالْعِيْدِيْ
نَمِنْ الجَرْوِ فِي عُرَى الْأَحْكَامِ
وَالْمُصَبِّيْنَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسَ
وَمُرْسِيْ قَوَاعِدِ الإِسْلَامِ
وَالْحَمَاءُ الْكُفَاهُ فِي الْحَزْبِ إِنَّ
لَفْضِ رِمَامًا وَفَوْدُهُمَا بِضَرَامِ

والْبُيُوتُ الَّذِينَ إِنْ أَنْخَلُوا النَّا
 سُ فَمَا وَأَوْيَ حِواضِينَ الْأَيْتَامِ
 وَالْمُوْلَةُ الْكُفَّاهُ لِلْأَمْرِ إِنْ طَرَّ
 قِيَشٌ أَبْمَجْهُ فِي أَوْتَمَامِ
 وَالْأَسْنَاهُ الشُّفَاهُ لِلْسَّدَاءِ ذِي السَّرِيرِ
 سَهْلَةُ الْمَدِرِيَّةِ بِالْأَوْغَامِ
 وَالرَّوَايَا التَّيِّبِيَّةِ بِهَا يَحْمِلُ النَّا
 سُ وَسُوقَ الْمَطْبَعَاتِ الْعِظَامِ
 وَالْبَحُورُ التَّيِّبِيَّةِ بِهَا تَكْشِفُ الْحِرَّ
 ةُ وَالْأَدَاءُ مَنْ غَلَبَ لِلْأَوَامِ
 لِكَثِيرِيْنَ طَيِّبِيْنَ مِنَ النَّا
 سُ وَيَرَى مَنْ صَادِقِيْنَ كَرَامِ
 وَأَضِحِيَّ أَوْجَيَّ كَرِيمِيَّ جُهْدِيَّ
 وَاسِطِيَّ نَسْبَةُ لَهَامَ فَهَامِ
 لِلْذُرِّيِّ فَالْذُرِّيِّ مِنَ الْحَسْبِ الْثَّا
 قِبِيلَيَّنَ الْقَمَقَامَ فَالْقَمَقَامِ
 راجِحِيِّ الْوَزْنِ كَامِلِيِّ الْعَدْلِ فِي
 السِّيَرَةِ طَيِّبِيْنَ بِالْأَمْرِ الْجَشَامِ
 فَضَلُّوا النَّاسَ فِي الْحَدِيثِ حَدِيثًا
 وَقَدِيمًا فِي أَوْلِ الْقَدَّامِ
 مُسْتَفِيِّ دِيَّيِّنَ مَتْلَفِيْنَ مَوَاهِيَّ
 بَ مَطَاعِيْمَ غَيْرِ مَا أَبْرَاهِ

مستفِيٌ من مُفْضِلٍ من مَسَامِي
سَخَّ مراجِيجَ فِي الْخَمِيسِ الْهُمَامِ
وَمَدَارِيكَ لِلْأَحْمَوْلِ مَتَارِيكَ
كَوَانَ أَخْفَظَ وَالْعُورَ الْكَلَامِ
لَا جُهَاهِمْ تَحَلُّ لِلْمَنْطَقِ الشَّفَّ
بَلْ وَاللَّطَّامِ بِسَوْمِ الْلَّطَامِ
أَبْطَحِيَّةَ نَرْتَعِيَّةَ كَنَالَاتِ
جُمِيْمِ ذَاتِ الرِّجْجُومِ وَالْأَعْلَامِ
غَالِيَّةَ هَاشِمِيَّةَ فِي الْعَدِّ
مَرَّةَ وَامِنَ عَطَيَّةَ الْعَلَامِ
وَمَصَفِّيَّةَ فِي الْمَنَاسِبِ مَحْضِيَّةَ
نَنَخِصِمِيَّةَ كَالْقُرُونِ السَّوَامِيِّ
وَإِذَا الْحَرْبُ أَوْمَضَتْ بَسْنَا الْبَرِّ
فِي وَسَارَ الْهُمَامُ نَجَوَ الْهُمَامِ
وَرَأَيْتُ الشَّرِيقَ يَحْنَنَ النَّبِيَّ
مَعَ بَمْكَسِ وَرَةَ الظَّهِيرَ الْأَنْوَامِ
فَهُمُ الْأَكْسَدُ فِي الرَّوْغَى لَا الْلَّوَاتِي
بِيَنْ خَيْسِ الْعَرَبِيَّنِ وَالْأَجَامِ
أَكْسَدُ حَرْبِ غَيْوُثَ جَذَبَ بِهَايَةَ
لُّمَقاوِيلُ غَيْرُ مَا أَفْدَامِ
لَا مَهَادِيَرَ فِي التَّسْدِيِّ مَكَاثِيَةَ
سَرَّ وَلَا مُضْمِنَيَّةَ بِالْإِفْحَامِ
سَادَةَ ذَادَةَ عَنِ الْخَرَرَدِ الْبَيِّنِ
ضِنَ إِذَا الْيَوْمُ كَانَ كَالْأَيَّامِ

وَمُفَاسِيْرَ عَنْ دُهُونِ مَغَاوِيْنِ
— رَمَسَاعِيْرَ لِيْلَةَ الْإِلْجَامِ
لَا مَعَاذِيْلَ فِي الْحَرْبِ تَنَابِيْعِ
— لَ وَلَا رَائِيْمَ بَشَّوَ اَفْتَضَيْلَ
وَهُمُ الْآخِرُونَ مِنْ ثِقَةِ الْأَمْرِ
— رِبْتَقَ وَاهْمَمُ عُرَى لَا اِنْصَامِ
وَالْمُصَيْيَيْنَ وَالْمُجَيْيَيْنَ لِلْمَذْغَ
— سَوَّةَ وَالْمُحَرِّزَوْنَ خَضْلَ التَّرَامِيْ
وَمُجَلَّوْنَ مُخْرَمَوْنَ مُقْبَرَوْ
نَلِحَّلَ قَرَارَةَ وَحَرَامَ
سَامَّةَ لَا كَمَنَ يَسْرِي رِعَيَّةَ النَّا
سِنَسَوَاءَ وَرِعَيَّةَ الْأَنْعَامِ
لَا كَبْدَ الْمُلِيْكِ أَوْ كَوْلِيدَ
أَوْ سَلِيمَانَ بَعْدَهُ أَوْ كَهْشَامَ
رَأْيَهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي الْثَّلَاثَةِ
فِي الشَّانِجَاتِ جُنْجَحَ الظَّلَامِ
جُرْزَ ذِي الصَّرْوَفِ وَانْقَاءَ لَذِي
الْمَخَةِ وَانْعَقَ وَدَغَدَعَ بَالِهِمَ
مِنْ يَمْتَلَتْ لَا يَمْتَثَ فَقِيدًا وَمِنْ يَنْحَ
يَسَى فَلَلا ذُو إِلٍ وَلَا ذُو ذَمَامَ
فَهُمُ الْأَفْرِيْنَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ
وَهُمُ الْأَبْعَدُونَ مِنْ كُلِّ ذَمَامَ

وَهُمُ الْأَرْفَادُ بِالنَّاسِ فِي الرَّأْيِ
فِي الْأَحْلَامِ وَنَوْنَاتِ الْأَحْلَامِ
بِسْطَةٌ وَأَيْدِيَ النَّسْوَاتِ وَكُفُّرٌ
أَيْدِيَ الْغَيْرِيِّ عَنْهُمْ وَالْعُرَمَاءِ
أَخْذُوا الْقُضَادَ وَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ
جِنَّةُ مَا لَتُّ زَوَّا مِنْ الْأَثَامِ
عِبَرَاتُ الْفَعَالِ وَالْحَسِيبُ الْعَرَقُ
دِإِلِيَّهِمْ مَحْطُوطَةُ الْأَعْكَامِ
أَشْرَةُ الصَّادِقِ الْحَدِيثِ أَبْيَ القَاءِ
سَمِّ فَرِعَ الْقُدَامَى سِنِ الْقُدَامِ
خِيرٌ حَتَّىٰ وَمِيتٌ مِنْ بَنْيِ آدَمَ
دَمٌ طَرَأً مَأْمَوْمٌ وَمِهْمٌ وَإِلَامٌ
كَانَ مِنَ أَجْنَازَةِ خِيرٍ مِيتٌ
غَيْشَةُ حَفَائِرُ الْأَقْوَامِ
وَجَنِينَأَوْ مَرْضِعَ اسَاكِنَ الْمَهَافِ
لِدِ وَبَعْدَ الرَّضَاعَ عَنْدَ الْفَطَامِ
خِيرٌ مُشْتَرِضٌ وَخِيرٌ فَطِيمٌ
وَجَنِينٌ أَفْرَرَ فِي الْأَرْحَامِ
وَغَلَامًا وَنَاشِئًا ثَمَ كَهْلًا
خِيرٌ كَهْلٌ وَنَاشِئٌ وَغَلَامٌ
أَنْقَذَ اللَّهُ شِلْوَنَاتِهِ مِنْ شَفَالِ الدَّارِبِ

لسوفدى الحى ميتا قلت نفسي
 وينسى الفىدى لتلوك العظام
 طيب الأصل طيب العود فى البن
 ينة والقرع يشربى تهامتى
 أبطحى بمعكنة استقى سب الد
 سه ضياء العمى بي والظلم
 واللى يشرب التحول عنها
 لمقام عن غير دار مقام
 مجرة حقولت من الأوس والخرز
 رج أهل القبيل والأطام
 غير دنيا مخالفاً واسم صدق
 باقىأ مجده ببقاء السلام
 ذو الجناحين وابن هالة منهم
 أسد الله والكمي المخامي
 لا ابن عم يرى كهذا ولاغ
 كم كهذاك سيد الأعمام
 والوصي الذي أمال التجو
 بي بي عرش أمينة لانه دام
 كان أهل العفاف والمجاد والخي
 ر ونقض من الأمور والإبرام
 والوصي الولي والفارس المغ
 لم تحت العجاج غير الكهام
 كم لـ كم له من قتيل
 وصرىع تحت السبابك دامى

وَخَبَرِيْسِ يَلْقَاهُ بِخَمِيسِ
وَفَتَاهِ حِواهُ بَعْدَ فِتَاهِ
وَعَبْدِ مُتَرْجِحِ حُجَّلَ عَنْهُ
عَقْدَ الشَّاجِ بِالصَّنْيَعِ الْحَسَامِ
قَتَلَ وَايَّومَ ذاكَ إِذْ قَتَلَ وَوَهُ
حَكَمَ أَلَا كَفَرَ الْحَكَامِ
رَاعِيَ أَكَانَ مُشْجِحًا فَفَقَدَنَا
وَفَقَدَ الْمُسِيمَ هُنْكُ الشَّوَّامِ
نَالَنَا فَقَدُهُ وَنَالَ سَوَائِنَا
بِاجْتِدَاعِ مِنَ الْأَنْوَافِ اصْطَلَامِ
وَأَشَّثَ بِنَامِصَادِرُ شَئِيْ
بَعْدَ نَهَيَّجَ السَّيَّلَ ذِي الْأَرَامِ
جَرَدَ السِّيفَ تَارَيْنَ مِنَ الْأَدَهِ
رَعَلَى حِينِ دَرَةٍ مِنْ صَرَامِ
فِي مُرِيدِيْنَ مُخْطَبِيْنَ هُنْدَى اللَّهِ
وَوَصَيَّ الْوَصَيَّ ذِي الْخَطَّةِ الْفَصَدِ
لِلِّ وَمُرْزِيْ الخَصُومَ يَوْمَ الْخَصَامِ
وَقَتَلَ بِالْأَطْلَافِ غَوْدَرَ مِنْهُ
يَسِنَ غَوْغَاءَ أَقْمَةَ وَطَفَامِ
تَرَكَبُ الطَّبِيرَ كَالْمَجَاسِدِ مِنْهُ
مَعَ هَابِ مِنَ التَّرَابِ هِيَامِ
وَطَبَلَ الْمَرْزَاءُ الْمَقَالِيَ
تُ عَلَيْهِ الْقَعْدَوَدَ بَعْدَ الْقِيَامِ

يُعْرَفُنَ حِزْرَ وَجْهٍ عَلَيْهِ
عَقْبَةُ السَّرُورِ ظَاهِرًا وَالْوَسَامِ
فَتَلَ الأَذْعِيْبَاءُ إِذْ قُتِلَتْ وَوَهْوَ
أَكْرَمُ الشَّارِيْسِنْ صَرْبَ الغَمَامِ
وَسِيْسِيَ النَّبِيِّ بِالثَّعْبَانِ ذِي الْخِيْرِ
فِي طَرِيْدُ الْمُحِيلِ بِالْأَحْرَامِ
وَابْوَوَ الْفَضْلِ إِنْ إِذْ كَرْهْمَ الْحُلْدِ
وَوَبْنِي الشَّفَاءِ الْأَسْقَامِ
فِيهِمْ كَنْتُ لِلْبَعِيدِ بِابْنِ عَمِّ
وَاتَّهْمَتُ الْقَرِيْبَ أَيِّ اتَّهَامِ
صَدَقَ النَّاسَ فِي حَنِينَ بِضَرِبِ
شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ الْقَمَامِ
وَتَنَاولَتْ مِنْ تَنَاوِلَ بِالْغَيْرِ
بِهِ أَعْرَاضُهُمْ وَقَلَّ اكْتِسَامِي
وَرَأَيْتُ الشَّرِيفَ فِي أَعْيُنِ الْقَوْ
مَ وَضَيْعَا وَقَلَّ مِنْهُ احْتِسَامِي
مُعْنَى لِلْمَعْنَى لِلْبَيْنِ مُسِرَّاً
لِلْمَسِرِيِّنِ غَيْرَ دَحْضِ الْمَقَامِ
مُبْدِيَا صَفْحَتِي عَلَى الْمَرْقِبِ الْمَعِ
لَمْ بِالْأَلْهِ قَوْتِي وَاعْتِصَامِي
مَا أَبَالِي إِذَا حِفْظَتْ أَبَا الْقَادِ
سِمْ فِيهِمْ سَلَامَةُ الْلَّهُؤَامِ

مَا أَبْالِي وَلِنْ أَبْالِي فِيهِمْ
 أَبْدَأْرَغْمَ سَاخْطِينْ رِغَامِ
 فَهُمْ شَبَعَتِي وَقَسَمَتِي مِنَ الْأَمَّ
 لَهُ حَسْبِي مِنْ سَائِرِ الْأَفْسَامِ
 إِنْ أَمْسَتْ لَا أَمْسَتْ وَنَفَسِي نَفَسًا
 نِمَنْ الشَّكْ فِي عَمَّيْ أَوْ تَعَامِي
 عَادِلًا غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ طَ
 رَأَيْهُمْ لَا هَمَّامَ بِي لَا هَمَّامِ
 لَمْ أَبْعِدْ دِينِي الْمَسَاوِمَ بِالْوَكَ
 سَ وَلَا مُنْغِلِي أَمَنْ الْهَوَامِ
 أَخْلَصَ اللَّهُ لِي هَوَاهِي فَمَا أَغْزَرَ
 قُلْزُعَانَا وَلَا تَطْبِيشَ سَهَامِي
 وَلَهُتْ نَفَسِي الطَّرْرُوبُ إِلَيْهِمْ
 وَلَهَا حَالَ دونْ طَعْمِ الْطَّعَامِ
 لِيَتْ شَعْرِي هَلْ ثَمَّ هَلْ آتَيْتُهُمْ
 أَمْ يَحْوِلُنَّ دونْ ذَاكِ حِمَامِي
 إِنْ تَشَبَّعَ بِي الْمَذَكُورَةِ الْوَجَ
 نَاءُ تَفَسِي لُغَامَهَا بِلَغَامِ
 عَتَرِيسَ شِمَائِلَةُ ذَاتِ لَرْبِ
 هُوَزِجَلُ مِيلَعَ كَتْرُومُ الْبَغَامِ
 تَصُلُ السَّهَبُ بِالْسَّهَبِ وَبِإِلَيْهِمْ
 وَضَلَ خَرْقَاءِ رُمَّةَ فِي رِمَامِ
 رَدْهُنَ الْكَلَانُ حُسْبَانَ حَدَانِيَ
 رَوْحَدُ الْإِكَامِ بَعْدَ إِكَامِ

فِي حِرَاجِيْحَ كَالْجُنَاحِيِّ مُجَاهِيْمِ
فِي بَخْلَدِ الْوَجِيفِ وَخَدِ النَّعَامِ
يَكْتَفِيْنَ الْجَهِيْلِ فِي ذَا الْمَرْمَقِ الْمَعِ
جَلِيلِ بَعْدِ الْعَنْيَنِ بِالْإِرْزَامِ
مُنْكَرِاتِ بِأَنْفُسِ عَارِفَاتِ
بَعْيَادِ وَنِيْمَةِ وَأَمْلِ السَّجَامِ
مَا أَبَالِي إِذَا أَنْجَنَ إِلَيْهِمْ
تَقْبِبُ الْخُفَّ وَاعْتِرَاقُ السَّنَامِ
يَقْضِيْنَ زَوْرَ هَنَاكَ حَقِيقَ مَزَوْرِيْمِ
مَنْ وَيَخْبُطُ التَّلَامُ أَهْلُ السَّلَامِ

(٢)

طربت و ما شوفاً إلى البيض أطرب
ولاعباً مني أذو الشيب يلعب
ولسم يلهنني دار ولا رسم منزل
ولسم يتطرّب ربني بنان مخضب
ولا أنا من يزجر الطير همه
اصح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشبة
أمر سليم القرن أم مرّ أعضب
ولكن إلى أهل الفسائل والنهاي
وخير ربني حواء والخير بطلب
إلى الفر البيض الذين بجهنم
إلى الله فيما نابني أنقرب
بني هاشم رهط النبي فلانبي
بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
حفظت لهم مني جناحي مسودة
إلى كتف عطفاه أهل ومرحب

وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَّا وَهَؤُلَا
مَجْنَأً عَلَيْيِ أَنْتَيِ أَذْمُ وَأَقْبَ
وَأَرْمَيْ وَأَرْمَيْ بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا
وَإِنْتَيْ لِأَذْوَى فِيهِمْ وَأَقْبَ
فَمَا سَاءَنِي قَوْلُ امْرَى وَذِي عَدَاوَةِ
بِعُورَاهُ فِيهِمْ يَجْتَدِينِي فِي جَدْبِ
فَقْلِ لِلَّذِي فِي ظَلِ عَبَاءِ جَوْنَةِ
بِرَى الْجُورِ عَدْلًا أَيْنَ لَا أَيْنَ تَذَهَّبُ
بِأَيِّ كِتَابِ أَمْ بِأَيِّ سَنَةِ
تَرَى جَهَنَّمْ عَارَأً عَلَيْ وَتَحْسَبُ
النَّلْمُ مَا نَأَيْ بِهِ مِنْ عَدَاوَةِ
وَيَغْضُلُهُمْ لَا جِيرٌ بِلْ هُوَ أَشْجَبُ
سَقْرَعُ مِنْهَا سَنْ خَرْبَيَانْ نَادِمُ
إِذَا الْيَوْمَ ضَمَ النَّاكِثَيْنَ الْعَصَبَ
فَمَا لَيْ إِلَّا آلُ أَحْمَدُ شَيْعَةِ
وَمَا لَيْ إِلَّا مُشْعَبُ الْحَقِّ مُشْعَبُ
وَمَنْ غَيْرُهُمْ أَرْضَى لِنَفْسِي شَيْعَةِ
وَمَنْ بَعْدُهُمْ وَلَا مَنْ أَجْلُ وَأَرْجَبُ
أَرِيبُ رَجَالُهُمْ وَتَرْرِينِي
خَلَائِقُ مَا أَحَدَثُوا هَنْ أَرِيبُ
إِلَكَ ذُوِي آلِ النَّبِيِّ تَطْلُعُتْ
نَوَاعِزُ مِنْ قَلْبِي ظَمَاءُ وَالْبَبُ

ومنها يقول:

هم شهدوا بدرأ وخيبر بعد ما
و يوم حنين والدماء تصبب
وهم رئم وها غير ظار وأشبلوا
عليها باطراف الفنا وتحدبوا
فإن هي لم تصلح لحي سوامم
فإن ذوي القربي أحق وأقرب
ولالقولوا غير ما تعرفوا
نواصيهات ردي بنا وهي شزب

ومنها قوله:

الم ترنسي من حب آل محمد
أروح وأغدو خائفًا أترقب
كأنني جان محدث وكأنما
يهم يتقى من خيبة المُرّاجِرب
على أي جرم أم بأية سيرة
أعنف في تكريظهـم وأذنبـ
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا
وفيهم خباء المكرمات المطنبـ

وجاء في روضات الجنات: «دخل الكميـت على أبي جعـفر الباقـر
وهو يقول:

ذهب الذين يعيشون في أكنافهم
 لم يسبق إلا شامت أو حاسد
 ويقى على ظهر البسيطة واحد
 فهو المراد وأنست ذاك الواحد

وقال في أمالى المرتضى:
 «أشعر أبيات قيلت في الحسرة والدعاء... أولها قول الكميت بن
 زيد»:

إن يحسدون فإني لا ألوهم
 قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدو
 فدام بي ريه مالى لهم
 ومات أكثرنا غيفاً بما يجد
 أنا الذي يجذوني في حلوهم
 لا أرتقي صدرأ منها ولا أرد
 لا بنفـص الله حـادي فإنهـم
 أسرـعنـدي منـالـلـاتـي لـهـ الـوـدـدـ»
 وقال الكميت أيضاً:

اهوى عليـاً أمـيرـ المـؤـمـنـينـ وـلاـ
 أرضـىـ بشـتمـ أـبـيـ بـكـرـ وـلاـ عـمـراـ
 وـلاـ أـقـولـ وـإـنـ لـمـ يـعـطـيـافـدـكـاـ
 بـنـتـ الرـسـوـلـ وـلـاـ مـيـرـاثـهـ كـفـرـاـ
 اللهـ يـعـلـمـ مـاـذـاـ يـأـتـيـانـ بـهـ
 يـوـمـ الـقـيـامـةـ مـنـ عـذـرـ إـذـاـ اـعـذـرـاـ

إِنَّ الرَّسُولَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ لَنَا
إِنَّ الْوَلِيَ عَلَيْيُ غَيْرَ مَا هَجَرَ
فِي مَرْقَدٍ أَوْ قَدْفَ اللَّهُ النَّبِيُّ بِهِ
لَمْ يُعْطِهِ قَبْلَهُ مِنْ خَلْقِهِ شَرِّاً
مَوْلَى إِمَامِ الْحَقِّ نَعْرَفُهُ
لَا كَالَّذِينَ اسْتَرْزَلَانَا بِمَا اتَّمَرَ
مِنْ كَانَ بِرَغْمِهِ رَغْمًا فَدَامَ لَهُ
حَتَّى يُرَى أَنفُهُ بِالْتَّرْبَ مَعْفُرًا

فهرس المصادر والمراجع

الأحكام السلطانية	الماوردي
أخبار شعراء الشيعة	المرزباني
أسد الغابة في معرفة الصحابة	ابن الأثير الجزري
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني
الأعلام	دار الكتب العلمية
الزركلي	دار إحياء التراث العربي
	دار العلم للملاتين
	أعلام النساء
أبو الفرج الأصفهاني	الاغاني
دار الكتب العلمية	
البيزيدي	الأمالى
عالم الكتب	
القالي	أمالى
دار الكتب العلمية	
الزجاجي	أمالى
دمشق	أمراه البيان
محمد كرد علي	
مؤسسة الكتب الثقافية	إنباء الرواة
القطفي	
دار الجنان	الأنساب
السعانى	
دار الكتب العلمية	البداية والنهاية
ابن كثير	
لجنة التأليف	البعائر والذخائر
أبو حيان التوحيدي	

دار الكتب العلمية	الباحث	بيان والتبيين
دار الكتب العلمية	تاريخ بغداد	تاريخ أداب اللغة العربية جرجي زيدان
مؤسسة الأعلمى	الخطيب البغدادي	تاريخ الطبرى (الأمم والملوك) الطبرى
عالم الكتب	تاریخ البیقوبی	تاریخ البیقوبی
دار الفكر	أحمد الشايب	تاریخ الشعر السياسي
دار الكتب العلمية	الإسفرايني	التبصیر فی الدین
دار الكتب العلمية	ابن عساکر	تهذیب تاریخ دمشق
المکتبة العلمية	أبو زید القرشی	جمهرة أشعار العرب
دار الكتب العلمية	ابن حزم الاندلسی	جمهرة أنساب العرب
دار الكتب العلمية	أبو زکی صفوت	جمهرة خطب العرب احمد زکی صفوت
دار الكتب العلمية	علي خربوطلي	الحضارة العربية الإسلامية
دار الكتب العلمية	حلبة الأولياء	حلبة الأولياء
دار الآفاق الجديدة	الحيوان	الحيوان
القاهرة	الباحث	خرزات الأدب
عالم الكتب	البغدادي	خلاصة الذهب المسبوك سبط نيترو
عالم الكتب	رسائل الباحث	رسائل الباحث
(مکتبة الأندلس بغداد ١٩٦٩)	ابن العماد العنبلی	شذرات الذهب
		شرح شواهد المغني السيوطي
		شرح مقامات الحريري الشريسي
		شرح الهاشميات ابن رياش القبسی
		الشعر والشعراء ابن قتيبة
		شعر الكمیت بن زید الأسدی داود سلوم
		صفة الصفوة ابن الجوزی

دار الكتب العلمية	ابن سلام	طبقات الشعرا
دار الكتب العلمية	ابن عبد ربه	العقد الفريد
دار الكتب العلمية	ابن قتيبة	عيون الأخبار
دار الكتب العلمية	البلاذري	فتح البلدان
		تحوله الشعراء
	ابن طاهر البغدادي	فرق بين الفرق
	ابن النديم	الفهرست
دار الثقافة بيروت	ابن شاكر الكتبني	قوات الوفيات
دار الكتب العلمية	الفiroز آبادي	قاموس المحيط
دار الكتب العلمية	الذهبي	الكامل في التاريخ
دار الفكر القاهرة	عبد المتعال الصعيدي	الكميت بن زيد
	ابن منظور	لسان العرب
	أبو منصور الثعالبي	لطائف المعارف
دار الكتب العلمية	المبداني	المجالس العلماء
		مجمع الأمثال
دار الكتب العلمية	المسعودي	مروج الذهب
دار الكتب العلمية	الحموي	معجم الأدباء
دار صادر	الحموي	معجم البلدان
	معجم شعرا الشيعة المرزبانى	المرزبانى
عالم الكتب	البكري	معجم ما استجم
		معجم المطبوعات العربية يوسف سركيس
	ابن فارس	مقاييس اللغة
للشهرستاني وبالهامش (أبي حزم) دار الفكر		الممل والنحل
ابن الجوزي	دار الكتب العلمية	المتنظم

مواقف في الأدب الاموي	عمر فاروق الطباع	دار القلم
المؤتلف والمختلف	أبو محمد الأزدي المصري	
زكي مبارك	مصر	النثر الفني
صلاح الدين الصندي		نكت الهميان
القلقشندى	دار الكتب العلمية	نهاية الأربع
صلاح الدين الصندي		الواقي بالوفيات
الجهشياري		الوزراء والكتاب
ابن خلكان		وفيات الأعيان
التعالى	دار الكتب العلمية	يتيمة الدهر



فهرس الموضوعات

الفصل الأول

٥	- المقدمة
٩	- الحياة السياسية
١٢	- الحزب الشيعي
١٦	- الحزب الأموي
١٩	- حزب الخارج
٢٣	- الحزب الزبيري
٢٧	- حزب الأنصار
٣٠	- الحياة الاجتماعية
٤٠	- الحياة العقلية
٤٣	- الحياة الأدبية

الفصل الثاني

٤٩	- مدخل نحو الشعر الأموي وخصائصه
----------	---------------------------------------

٥٤	- أغراض الشعر الأموي
٥٧	- الشعر السياسي ومجمل خصائصه
٥٨	- دور الأدب في السياسة
٥٨	- ماهية الشعر السياسي
٦١	- نشأة الشعر السياسي عند العرب
٧٣	- الشعر السياسي في العصر الأموي وأغراضه
٧٨	- المديح السياسي
٨٠	- المديح التكسيبي
٨١	- الهجاء

الفصل الثالث

٩٠	- نسبة وخبره
٩٣	- حياته ونشأته
١٠٢	- خصائصه النفسية
١٠٥	- علاقة الكميٰت بالدولة الأموية
١٠٩	- الكميٰت وخالد بن عبد الله
١١٢	- هربه إلى الشام
١٢٧	- وجوده اضطراب الروايات
١٢٨	- موته ووصيته

الفصل الرابع

١٣١	- أغراضه الشعرية
-----------	------------------------